

العصر العباسي الثاني

(٢٣٤ - ٦٥٦ هـ)

obeikandi.com

## العوامل المؤثرة في الأدب في العصر العباسي الثاني

### أ - الحياة السياسية :

يطلق على المدة الزمنية من ٣٣٤هـ إلى ٦٥٦هـ - أو إلى ما بعد هذا التاريخ حتى بداية العصر الحديث - عصر الدويلات ، وذلك منذ دخول "أحمد معز الدولة بن بويه" بغداد في عهد "المُستكفي" وتأسيس دولته فيها. فقد ظلت الدويلات تتعاقب على أجزاء الدولة الإسلامية منذ ذلك الحين حتى مطلع العصر الحديث.

فقد قامت الدولة "البويهية" في "بغداد" ، و"السلجوقية في "فارس" ، و"الحمديانية في "حلب" ، و"الفاطمية في "مصر" إلى غير ذلك من الدويلات.

هذا التقسيم قائم على أساس بقاء الخليفة العباسي الواحد ، والعاصمة العباسية الواحدة على الرغم من سيطرة الأتراك على هذا الخليفة ، وتحكمهم في تعيينه وعزله فقد كانوا هم الحكام الحقيقيين للدولة ، يولون الخلفاء ويعزلونهم ، بل ويسفكون دماءهم وكل ما يأتون من الأمر ، أو يدعون فإنما هو تديريهم.

وقد صور ذلك أحد الشعراء ، فقال :

خليفة في قفص . . بين وصيف وبغنا

يقولون ما قال له . . كما يقول البيغنا

وظلت الأمور تسير على هذا المنوال من سيء إلى أسوأ ، ونقوذ الترك يزداد يوماً بعد يوم ، ولم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري حتى انقسمت الدولة الإسلامية ، وانفردت عقدها إلى دويلات صغيرة ، وإمارات مبعثرة<sup>(١)</sup>.

وهذا الانقسام وإن كان قد أدى إلى ضعف الدولة سياسياً وحرية ، إلا أنه عاد على

(١) دراسات في الأدب في العصر العباسي - د/ عيد قنوي - ص ١١ وما بعدها - بتصرف .

الحياة الأدبية بالرقى والازدهار ، للأسباب الآتية :

- ١ - التنافس الشديد بين ملوك وأمراء هذه الدويلات ، ورغبة كل منهم في إقامة دولته على أسس راسخة من الحضارة والتعمير والعلم والأدب.
  - ٢ - لم تعد "بغداد" وحدها مركز النشاط العلمي والأدبي ، بل تعددت المراكز العلمية والأدبية ، ونافت "بغداد" في حمل رسالة الثقافة العربية والإسلامية.
  - ٣ - أتيحت للشعراء فرصة السفر والتجوال بين أقطار العالم الإسلامية ، وقد مكّنهم ذلك من التعرف على جمال الطبيعة ، وتنوع مظاهرها ، وقد برز في هذا المجال شعراء كثيرون ، من أمثال "الصنوبري" ، و"الرفاء" في دولة الشام الحمدانية ، و"تيم بن المعز" ، و"الشريف العقيلي" من دولة مصر الفاطمية.
  - ٤ - غنيت العناصر العربية بتشجيع النهضة الأدبية بصفة عامة ، والشعرية منها بصفة خاصة ؛ استجابة لبواعث الذوق والفطرة ، والملكة العربية الأصيلة ، فتبوأ الشعر مكانة عالية ، ومنزلة سامية.
  - ٥ - تأثرت اللغة العربية وآدابها بما كان للفرس من حضارة ومدنية ، وفصاحة وبيان وكان حفظ الشعر من هذا التأثير الكبير . فادخل على الشعر الخيال اللطيف المخلق والتعبير الدقيق . والإحساس الناقد العميق.
  - ٦ - دفع الانقسام العباسي ملوك وأمراء الدويلات الناشئة في ظلّه إلى الحرص الشديد على الشعر والاحتفاء به ، والحفاوة البالغة بفرسانه ؛ لأنهم يمثلون الجهاز الإعلامي الخطير للدولة ، يشتون ملكها ، ويشيدون بأيامها ، ويذيعون مفاخرها ، وقد فهم كثير من ملوك وأمراء هذه الدول أن الشعر خير منير لدعوة الناس إلا ما تعتنقه الدولة من مذهب ، أو ما تدعوا إليه.
- بهذه الأسباب وغيرها نهض العلم والأدب في ظل الانقسام السياسي ، والدويلات التي تمخضت عنه<sup>(١)</sup>.

(١) ملاح الحياة الأدبية في عصر الدويلات د/ جلال حجارى ص ١٣.

## الدولة البويهية

ينتهي البويهيون إلى رجل كان يسمى "أبا شجاع بويه" من بلاد "الديلم" الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخرز، ولم يكن لهذه البلاد تاريخ يذكر قبل توسع البويهيين الديلمية، وكان "أبو شجاع بويه" في أول أمره فقيراً يعيش هو وأولاده : أحمد وعلى، والحسن على صيد السمك، احتطاب الحطب، ثم ألحق الأولاد الثلاثة جنوداً في خدمة قوات الديلمية، واستطاع الإخوة الثلاثة بذكاانهم وعزيمتهم أن يدخلوا التاريخ ويصلوا إلى قمة المجد، بعدما كانوا يعيشون فيه من فقر مدقع!!

وذلك أن الإخوة الثلاثة ظلوا يتوسعون في فتوحاتهم، حتى بسطوا أيديهم على "فارس" و"العراق"، وتمكن "أحمد بن بويه" من دخول "بغداد" في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ في عهد الخليفة العباسي "المستكفي"، حيث لقب "أحمد" بـ "عز الدولة" ولقب "الحسن" بـ "بركن الدولة"، ولقب "على" بـ "عماد الدولة".

وتمكن الإخوة الثلاثة من حكم "العراق" و"فارس" باسم الخليفة العباسي، وفضوا على النفوذ التركي، وأقام "عماد الدولة" في "شيراز"، وركن الدولة في "السرى"، ومعز الدولة في "بغداد"، ثم جاء "عضد الدولة بن ركن الدولة"، فضم إليه ملك البويهيين جميعاً، وضم إليه "الموصل" و"بلاد الجزيرة"، وسمى بالملك، وهو أول من سمي بهذا الاسم في الإسلام، وكان يقيم أحياناً في "شيراز"، وأحياناً في "السرى"، فلما فتح "العراق" كانت عاصمة ملكه "بغداد"<sup>(١)</sup>.

يقول عنه الدكتور / شوقي ضيف: "وعضد الدولة هو أعظم ملوك بني بويه، إذ بلغ سلطانه من سعة الملك ما لم يبلغه أحد من أسرته، وهو أول من خطب له، فيما يقال على منابر "بغداد" بعد الخلفاء، وأول من لقب بـ "شاهنشاه"، أي (ملك الملوك) في الإسلام وأصبح البويهيون بعد لقبونه بهذا اللقب، وكان ذا قسوة شديدة، ومما يصور ذلك رميه

(١) تاريخ الأئمة العربى ما بين عهد المتوكل ودخول الفرنسيين مصر - د/ أحمد أحمد منصور نفاذى ص ٣٣٣

باب يقيه الوزير تحت أرجل الفيلة، فقتلته بأرجلها شر قتلة، وقد قضى على لصوص الطريق قضاء مبرماً، وأعاد الأمن إلى نصابه في صحراء "كرمان" وصحراء "جزيرة العرب" ورفع عن قوافل الحجاج الجباية، واحترم لهم الآبار في سبلهم إلى مكة، وأدار على مدينة الرسول ﷺ سوراً حصيناً، وأمر بعمارة منزل "بغداد" وأسواقها وابتدأ بعمارة المساجد وعنى بالبساتين، فامتلت خرابات "بغداد" بالزهر والخضرة<sup>(١)</sup>.

### الأدب في ظلل البويهيين :

تعدّ الدولة البويهية من أقوى الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية وأقواها أدباً وأكثر علماء ورجالاً، ففي ظلل هذه الدولة حلّق الأدب في سماء عالية، وأصبحت له المكانة العليا، والمنزلة العظيمة في عهدهم، مما يندر أن نجد مثيلاً لهذا العصر على مر الزمان، فقد أخرج لنا علماءه وأدباؤه وفلاسفته الدرر التي شعت أضواؤها، فبددت ما كان هناك من ظلام.

أقبل البويهيون على الأدب العربي يدرسونه، ويتذوقونه، ويدفعونه للناس على لسان الشعراء الذين أغدقوا عليهم الكثير من الصلّات، حتى أصبحت "العراق" و"بغداد" و"السرى"، و"البصرة" من أشهر البلدان في العلم والأدب، والحديث والتاريخ. وقد زار "المقدسي" إقليم "العراق" في عهد بنى بويه، وقال في إثر رحلته: "وإن إقليم العراق إقليم الظرفاء، ومنح العلماء، أخرج أباً حنيفةً فقيه العلماء، و"سفيان" سيد القراء، ومسه كان "أبو عبيدة" و"النراء" ... الخ.

وإذا تتعنا ما قاله رجال هذه الدولة من الشعراء، خرجنا بالكثير كما أشار إلى ذلك "الثعالبي" في الجزء الثاني من اليتيمة.

وكان "عضد الدولة" مشاركاً في عدة فنون من الأدب، كما عنى بهذه الناحية أشد العناية، فقترب إليه العلماء والكتّاب، وأحسن وفادتهم، فقصده فحول الشعراء في خصره

(١) عصر الدول والامارات الحزيرة العربية - العراق - إيران من ٢٣٤.

كالتنبي"، و"السلامي" وغيرهما، وكان مجلسه لا يخلو من العلماء والأدباء، يباسطهم وياحثهم، كما كان تاج الدولة بن عضد الدولة من أكثر آل بويه أدباً، وعلماً وشعراً<sup>(١)</sup>.  
 و"ابن العميد" الأديب المعروف كان وزيراً لـ "ركن الدولة"، و"ابن عباد" كان كاتباً عند "ابن العميد"، ولأجل تلمذته لـ "ابن العميد" وصحبه له سُمي بالصاحب، وظل "الصاحب" يكتب لـ "ابن العميد" في "السرى" ثم اختاره "ابن العميد" ليكون مريباً لـ "مؤيد الدولة بن ركن الدولة"، وولى عهده، وكان إقامته في "أصفهان"، ثم أصبح وزيراً لـ "مؤيد الدولة".. وكان "ابن العميد" إلى جانب علمه الفيزير فيلسوفاً، وقد قصده "المتنبي" وقال فيه:  
 من مبلغ الأعرابي أنى بعدهم .. شاهدت أرسطاليس والإسكندرا  
 وسمعت بطليموس دارس كتبه .. متمكناً متبدياً متحضرًا  
 ولقيت كل الفاضلين كأنما .. رد الإله نفوسهم والأعصرا  
 والصاحب "ابن عباد" كان متبحراً في العلوم الشرعية، واللسانية، والأدبية... ومن أشهر شعراء هذه الدولة "ابن نباتة السعدي"، والقاضي "علي بن عبد العزيز الجرجاني" ومن أشهر أدبائها "أبو حيان التوحيدي"<sup>(٢)</sup>.

(١) دراسات في الأدب العباسي ص ٨٨ وما بعدها - بتصرف - د/ عيد قناري.  
 (٢) تاريخ الأدب العربي ما بين المتوكل ودخول الفرنسيين مصر ص ٥٧ وما بعدها بتصرف.

## الدولة السلجوقية

السلاجقة : شعبة من الأتراك الغز ، الذين أخذوا يغيرون بقيادة راعيهم "سلجوق" على حدود إيران الشمالية والشرقية<sup>(١)</sup>.

وقد اعتنق "سلجوق" الإسلام السني ، وكذلك قبيلته ، وقد دعاهم السلطان محمود الفزويني إلى الإقامة في الأقاليم المحيطة ببخارى ، ولكنه توجس منهم خيفة ، ولذلك أمر بالقبض على "إسرائيل بن سلجوق" وحبسه حتى الموت ، وبعد أن توفي "محمود" فكر السلاجقة في الثأر ، فانقضوا على "بخارى" ، وهزموا جيوش "مسعود بن محمود" ، وأعلن "طغرل بك" ملكاً على "خراسان" سنة ٤٣٠هـ ، ودانت له "مرو" ، و"نيسابور" ، وبعد أن توفي "مسعود" سنة ٤٣٢هـ تمكنوا من الاستيلاء على بقية "خراسان" ، و"طبرستان" ، و"سجستان" وأخذ "طغرل بك" يولى أبناء أسرته وأقاربه على البلاد ، واتخذ الري حاضرة له ، واستنجد به الخليفة القائم بأمر الله أن يضبط له "بغداد" ، فدخلها سنة ٤٤٧هـ.

وخلع عليه الخليفة خلفاً سنية ، وأجلسه على العرش إلى حوارد ، وألبسه خلة فاخرة ، و"طغرل بك" هو أول ملوك الدولة السلجوقية ، وكان شجاعاً مقداماً ، كريماً حليماً حريصاً على أداء واجباته الدينية ، ومات سنة ٤٥٥هـ ، فخلفه ابن أخيه "آلب أرسلان" ولقب بـ "الملك العادل" . ويقال : إنه أول من لقب بالسلطان من بني سلجوق ، وذكر على منابر بغداد ، وقد وسع حدود مملكته من الصين شرقاً إلى الشام غرباً ، واستولى على ما بيد الفاطميين من البلاد حتى دمشق ، وقاد حملات ضد دولة الروم الشرقية ، وأسر إمبراطورها "رومانوس" سنة ٤٦٢هـ ، ودمر في هذه الموقعة الجيش الرومي تدميراً.

ووزيره "نظام الملك" كان حصيماً ، وسياسياً حكيماً ، محباً للعلم ، وقد بعث في دولته نهضة علمية أسس لها مدارسه المعروفة باسم "المدارس النظامية" ، واستقدم لها العلماء وفي مقدمتهم "أبو إسحاق الشيرازي" ، و"الغزالي" ، وغيرهما من كبار العلماء ، وخلف

(١) عصر اتبول والإمارات ص ٢٢٦ - د/ شوقي ضيف - دار المعارف سنة ١٩٩٠م

"ألب أرسلان" حين توفي سنة ٤٦٥هـ "ملكشاه" ابنه، وقد ملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين، فامتدت مملكته، واشتملت على جميع بلاد ما وراء النهر، و"إيران" و"العراق"، و"بلاد الروم"، و"الجزيرة"، و"الشام"، وكان من أحسن الملوك سيرة، وكذلك وزيره "نظام الملك".

وكان ينفق الأموال الكثيرة على المدارس والرباطات، وتوفي ببغداد سنة ٤٨٥هـ وبه ينتهى عهد السلاجقة العظام.

وخلفه ابنه "مركياروم"، وكان أخوه السلطان "سنجر" نائبه على "خراسان"... وأخيراً ضعف البيت السلجوقي بعد انتهاء عهد السلاجقة العظام بموت "ملك شاه" فقد تولى صغار أبنائهم عرش الدولة؛ مما أدى إلى ضياعها، وذلك حين تدافقت جيوش التتار إلى البلاد بقيادة "هولاكو" الذى اجتاح "الموصل"، وهاجم "بغداد"، وأصبحت "العراق" فى حوزة التتار.

### ظهور الآداب القومية ومدى تمييزها فى الأقاليم المختلفة

فى ظل هذه الدول، وبتشجيعها نشأت الآداب القومية، التى تمثل حياة الأمة التى نبع من ضميرها هذا الأدب. ويصور كل منها: الحياة فى الإقليم الذى نشأ منه ويعيش فيه، ويتأثر به تاريخ الأمة وبيئتها، وما يرى فى مواطنها من مشاهد ومناظر، وأخلاق وعادات، وعلوم وثقافات. وقد نشأت الآداب القومية بعد انقسام الدولة العباسية إلى دويلات؛ لأن الأدباء فى كل إقليم صرفوا همهم إلى مدح أمرائهم، ووصف بيئتهم والتحدث عما حولهم. مما كان سبباً فى ظهور هذه الآداب الخاصة بكل إقليم، والتى سُميت باسم "الآداب القومية".

وهذه الآداب القومية التى نشأت فى أقاليم الخلافة لم تتباعد كثيراً؛ لانحداد ممالك الخلافة فى الدين، واللغة، والثقافة، والأخلاق، ولكثرة الهجرات والرحلات بينها ولاتخاذ مصادر الثقافة فيها، وقد ذكر "الثعالبي" فى "تيممة الدهر" أن "الصاحب" حين إقامته ببلاد "فارس" كان معجباً بأدب أهل الشام، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم

ويستملى الطائرین عليه من تلك البلاد ما يحنظونه من بدائعهم، وطرانفهم، وجمع له من ذلك دفترًا صخيم الحجم لا يفارقه، ولا يميل مطالعته، وكان لذلك آثار واضحة في محاضراته، وفي أدبه: شعره، ونثره.

ويروى "ياقوت" في "معجم الأدباء" أن "الصاحب بن عباد" سأل رجلاً طراً عليه من الشام عن الرسائل التي يتدارسها الناس في بلاده، فأجابته: إنها رسائل "ابن عبدك" ورسائل "الصائغ"، والأول من كتاب "ديوان القاهرة"، والثاني من كتاب "الديوان" ببغداد ويروى "ياقوت" أيضاً أن "ابن خيران" - وهو من كتاب "مصر" في زمن الفاطميين أرسل بمجموع رسائله إلى "بغداد"، ليعرضها على "الشريف المرتضى" كي يودعه في دار العلم هناك لمن يريد مطالعته من الأدباء.

وقد ارتقى الأدب القومي في "مصر" بعد الانقسام، وكسر استخدامه في وصف البيئة المصرية، ومناظر البلاد الطبيعية، ونيلها ومزاراتها، وخيراتها، وآثارها، وفي مدح الخلفاء، الناطعيين، والإشادة بهم، وبدعوتهم، وفي وصف الحفلات والمواسم والأعياد التي أكثر منها الناطعيون: إرضاء للمصريين، كعيد "وفاء النيل"، وعيد "المولد النبوي الشريف"، وأول العام الهجري إلى غير ذلك.

وفي الشام في عهد "الحمدانيين" ظهر الأدب القومي، وأخذ يصف بيئة الشام ومناظرها، وجبالها، وتلوجها، وجداولها، وفاكيتها، وينطق بمدح أمراء "بنى حمدان" والإشادة بكرمهم، وشجاعتهم، وأديبهم خاصة "سيف الدولة"، ويصف الحروب التي كانت تشب بين "سيف الدولة" و"الروم"، معرضاً على خوض غمارها، واستخلاص المدن والأسرى من أيدي الأعداء، كما كثر في الفخر والحكمة والفلسفة، ونشأ كذلك أدب قومي في "فارس"، و"العراق" في ظلال البويهيين والسلجوقيين، أكثر من وصف البيئة والتحدث عن التاريخ، وأغرق في مدح الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء، كما أكثر من الفخر والحكمة والفلسفة.

## ب - الحياة الاجتماعية وأثرها في الأدب:

الأدب دائماً صورة المجتمع، نرى فيه كل ملامح هذا المجتمع، من غنى أو فقر ونعيم أو شقاء، كما نرى عادات هذا المجتمع وتقاليده، وأنماط معيشته من خلال ما خلفه لنا من أدب.

ولقد كانت حياة المجتمع الإسلامي في عصر الدويلات معقدة الملامح، متشابكة الاتجاهات، متفاوتة الطبقات، مختلفة الأجناس واللهجات<sup>(١)</sup>.

فقد كان المجتمع في "بغداد"، و"العراق" يتألف من ثلاث طبقات: طبقة أرستقراطية على رأسها الخليفة والسلطان الحاكم، وتلوها حواشيها من الوزراء والقادة والأمراء والولاة وكبار الموظفين والإقطاعيين، ويدخل في هذه الطبقة بعض التجار الرأسماليين وطبقة وسطى تتكون من صغار الموظفين والتجار والصناع والقضاة والعلماء ورجال الحسبة، وطبقة دنيا هي طبقة العامة من الزرّاع، والخدم، والرقيق، وأصحاب الحرف ويسلك أهل الذمة في الطبقتين الأخيرتين عادة، إلا من ارتفع منهم إلى الوزارة، وكان ذلك يحدث نادراً كما حدث في عهد عضد الدولة.

وكانت الطبقة الأولى تعيش في رخاء، بل ترف؛ لكثرة ما كان يصبُّ في حجورها من أموال عن طريق الضرائب المتعددة.

وكانت نساء الخلفاء وجواريتهم يبالغن في زينتهن، كما بالغ الخلفاء في بناء القصور وعمارتها، وتحولت قصورهم إلى ترف ما بعده ترف.

وإذا كان الخلفاء والحكام وحواشيهم يتنفسون حياة مترفة، فقد كان يتنفسها معهم الوزراء والسلاطين والأمراء. وبدون ريب كان يعيش هذه العيشة المترفة التي لا تخلو من حمر وعير حمر كبار القواد. ورؤساء الدواوين والإقطاعيين، وكبار التجار والموظفين<sup>(٢)</sup>. ومن مظاهر الرفاهية كثرة المغنيات في مجالس السلاطين، والخلفاء، والثراء، وعلية

(١) تاريخ الأندلس العربي ما بين عبد المتوكل ونحو القرنين مصر ص ٤١.  
(٢) عصر النول والامارات - الجزيرة العربية - العراق - إيران ص ٢٥١ : ٢٥٦ بتصرف.

القوم.

ولم تكن الطبقة الدنيا تنعم بالغناء نعيم الطبقة الأرستقراطية، والمظلومون - أحرار الطبقة الوسطى - كانت تنعم به بعض الشيء، أما من وراءهم من عامة الناس فلم يكن لديهم من المال ما يجعلهم يأخذون بنصيب من هذا النعيم، إلا ما قد ينعموا به في الأعياد العامة.

ومن المحقق أن العامة كانت تعاني كثيراً من الضنك، والضيق لكثرة الضرائب التي كانت تُجَبى منها، وقلة ما كان عليها من الكسب، وكان الرقيق كثيراً كثره مفرطة، وكان من أجناس مختلفة، فمنه الإفريقي، ومنه التركي الآسيوي، ومنه الأوربي، وكانت له سوق رائجة في بغداد من قديم... وكانت الجارية المغية تباع بأغلى الأثمان... واشتهر كثيرات من الحوارى باللطف، والظرف، والبديهة الحاضرة. ونظم الشعر، وحب الأزهار. ونقش الأبيات الرقيقة على الأردية والأكمام، والمصائب والماديل، وكان لذلك تأثير في رقى الأذواق ببغداد.

وأدى انتشار محاليس الحمر إلى كثرة وصفها على ألسنة الشعراء، وبخاصة الماجنين وعلى رأسهم "أبو حجاج"، و"ابن سكرة".

وكانت لهذه الحياة الاجتماعية صداها في أدب هذا العصر: شعره ونثره، وبغنيق المقام عن ذكر كل ما صورته الأدب لملامح الحياة الاجتماعية، ولذا سنكتفي ببعض الأمثلة: فهذا "شمارة اليمنى" يصور مظاهر الترف في بناء القصور والدور في عصر الفاطمية فيقول في دار "طلّاح بن رزيق" الوزير الفاطمي:

فمثل داراً شيدتها همة . . . يغدو العسير ببابها متيسرا  
جملتها وتجملت مصر بها . . . لما علت بك عزة وتكبيرا  
لم بيد فيه الروض إلا مزهرا . . . والنخل والرومان إلا مثمرا

أنشأت فيها للعيون بدائعا .: زفت فأذهل حسنها من أبصرا<sup>(١)</sup>  
ويصور "عبد الوهاب المالكي" الشاعر الفقيه ضيق ذات يده، وقلة ما عنده - على  
الرغم من هذا الترف الذي كان ينعم به الخلفاء ومن والاهم، فيقول:

سلام على بغداد في كل موطن .: وحق لها منى سلام مضاعف  
فوالله ما فارقتها على قلى لها .: وإنى بشطى جانبيها لعارف  
ولكنها ضاقت على بأسرها .: ولم تكن الأرزاق فيها تتاعف  
وكانت كحل كنت أهوى دنوه .: وأخلاقه تتأى به وتخالف  
ويصور "الشريف الرضى" حبه للجواري السوداوات، ويدافع عن لون السواد  
فيقول:

أحبك يا لون للشباب فأننى .: لأيتكما في العين والقلب توأما  
سوديون القلب لو كان رفعة .: بجبته أوشتى في وجهه فما  
سكنت سواد القلب ذا كنت مثله .: فلم أدر من عز من القلب منكما  
وما كان سهم العين لولا سواده .: ليبلغ حبات القلوب إذا رمى  
وقال "السرى الرفاء" في وصف القصور والمنازل:

مجلس في فناء دجلة يرتاز .: إليه الخليع والمستور  
طائر في الهواء فالبرق يسرى .: نون أعلاه والحمام يطير  
فإذا الغيم سار سيل منه .: حلل دون صدره وستور  
وإذا غارت الكواكب صباحا .: فهو الكوكب الذي لا يغور<sup>(٢)</sup>

(١) تاريخ الأدب العربي ما بين عهد المتوكل ودخول الفرنسيين مصر ص ٤٣ .

(٢) المنتخب من أدب العرب ١/١٣٩ .

وقال يصف ضيق الرزق، وأن حرفته لم تدرّ عليه إلا كفافاً من العيش يسدُّه رمقه :  
قد كانت الإبرة فيما مضى .: صائتة وجهى وأشعاري  
فأصبح الرزق بها ضيقاً .: كأنه من ثقبها جاري<sup>(١)</sup>  
وقال ابن رزق في وصف حاله، وشكوى أيامه، وترحاله وراء الرزق، مخاطباً  
زوجه وباكياً على نفسه:

لا تعزليه فإن العزل يولعه .: قد قلت حقاً ولكن ليس بسمعه  
فاستعملى الرفق في تأنيبه بدلاً .: من عنفه فهو مضنى القلب موجه  
تأبى المطالب إلا أن تكافه .: للرزق سعياً ولكن ليس بجمعه

---

(١) عصر الدول والامارات - الجزيرة العربية - العراق - إيران : د/ شوقي صيف ص ٣٦٣ .

## ج - الحياة العقلية وأثرها في الأدب

لقد استمرت الحركة العلمية ناشطة في أوائل العصر، وقبل الغزو التتري بفياء "هولاكو" الذي اجتاح "بغداد"، وحاول طمئ الحياة العلمية بإلقاء الكتب في النهر وعبورهم عليها بخيولهم، حتى تغير لون الماء من كثرة الكتب الملقاة في الماء، وهكذا شأن الاستعمار في كل زمان ومكان.

فقد كان هناك نظام "الكتاتيب"، يتعلم فيه الصبية القرآن الكريم، والشعر والحساب وكان الصبية يتحولون إلى المساجد حيث تنص المساجد يومذاك بملقات العلماء. والأدباء فقد كانت المساجد جامعة تشبه جامعاتنا الحالية في نشر العلم، ومنذ القرن الرابع الهجري ظهرت بجانب المساجد دور للعلم، وتلحق بها مكتبات ضخمة، مثل "دار العلم" التي أسسها الوزير "سأبوزين" سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة (٣٨٣هـ) بمدينة الكرخ وتقع غربى العراق. ووقفها على العلماء، واشترى لها كتباً كثيرة.

وحين خلقت لها الدولة "السلجوقية" دولة "بنى بويه"، وأصبح الوزير نظام الملك ومدير الحكم في زمن "ألب أرسلان" السلجوقي، فقد عنى ببناء المدارس في "العراق" و"إيران"، وكان لازدهار العلوم، والفنون أثر كبير في نشاط "الوراقة" - يعنى باعة الكتب وكانوا يقومون مقام أصحاب المطابع في العصر الحاضر<sup>(١)</sup>.

وقد بلغت الحركة العلمية، والفلسفية، أوجها في القرن الأول من هذا العصر وهو قرن العلماء من أمثال "ابن سينا"، و"البيروني" في "إيران"، و"ابن الهيثم" في "العراق" وقد ظلت الترجمة ناشطة فيه، وانصب عمل المترجمين حينئذ على تصحيح بعض الترجمات القديمة، ونظراً "بغداد". ومدن "العراق" ناشطة في المباحث اللغوية، والنحوية والبلاغية، والتفدية. ومن الكتب اللغوية المهمة كتاب "التبهيات على أغلاط الرواة" لمؤلفه "على بن حمزة البصرى" المتوفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة للهجرة (٣٧٥هـ).

(١) راجع عصر النول والإمارات - للكتور/ شوقي ضيف ص ٢٧٦. وما بعدها بتصريف.

وقد كثرت شروح الشعر والنثر في هذا العصر منذ أوائله، مثل : شرح "أسن جنى" لديوان "المتنبى"، وبعده "التبريزى" من أكثر شراح الشعر آثاراً، ومن شروح "مقامات الحريري" شرح "القاسم بن القاسم الواسطى"، وشرح "البكرى" التحوى شارح المتنبى<sup>(١)</sup>. وعلى أية حال فقد ازدادت موضوعات العلوم فى عصر الدوليات، أعنى العصر العباسى الثانى، حيث ظهرت علوم السياسة والعمارة، وتدبير الممالك والمنازل، وفنون الحرب، وعلم الفلك، والطب، والحكمة وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان من آثار هذه النهضة: كثرة عدد العلماء فى كل علم وفن، كثرة مفرطة ولافتة للنظر أهدت هذه الكثرة فيما بعد لتأليف كتب فى التراجم، وكانت كل مجموعة على جدة، فقد كانت هناك كتب "الفقهاء"، وكتب "المفسرين"، وكتب للقرءاء، وكتب للنحاة وكتب للأطباء، إلى غير ذلك من المؤلفات فى كل فن من الفنون، وفى شتى ألوان المعارف، كما وصفت كتب عامة مثل "معجم الأدباء" لـ "ياقوت الحموى"، و"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لـ "ابن خلكان".

وتمضى الحركة العلمية فى نشاطها فى "العراق" إلى أن يكتسحها "قطعان المغول" وكان ذلك فى منتصف القرن السابع الهجرى، حيث إنهم قوضوا صرحها فى "بغداد" وفى غيرها<sup>(٣)</sup>.

وقد كان للحركة العلمية فى هذا العصر أبلغ الأثر فى ترقية الفكر والخيال والوجدان، ورفعة معانى اللغة، وما استنبطه مجتهدوا المذاهب، وابتدعه علماء الكلام والفلاسفة والأطباء من أمثال "الباقلانى"، و"الغزالي"، و"الفخر الرازى"، و"الفارابى" و"ابن سينا"، و"أبى بكر الرازى"، وما ابتدعه الشعراء من أمثال "المتنبى"، و"أبى العلاء المعرى" فى الشعر وما افترعه واخترعه "أبى العميد"، و"الصابئ"، و"بديع الزمان الهمزانى".

(١) عصر الدول والإمارات - للكتور / شوقى ضيف ص ٣٧٦، وما بعدها بتصرف.  
(٢) محاضرات فى تاريخ الأدب العربى - للكتور المرجوم / أحمد منصور نقادى ص ٣٧١.  
(٣) عصر الدول والإمارات "مرجع سابق" ص ٢٨١ وما بعدها.

و"الخوارزمي"، و"الحريري" في الكتابة<sup>(١)</sup>.

وبعد ما أخذ سلطان العرب والعربية يتراجع في الشرق هبّ أحفاد الأكاسرة يستردّون مجُود أجدادهم، ويطاردون اللغة وما لها من نفوذ في بلادهم، وطلبوا إلى الشعراء من أمثال "الفرزدق"، و"الدقيقي" أن يحدّثوا مفاخر الأسلاف، وذلك بتأليف المنظومات القصصية، والأناشيد القوميّة، ومن الغريب العجيب أن ذلك الأمر تمّ لهم سريعاً، فإن "المتنبّي" وهو من القرن الرابع الهجري يقول وقد زار شعب "بوان" من بلاد "فارس".

مغنى الشعب طيباً فى المعنى :: بمنزلة الربيع من الزما  
ولكن الفتى العربى فيها :: غريب الوجه واليد واللسان  
ملاعب جنة لو سار فيها :: سليمان لسان بترجمان  
ثم اقتدى بالفرس في ذلك "الأتراك" و"الأكراد"، بيد أن اللغة العربية بقيت في جنى القرآن الكريم، تدافع سيل التركيبة الجارف، وقد عزّ النّصير من أهلها، حتى غلب "التّار" على "بغداد" مدينة العلم والمعرفة، ومصدر الإشعاع الثقافى يومذاك، فغلبت على أمرها وخضعت لقانون الطبيعة القاهر الغلاب بعد ما خلفت في تلك البلاد شرائع وعلوماً وآداباً لم تقدر الأيام على محوها<sup>(٢)</sup>.

(١) محاصرات في تاريخ الأدب العربي - للدكتور المرحوم أحمد منصور نقادى ص ٣٧ .  
(٢) تاريخ الأدب العربي - للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٢٣٦ وما بعدها .

## الحياة الزوحيّة وأثرها في ازدهار حركة التصوّف الإسلامي

تبار الزهد لم يكن من ابتداء العصر العباسي، إذ يمكن تتبع أوله إلى عهد الرسول ﷺ وهذا يوضح لنا أن الزهد غمط سلوكي إنساني، . يؤدي إليه التكوين النفسي لبعض الأفراد من جهة، وتساعد عليه الظروف الاجتماعية من جهة أخرى فالناس بحكم تكوينهم النفسي منهم الانبساطى المتفتح للحياة، والمُقدّم عليها في فهم ومنهم الانقباضى العازف عن الحياة، الزاهد فيها المنطوى على نفسه، ومنذ ظهور الإسلام يعد الزهد والتقشف من صميم حياة المسلم، زهد في طيبات الحياة ومتاعها، وإقبال على ما عند الله من ثواب الآخرة، وهو إقبال يوازن فيه المسلم بين نسكه وتعبده لربه، وبين السعى لرزقه، فهو يعمل لذياده كأنه يعيش أبداً. ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً، وهو يضع ثقته في الله، ويتوكل عليه حق التوكل، ولا يرى في سعيه لكسب قوته ما يقلل من هذا التوكل أو تلك الثقة.

وأخذت تنتسج موجة الزهد مع العصرين: الأول والثاني العباسي، وظلت حادة في هذا العصر، ولا شك أنها كانت أحد وأكثر اتساعاً وجمهورياً، بل جماهير من موجة اللهب والخبون، فقد كانت هذه تكاد تكون خاصة بالطبقة المترفة في الأمة، أما موجة التقشف والنسك فكانت عامة يشترك فيها كثير من الطبقة العامة، وجمهور وجماهير الأمة. إذ كانت تغدو صباح مساء إلى المساجد تتلو القرآن وتسبح الله، وتذكره ليلاً ونهاراً وكان يغذى هذه الروح وعاظ يزدهم الناس على مجالسهم.

لقد كثر الوعاط والنسك الذين ينهون الناس عن ارتكاب المنكرات والمعاصي ويدفعون الناس دعماً إلى الزهد في الحياة ومتعتها وخيراتها، وكان لهم فضل كبير في سريان هذه الروح، كما كان لفقهاء الحنابلة نفس الفضل، فسيرهم تفوح دائماً بشذى الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا وملذاتها.

وقد جاء أدب الزهد فى الدنيا كثيراً فى أدب المتصوفة، كما غصت به مؤلفاتهم وكان حديث الزهد من مقدمات التصوف الإسلامى، وبخاصة الزهد فى الدنيا، وقد جاءت صور الزهد متعددة، وكثيرة متنوعة، نسوق طرفاً منها يمثل هذا اللون من الأدب لدى الصوفية، مما نجد له لدى "ابن القيم الجوزية"، حيث يقول: "مثلت الدنيا بِنِمام، والعيش فيها بالحلم، والموت باليقظة، ومثلت بمزرعة، والعمل فيها بالبذر، والحصاد يوم المعاد، ومثلت بدار لها بابان، باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون منه، ومثلت بئمة ناعسة الملمس حسنة اللون، وضربتها الموت، ومثلت بطعام مسموم لذيق الطعم، طيب الرائحة من تناول منه بقدر حاجته كان فيه شفاؤه، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه، ومثلت بالطعام فى المعدة إذا أخذت الأعضاء منه حاجتها فحبه قاتل أو مؤذى"<sup>(١)</sup>.

ومن ألوان النثر الأدبى الصوفى، وهو أدب الزهد فى الدنيا: أنه قيل لـ "رابعة القيسية العدوية": "لو كلمت رجال عشرينك فاشترؤا لك خادماً يكفيك مهمة بيتك؟ قالت "رابعة": "والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا، فكيف أسألها من لا يملكها"<sup>(٢)</sup>.

ومن شعراء الزهد: "الحلاج"، و"الشلى"، و"ابن الفارض"، وغيرهم كثير، ونكتفى بأ نموذج للحلاج..

(١) عدة الصابرين : لابن القيم الجوزية ص ٣١٦ .

(٢) البيان والتبيين : للجاحظ ١٢١٧/٣ .

## الحلاج نشأته وحياته

### مولده:

ولد أبو المغيث الحسين بن منصور عمى البيضاوى في قرية الطور في الشمال من مدينة شيراز على نحو ثلاثين كيلومتراً ، في حوالى سنة ٢٤٤هـ - ٨٥٧م .  
والبيضاء : مدينة مشهورة بفارس ، وهي أكبر مدينة في كورة اصطخر ، وسميت هذه المدينة البيضاء - كما يقول ياقوت في معجمه - لأنها قلعة تبين من بعيد ويرى بياضها ، وكانت معسكراً للجند الإسلامى ، يقصدونها في فتح اصطخر ، وأما اسمها بالفارسية أنسايك البيضاء ضد السوداء في عدة مواضع منها . مدينة مشهورة بفارس . قال حمزة : " وكان اسمها أيام الفرس : دراسفيد ، فعربت بالمعنى ."

وقال الاصطخرى : " البيضاء أكبر مدينة في كورة اصطخر ، وإنما سميت البيضاء ، لأنها قلعة تبين من بعد ، ويرى بياضها ، وكانت معسكراً للمسلمين يقصدونها في فتح اصطخر ، وأما اسمها بالفارسية أنسايك . من أبنائها الأعلام سيويه النحوى (١) "

### لقبه:

هو الحسين بن منصور الحلاج ، ويكنى أبامغيث ، وقيل : "أبا عبد الله" ، ويلقب بـ "الحلاج" ، أو حلاج الأسرار ، وقد ذكر صاحب العبر أن كنيته هي "أبو عبد الله" (٢) . أما كنيته المشهورة أبو المغيث أو أبو مغيث فهي مذكورة في معظم المصادر التاريخية الأخرى . ويروى ابن خلكان في "وفيات الأعيان" (٣) ، عن ضمرة بن حنظلة السماك أنه

قال :

(١) معجم البلدان - لياقوت الحموى ٥٢٩/١ دار صادر - بيروت .  
(٢) العبر في خير من غير - للذهبي - تحقيق: فؤاد سيد - طبعة الكويت ١٣٨/٢ وما بعدها .  
(٣) وفيات الأعيان - لابن خلكان .

”دخل الحلاج ”واسط“ ، وكان له شغل ، فأول حانوت استقبله كان لقطان ، فكلفه الحلاج السعى فى إصلاح شغله ، وكان للرجل بيت مملوء قطناً ، فقال له الحسين : اذهب فى إصلاح شغلى . فابى أعينك على عمالك ، فذهب الرجل ، فلما رجع رأى كل قطنه محلوفاً ، وكان أربعة وعشرين ألف رطل ، فسمى من ذلك اليوم ”الحلاج“ ، ولازمته هذه الكنية طول حياته“ .

وقد أورد ”ابن كثير“ هذه الرواية أيضاً ، وأضاف رواية أخرى تقول : إن أهل الأهواز أطلقوا عليه هذه التسمية ؛ لأنه كان يكاشفهم بما فى قلوبهم ، فسموه ”حلاج الأسرار“<sup>(١)</sup> ويقول المستشرق ”ماسينيون“ : إن البقعة التى ولد فيها كانت من أعظم مناطق النسيج فى الإمبراطورية الإسلامية . وأن والده كان من عمال النسيج ، ولهذا سُمى حلاجاً وهو استساخ فكرى من ”ماسينيون“ لم يقم عليه دليل ، ولا شاهد من التاريخ<sup>(٢)</sup> .

والذى أميل إليه هو التوقف فى الرأى الذى روه ”ابن خلكان“ ؛ إذ أن ذلك ليس فى مقدور البشر ، بينما أطمئن إلى رأى ”ابن كثير“ من أن إطلاق كنية ”الحلاج“ عليه إنما جاء من مكاشفته للناس بما فى قلوبهم ، خاصة أن كراماته تعددت ألوانها ، واختلفت صورها فكان يُخرج للناس فاكهة الصيف فى الشتاء . وفاكهة الشتاء فى الصيف ، وكان يخرج من جيبه دراهم مكتوب عليها : ”قل هو الله أحد“ ، وكان يسميها ”دراهم القدرة“ ، مما ساعد على ذبوع صيته ، وغلبة هذه التسمية عليه ، وهى ”الحلاج“ .

وتُقدّم لنا دائرة المعارف الإسلامية روايتين متناقضتين عن نسبه :

- فالرواية الأولى : تصعد به إلى أبى أيوب الأنصارى ، الصحابى الجليل ، وبذلك تجعله عربياً خالصاً .
  - وتقول الرواية الثانية : إنه حفيد محوسى من أبناء فارس . يُدعى ”محمياً“ .
- والرواية التى تنسبه إلى الأنصار لم تثبت تاريخياً ، ولم يقل بها مؤرخ عربى . بل

(١) البداية والنهاية - لابن كثير ١١٣/١١ .

(٢) الحلاج - لطفه سرور - طبعة أولى - القاهرة - سنة ١٩٦١م ص ١٧٦ .

أجمع رجال التاريخ على أنه فارسي الأصل ، كما أنه فارسي المولد<sup>(١)</sup> .  
**نشأته :**

نشأ الحلاج بواسط ، وصحب "الجنيد" ، و"النوري" ، و"عمرو بن عثمان المكي" ، وفي مختصر "ابن الوردي" أنه قال<sup>(٢)</sup> : "قدم الحلاج من خراسان إلى العراق" ، ثم إلى مكة وأقام سنة الحجر لا يستظل بسقف ، يصوم الدهر ، ويفطر على ماء وثلاث عضات من قرص ، ثم قدم بغداد متزهداً متصوفاً . يخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ، ويمد يده في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم أحذية يسميها "دراهم القدرة" ، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه في بيوتهم ، وبما في ضمائرهم فاعتقد القوم فيه الحلول - وحاشاه عن ذلك .

ويقول المستشرق "ماسينون"<sup>(٣)</sup> : "اختار الحلاج "سهلاً التستري" على عجل ليقراً عليه ويتعلم التصوف على يديه ، وتركه وهو في العشرين ، وارتحل إلى البصرة . حيث كان الموالي الحارثية في البيضاء قد تحالفوا مع "بنى المهلب الأزديين" ، وذلك ليلتقى فيه الحرفة الصوفية من يد "عمرو المكي" ، وفي الوقت نفسه الذي ارتدى فيه الحرفة تروج يد "أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع البصري" ، ولم يتزوج بغيرها . واستمر زواجهما موفقاً حتى النهاية . فأنجبا ثلاثة أولاد وبناتاً واحدة على الأقل ، وكان يكفل لهؤلاء معاشهم بفصل صهره وهو "كرباني" ، وهذا الزواج الذي أثار غيرة "عمرو المكي" - جعل الحلاج "يقيم في البصرة في "حى تميم" ، من قبيلة "بنى مجاشع" ، التي كان "الكربانيون" من مواليهم ، كما كانوا سياسياً حلفاء للفتنة الزيدية التي أثارها "الزنج" ، وكان العهد عهد حروب الأرقاء الذين تأثروا بعض التأثير بالبدعة الشيعية المغلية .

ويظهر أن دخوله في هذه القبيلة كان هو الأصل فيما اشتهر عنه دانماً بأنه سراع إلى

(١) دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثامن ١٧/١ .

(٢) ترجمة الأولياء في الموصل الحنباء - لأحمد بن الحنيط الموصل - حققه ونشره . سعيد النويه - حى منير متحف الموصل - مطبعة الجمهورية - الموصل - سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م وما بعدها .

(٣) شخصيات قلقة في الإسلام لماسينيون - ترجمة : د/ عبد الرحمن بدوي ص ٦٣ وما بعدها .

الثورة، ومن هنا كان التبض عليه للمرة الأولى.

والحق أن "الحلاج" قد احتفظ من هذه المعاشرة لتلك القبيلة بتغيرات ذوات مظهر شيعى فى دفاعه عن مذهبه، ودعوته، بيد أنه استمر يعيش فى "البصرة" بين أسرته عيش الزاهد المتحمس ذى النزعة السنية دائماً، فكان يصوم رمضان كله دائماً، وكان فى يوم عيد النضر يلبس السواد، ويقول: "هذا لباس من يرد عليه عمله"، وهو موقف نفسى غريب ونوع من الدلال فى الخشوع لله، ولما أن استمرت الخصومة بين شيخه، وصهره "الأقطع" وقد صبر عليها مدة طويلة؛ اتباعاً لنصيحة "الجنيد" الصوفى المشهور، وكان "الحلاج" قد ذهب لاستشارته فى "بغداد"، فأعته الإمرة، فارتحل إلى "مكة"، ويلوح أن هذا الرجل كان فى الوقت الذى أخدمت فيه فتنة الزنج، وقضى عليها نهائياً، مما أكد عند "الحلاج" هذا اليقين - وهو أن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتم عن طريق الحرب الدنيوية، لكن عن طريق الصلوات، والتضحيات فى حياة الزهد والمجاهدة - فوصل إلى مكة لأداء فريضة الحج لأول مرة.. هناك نذر نفسه للقاء عاماً للعمرة فى حرم البيت العتيق، وهو فى حالة صوم، وصمت دائمين، اقتداء بـ "مريم" التى فعلت هذا - حسبما يقوله القرآن - استعداداً لميلاد كلمة الله فيها. وهذا سهم مريش، يحاول تسليده ماكر خبيث هو المستشرق "ماسينيون" إلى نحو المتصوفة المسلمين عامة. وللحلاج على وجه الخصوص.

فعلى عادة المستشرقين ومن نسج على منوالهم من تلامذة الاستشراق فى "مصر" وفى غيرها جعل الأتباع يرددون كالبيغاء ما يقوله أسيادهم - وهم أهل الفكر الصائب من وجهة - ومن هؤلاء الأسياد "ماسينيون"، الذى عمل حثيثاً على أن يدس السم فى العسل وحاول ما استطاع أن يجعل زهد "الحلاج" وصومه، واعتكافه بالبيت العتيق، إنما كان على غط "مريم البتول" - عليها وعلى ابنها السلام - وواضح أن يريد نسبة التصوف الإسلامى إلى الرهبنة المسيحية عن طريق غير مباشر، مستثراً وراء القرآن قائلًا حسبما يقوله القرآن ولم لا يكون فعل "الحلاج" هذا اقتداء بالأسوة الحسنة، والنبي العظيم سيدنا محمد ﷺ فى زهده وتقشفه. واعتكافه فى العشر الأواخر من رمضان بعيداً عن ضوضاء

الناس ، وعجيج الكون ، وتلك سنة محمدية ، وشريعة إسلامية ما تزال قائمة بين المسلمين إلى اليوم وحتى تقوم الساعة.

إنه يريد أن يقول : إن التصوف الإسلامي مرجعه إلى المسيحية ، وإنه لكذب وافتراء واختلاق من عند نفسه ، فالتصوف إسلامي لحمه ودماغه ، أما الرهينة المسيحية فالإسلام لا يعترف بها ، ومن ثم يقول ﷺ :

"لا رهبانية في الإسلام" ، فالرهبانية قسوة وتطرف ، والتصوف الإسلامي دين ودنيا ولم يقل إن "الحلاج" استمد ذلك من دعوة القرآن للزهد في الدنيا ، والإعراض عن بهرجها الكذاب ، وزخرفها الباطل ، وزينتها الزائلة ، وسرابها الخادع.  
قال تعالى :-

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ..... ﴾ (١)

وقال تعالى :-

﴿ ..... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الضُّرُورِ ﴾ (٢)

وقال تعالى :-

﴿ ..... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٣)

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة الواردة في هذا الشأن.  
وما أكثر هؤلاء الذين يريدون للتصوف الإسلامي أن يكون امتداداً للرهبنة المسيحية ولكن دعاواهم تتحطم على صخرة التصوف الإسلامي الشائخة الثابتة كالطود العظيم.  
ولما عاد "الحلاج" من "مكة" إلى "الأهواز" بدأ الوعظ في الناس ، مما أثار حفيظة الصوفية عليه ، فنذ خرقه الصوفية كيما يتكلم بحرية مع أبناء الدنيا خاصة الكتاب ، ورجال

(١) سورة الحديد : الآية (٢٠) .

(٢) سورة الحديد الآية (٤٠) .

(٣) سورة النساء : الآية (٧٧) .

الأعمال وهم جمهور مثقف، غير قليل الحد ومبال للشوك.

وبعض هؤلاء - سنيون من أصل آرامي، أو إيراني، أو نصارى دخلوا الإسلام وتخرجوا في المدارس النسطورية بدير "قنا"، وتقلدوا مناصب الوزارة في بغداد، وقد أصبحوا من أنصار "الحلاج"، وبعضهم كان من المعتزلة والشيعة، وهؤلاء الأخيرون كانوا من كبار موظفي الخراج - "كابن الفرات"، و"ابن نوبخت" وقد أثاروا شغب العامة ضد "الحلاج"، واتهموه بالشعوذة والاحتيال بالمعجزات الزائفة، كتوزيع الأغذية والدراهم على الفقراء.

ثم استأنف "الحلاج" أسفاره، فقام ثانية برحلة كبرى أبعد من الأولى إلى بلاد الهند حيث "المانوية"، و"البوذية" بالتركستان، فوصلها بطريق البحر، وصعد في "نهر السند" وذهب من ملتان إلى "كشمير"، ومضى في طريقه صاعداً ناحية الشمال الشرقي، حتى طرفاً "ماسين" مع القوافل الأهوازية، التي كانت تحمل إلى تلك الأصقاع الديباج المنسوج في طراز "تتر" وتعود منها إلى بغداد بالورق الصيني الجميل، المعروف بورق "ساسور" الذي سيطر عليه تلاميذ "الحلاج" في مؤلفاته.

من هناك عاد إلى مكة حاجاً للمرة الثالثة والأخيرة، ولما قفل عائداً من مكة إلى "بغداد"، أقام في بيته كعبة مصغرة، وفي الليل كان يعلى عند القبور، خاصة "قبر ابن حنبل"، وفي النهار يظل يلقي على قارعة الطريق في العاصمة بالأقوال الغريبة وفي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م انفجرت مؤامرة إصلاحية دبرها أهل السنة، واتهم فيها "الحلاج" بالتواطؤ وأمر بالقبض عليه فنجأ "الحلاج" و"الكرنبائي"، وذهبا ليختفيا في بلدة "سوس" بالأهواز وهي مدينة حبلية، وبعد ثلاث سنوات من تفتيشات الشرطة عنه بقيادة أحد الخوذة وبتعريض أحد السبيين الكارمين له، وهو "حامد" عامل "واسط" قُض على "الحلاج"، وحنى به إلى "بغداد" حيث ابتدأت فضيته النهائية التي استمرت تسع سنوات، وهي المحنة الحاسمة في تاريخ رسالته<sup>(١)</sup>، ويقول صاحب "روضات الجنات": "إنه كان يتردد على بلاد

(١) شخصيك تلقى في الإسلام لماسينيون - ترجمة: د/ عبد الرحمن بدوي - ص ٧١، ٧٢ - تصرف.

"خراسان" وما وراء النهر و"سجستان" و"فارس"، ويظهر لهم الدعوة وكان يدعى عندهم بـ "أبي عبد الله الزاهد، ثم لما رجع إلى الأهواز نطقوا عنه بـ "حلاج الأسرار"؛ لكثرة ما كان يخبر عن ضمائرهم، إلى أن أصبح لفظ "الحلاج" لقباً على التدرج"<sup>(١)</sup>.

وقد روى محقق ديوان "الحلاج" بعض ما يتعلق بنشأته وأسفاره، ورحلاته فقال:

"نزلت الحلاج" واسط" في حقبة كانت تغلى بالحروب الداخلية، ثم قصد هو إلى "تستر"، وهي "شوستر" الإيرانية على نهر "كارون"؛ ليحب "سهل بن عبد الله التستري" أحد كبار الصوفية في القرن الثالث الهجري (ت: ٢٨٣هـ - ٨٩٦م)، وتنقل "الحلاج" بين شيوخ التصوف المزمعين له حتى وصل إلى "بغداد"، ليأخذ عن "الجنيدي" البغدادي شيخ الطائفة الصوفية لأيامه (ت: ٢٩٨هـ - ٩١٠ - ١١م) لكن هذا لم يقبله قبولاً حاسماً؛ لتقّة "الحلاج" المفرطة بنفسه، ومبالغته في ممارسة الرياضات النفسية والجسدية.

ثم قصد "الحلاج" مكة حاجاً، ثم عاد منها إلى "الأهواز" بالقرب من موطنه القديم واعظاً، فلم ينجح النجاح المطلوب، وجعل ينتقل بين "خراسان" و"فارس" و"العراق" ليلقى عصا الترحال في "بغداد".

لكنه رحل عنها ثانية بعد أن ترك أسرته فيها حاجاً للمرة الثانية، ولم يعد إليها مباشرة بل قصد إلى الهند والصين في رحلة طويلة، جدد فيها أفكاره الصوفية، وراض نفسه على التصوف الهندي. ثم عاد إلى "بغداد" ليستقر فيها ابتداءً من نحو سنة ٢٩١هـ - ٩٠٣م، وله من العمر ست وأربعون سنة"<sup>(٢)</sup>.

ولترك أقرب الناس جميعاً إلى "الحلاج" يقصّ علينا تاريخه وحياته، وتنقلاته إلا

وهو "أحمد بن الحسين بن منصور" ابن الحلاج، حيث يقول:

"مولد والدي "الحسين بن منصور" بالبيضاء، في موضع يقال له "الطور"، ونشأ بـ "تستر"، وتلمذ لـ "سهل بن عبد الله التستري" ستين، ثم صعد إلى "بغداد"، وكان

(١) روصات الحنات في أحوال العلماء والسادات - مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٢) مقدمة ديوان الحلاج - د/ كامل مصطفى الشبيبي سنة ١٩٧٣م.

فى بعض الأوقات يلبس المسوح ، وفى بعضها يمشى بخرقتين مصبغتين ، ويلبس فى أحيان أخرى الدراعة والعمامة ، ويمشى بالقباء أيضاً على زى "الجنيّد" ، وأول ما سافر من "تستر" إلى "البصرة" ، كان له ثمانى عشرة سنة ، ثم خرج بخرقتين إلى "عمرو بن عثمان المكى" وإلى "الجنيّد بن محمد" ، وأقام مع "عمرو المكى" ثمانية عشر شهراً ، ثم تزوج بوالدتى "أم حسين بنت أبى يعقوب الأقطع" ، ولم يتزوج غيرها ، وكان حسن المعاشرة لها ، وتغير "عمرو بن عثمان المكى" من تزوجه بأبى ، وجرى بينه وبين أبى يعقوب وحشة عظيمة لذلك السبب ، ثم اختلف والدى إلى "الجنيّد" الشيخ والأستاذ "للحلاج" المرید والتلميذ ، ثم خرج إلى مكة وجاور سنة متعبداً ، ورجع إلى "بغداد" مع جماعة من الفقراء الصوفية .

هنا أصبح "للحلاج" جماعة يلتفون حوله ، ويأخذون عنه الطريقة الصوفية ، فقصد "الجنيّد بن محمد" ، وسأله عن مسألة فلم يجبه ، ونسبه إلى أنه مدّع فيما يسأله ، فاستوحش وأخذ والدتى ورجع إلى "تستر" ، وأقام نحواً من سنة ، ووقع له عند الناس قبول عظيم حتى حسده جميع من فى وقته ، وكان هذا سر كراهية الفقهاء ، ورجال الحكم مما أدى إلى قتله مصلوباً<sup>(١)</sup> .

ولم يزل "عمرو بن عثمان المكى" يكتب الكتب فى بابه إلى "خوزستان" ، ويتكلم فيه بالعظائم حتى جرد ورمى بثياب الصوفية ولبس قباء . وأخذ فى صحبة أبناء الدنيا ، ثم خرج وغاب عنا خمس سنين ، وبلغ إلى "خراسان" وما وراء النهر ، ودخل إلى "سوجستان" ، و"كرمان" . ثم رجع إلى "فارس" فأخذ يتكلم على الناس ، ويتخذ المجلس ويدعو الخلق إلى الله ، وكان يعرف بفارس "بأبى عبد الله الزاهد" ، وصنف لهم تصانيف ثم صعد من "فارس" إلى "الأهواز" ، وكان يتكلم عن أسرار الناس وما فى قلوبهم ، ويخبر عنيا .. ثم خرج إلى "البصرة" . وأقام مدة يسيرة ، وحلفنى بالأهواز عند أصحابه ، وخرج ثانية إلى "مكة" ولبس المرفعة والنوطة ، وخرج معه فى تلك السفرة خلق كثير ثم كثرت الأقاويل بعد روعه من هذه السفرة ، فقام وحج ثالثاً وجاور سنين ، ثم رجع

(١) طلاقات الصوفية - للسلمى ص ١٥٧ - ط: القاهرة - سنة ١٩٥٢م .

وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار "بيغداد"، وبنى داراً، ودعا الناس إلى معنى لم أقف إلا على شطر منه حتى خرج عليه "محمد بن داود"، وجماعة من أهل العلم وفبحوا صورته، ووقع بينه وبين "الشبلي" وغيره من مشايخ الصوفية، فكان يقول قوم: إنه ساحر، وقوم إنه مجنون، وقوم يقولون: إنها كرامات، فاختلفت الألسنة في أمره حتى أخذه السلطان وحبه<sup>(١)</sup>.

في نهاية هذا العرض الذي تناول مسيرة الحلاج صوفياً وزاهداً، ورخالة دؤوباً وواعظاً ملتزماً، وسياسياً ثائراً، أميل إلى الاعتقاد بأن ما ورد في بعض كتب التراث من طعن في شخصية "الحلاج" قد يرجع إلى تعاطف مع أعدائه على كثرتهم من خصوم سياسيين، أو حُساد صوفيين، أو فقهاء متحاهلين، ولكن "الحلاج" كان صوفياً زاهداً، عالماً ذا معارف وكرامات، شهد له بها أهل عصره، والذين زامنوه من فطاحل الصوفية "كالغزالي"، و"أبي عباس المرسى" وغيرهم.

وقال "ابن سريج" - أحد فقهاء السلف: "أما أنا فأراه - أي الحلاج - حافظاً للقرآن، عالماً به. ماهراً في الفقه، عالماً بالحديث، والأخبار، والسنة، صائم الدهر، قائماً الليل، يعظ، ويسكى، ويتكلم بكلام فلا أفهمه. فلا أحكم بكنهه".

وما أعدل "ابن سريج"، وما أحكمه فالحكم بالكفر لا يكون إلا بتيقن ذلك من المحكوم عليه به، وكيف يكون ذلك التيقن مع عدم فهم الكلام، الذي به الحكم، والحكم على الشئ فرع عن تصوُّره<sup>(٢)</sup>.

ذلكم هو الصوفي الذي شهد بولايته بعض الناس، ويكفره آخرون، لمحالفته في الظاهر للشريعة في بعض أقواله وأعماله، التي صدرت منه وهو في حال الأخذ والشطح، وقد علق على ذلك هو نفسه، فقال للشيخ "علي بن مردويه": "خذ من كلامي ما يبلغ إليه علمك، وما أنكره علمك فأعرض عنه، ولا تعلق به فتضل عن الطريق.

(١) الحظيب البيهقادي ١١٢/٨ : ١١٤

(٢) أخبار الحلاج - تقديم وتعليق عبد الحميد محمد مدني هاشم ص ٥ - شركة الطاعة السبية سنة ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م ص ٥

وقال لإبراهيم بن قاتك - أحد محبيه - "يا بنى ، إن بعض الناس يشهدون على الكفر ، وبعضهم يشهدون لى بالولاية ، والذين يشهدون على بالكفر أحب إلى ، وإلى الله من الذين يُقرُّون بالولاية" ، ثم يبين ذلك فقال : "لأن الذين يشهدون لى بالولاية من حُسن ظنهم بى ، والذين يشهدون على بالكفر - يشهدون تعصباً لدينهم ، ومن تعصب لدينه أحبُّ إلى الله من أحسن الظنِّ بأحد" (١) .

ولا ريب أن "الحلاج" رحمه الله لم يكن صوفياً عادياً ، يسير على المنهاج الصوفى المقرَّر فى سائر أحواله ، بل كان له أحوال خاصَّة تحوَّل إليها بعامل تفكُّره الجوّال بعمق فى صفات الله - تعالى - وآياته ، وكان يرى السَّعادة فى أنه يرى الله - تعالى - فى كلِّ شئ يراه أو يسمعه ، لا يرى غيره - تعالى - فى الوجود نغماً يجرى لسانه إلا ما كان ثابتاً بقلبه ، وهو الله ومدبره ، فما كان يذكر سواه - جل علاه - وكان يقول :

نسمة من جنابه      أوقفتنى ببابه

❖❖❖

يا عوضى من عوضى      وصحتى من مرضى  
تجلى لى فأحيانى      بكأس ماله ثمانى

❖❖❖

ذكرتك لا أنى نسينك سيدى      وأيسر ما فى الذكر ذكر لسان  
ذكره ذكرى ، وذكرى ذكره      هل يكون الذاكران إلا معاً (٢)

ويقول :

أنا حسين الحلاج      أيش نكرهون من حالى  
أنا حلجت قطنى      بذكر ذى الجلال

(١) أخبار الحلاج - تحقيق: عبد الحفيظ محمد مننى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ص ٦.  
(٢) أخبار الحلاج - تحقيق: عبد الحفيظ محمد مننى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ص ٦ ، ٧ .

ومكانة "الحلاج" في حبه لباني السماوات، وداحي الأرضين مصورة سـ  
وسلوكة. وفي بيانه ومنه قوله :

لقد أعجبنى الوجود .: بمن أهواه والفقـد  
فلا بُغـد ولا قُرب .: ولا وصل ولا صـد  
ولا فوق ولا تحت .: ولا قَبـل ولا بـغـد  
ولا عرف ولا نكر .: ولا يأس ولا وعد  
فهذا منتهى سؤلى .: وهو الواحد الفرد (١)

### وفاته :

يروى محقق ديوان "الحلاج" أن الدولة العباسية كانت تعاني من خطر السقوط على يد  
"الترامطة"، الجناح العسكري للحركة الفاطمية الإسماعيلية، وقد ألقى القبض على  
"الحلاج" سنة ٣٠١هـ - ٩١٣م، بعد مراقبة من الشرطة دامت سنتين بتهمة القرمطة. وسير  
في "بغداد" معلقاً بحبل مدة ثلاثة أيام، نصحاً له وتعزيراً، ولما أثبت التحقيق أنه كان لحسابه  
خيف من قتله، وثورة أنصاره، فسجن في دار السلطان في بناية شيدت خصيصاً له وسمح  
للس بزيارته في سجنه، ففاز بإعجاب الكثيرين، وفي أثناء القحط والمجاعة. وخطر  
الدولة الناطمية، وارتفاع الأسعار، وكسر السجون، وإحراق الجسور، وسقوط الوزراء  
وعزل الخليفة مرتين وجد الوزير "حامد بن العباس" أن قتل "الحلاج" قد يشعل الناس  
ويخفف من التوتر الاجتماعي والسياسي، ويُلقى الرُعب في قلوب المعارضين داخلاً  
وخارجاً. فقدم "الحلاج" للمحاكمة بعد تخرش بأعوان الوزير، وشكلت المحكمة من قاصي  
القضاة المالكي أبي عمرو الحماوي رئيساً، وأبي جعفر البهلوي وأبي الحسين الأشتنبي  
القناصيين الحنفيين بالرصافة و"الكرخ" من "بغداد" عضوين، ولم يحضر الجلسة أحد من  
الشافعية. ولا من الخابطة الذين كانوا خصوم الدولة وأنصار "الحلاج"، وصدر حكمه

(١) المرجع السابق ص ٧

بإعدام "الحلاج" على الصورة التي نُفذت في أسرى "القرامطة" وجواسيسهم، فضُرب ألف جُلدة، ثم قُطعت أطرافه الأربعة، وضربت عنقه، وأُحرقت جثته، ثم ذرى رماده في "دجلة"، ثم حُمِل رأسه إلى "خراسان"؛ لأنه كان له بها أصحاب، ثم حُرقت كُتبه وأُخذ من الورّاقين عهد بعدم تناولها، وطُورِد أنصاره ثلاث سنين، وقُتل عدد منهم<sup>(١)</sup>.

والذي أراه من خلال هذا أن إعدام "الحلاج" كان سياسياً، والهدف من قتله تورط الدولة العباسية، والخطر الذي أحاق بها من شتى النواحي، وأحاط بها من جميع المناحي خاصة الغلاء وما فيه من بلاء.

وأما التنازع المريد بين حول "الحلاج" وكثرة أنصاره ومريديه، ومن اعتنقوا مذهبه رأته الدولة أنه مصدر خطر عليها، ومنبع قلق لحكامها الذين شُغلوا بملذّاتهم، والجري وراء شهواتهم عن مصالح الشعب، فكان ذلك سبباً في كثرة أنصار "الحلاج" في كل صقع وفي كل بلد نزلها، مما دفع الحكّام لبناء مسجن خاص به.

وهناك أمر آخر يُرِينا أن قتل "الحلاج" كانت دوافعه سياسية وليس غيرة على الدين أو خشية الفتنة من جرّاء ما تلفّظ به العسوفى الزاهد "الحسين بن منصور الحلاج"، وهو في حالة سُكر وغيبوبة من فرط الوجد، واضطراب نار الجوى في أضلاعه، وتعلّقه بالحب الإلهي، والشوق إلى الوصل والمشاهدة والمكاشفة، وهذا السبب هو موافقة فقهاء المالكية والأحناف دون الشافعية والحنابلة، فعدم موافقتهم على إهدار دمه وحضور جلسة الحكم إنّما هو استنكار لما حلّ به وأصابه من سجن وتعذيب.

ودليل ثالث على أن قتل "الحلاج" كان خوفاً من الخطر الذي شكّله على الدولة وحكّامها، وهو أتباع المنتهج الديني، وهو ما يخشاه كلُّ سلطان يجيد عن الجادة، ويحري وراء تحقيق أطماعه الدنيوية، والانتعاش في لذائذ الحياة ومتعتها، منصرفاً عن الآخرة غير ملتزم بالمنهج السوي المستقيم - منتهج المولى تبارك وتعالى - وإلا فما الذي دفع هؤلاء إلى حمل رأسه - وهو غاية في البشاعة، والتمثيل، والغلظة، وقسوة القلب فضلاً عن

(١) ديوان الحلاج - جمع وتحقيق - د/ كامل مصطفى النسيبي ص ١٣

عدم مراعاتهم لكرامة الأدمى على وجه العموم - كما قال تعالى :-

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادٍ ..... ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠]

إلى "خراسان" بحجة أن "الحلاج" له بها أصحاب وأنصار، إذ الفرض من ذلك هو إرهاب أتباعه ومطاردتهم حتى تتمكن الدولة من قتل أفكاره ومنهجه بعد قتله هو وحتى يعيش الحكام فى أمن وطمأنينة من "الحلاج" ومنهجه الصوفى الداعى إلى الزهادة فى الدنيا والعمل للأخرة.

والدليل على أنهم أرادوا قتل فكره، ومنهجه فى الحياة أيضاً بعد زواله هو إحراق كتبه، وأخذ تعهد على الوراقين بعدم تداولها، وكل ذلك كان من دوافع السيطرة والحفاظ على أمن الدولة ضد الدين وأصحابه، وإلا "الحلاج" عندما قُدِّم للمحاكمة قال لهم: "ظهرى حمى، ودمى حمى. ولى كبد لدى الوراقين ألغتها، فى الكتاب والسنة. ودينى الإسلام. واعتناني بأن محمداً ﷺ حاتم الأبياء".

ومع ذلك وقع الفقهاء فتواهم بخواز إراقة دمه، وتلك وصمة عار فى حبين هؤلاء الفقهاء الذين أصدروا فتاواهم بخواز قتله، وإهراق دمه خاصة بعد إعلانه أمامهم جميعاً بأن الإسلام دينه، ومحمداً - عليه الصلاة والسلام - نبيه ورسوله

وتروى دائرة المعارف الإسلامية أن مدة السجن التى قضها "الحلاج" بلغت ثمانى سنوات ابتداءً من سنة ٣٠١هـ، وكان ذلك فى سجن "بغداد"، وأن محاكمته بأمر الوزير "حامد" استمرت سبعة أشهر<sup>(١)</sup>، وكانت وفاته فيما تقول "دائرة المعارف" فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى القعدة عام ٣٠٩هـ، الموافق السادس والعشرين من مارس عام ٩١٢م. وكان ذلك فى ساحة السجن الحديدى فى "بغداد" على الضفة اليمنى لنهر "دجلة" أمام "باب الطاق".

ويقول صاحب "ميزان الاعتدال فى نقد الرجال": إن قتله كان سنة إحدى عشرة

(١) دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثامن ١٧/١

وثلاثمائة سنة ٣١١هـ<sup>(١)</sup>، والأرجح أن قتله كان سنة تسع وثلاثمائة، حيث إن الروايات التي ذكرت مقتله في هذه السنة متواترة، أو تكاد وليست هناك رواية تذكر في مقتله في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة لا هذه الرواية التي ذكرها "الذهبي" في كتابه "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، ولذلك تُعدّ ضعيفة، لا يُعتدّ بها في تاريخ وفاة "الحلاج" المجمع على وفاته في سنة ٣٠٩هـ تسع وثلاثمائة من الهجرة النبوية.

## ثقافته وفكره، ومؤلفاته أولاً: ثقافته :

لقد كان "الحلاج" رُحِبَ الأفق، ذا ثقافة عالية، رفعته إلى مصافِّ كبار الأساتذة والمعلمين، ولعل ذلك راجع إلى تطوُّفه بالبلاد، ومخالطته لصفوة من العلماء، وتلمذته - قبل أن يتصدَّر الوعظ والتعليم والإرشاد - على أعلام الصوفية النجباء، ومن أبرزهم "أبو محمد سهل بن عبد الله التستري"، وكان "سهل بن عبد الله التستري" فيما يروى صاحب الرسالة القشيرية<sup>(٢)</sup> : صاحب كرامات، ولقى "ذا النون المصري" بمكة سنة خروجه إلى الحج، ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وكان يُسأل عن دقائق الزهد، والورع، وفقه العمارة وهو ابن عشر فيحسن الإجابة.

وقد قرأ "الحلاج" على "سهل بن عبد الله التستري"، وتعلَّم على يديه التصوُّف ولكنه لم يلبث أن تركه وهو في العشرين من عمره، وارتحل إلى البصرة حيث تزوج بنت "أبي يعقوب الأقطع" البصري، وأنجب منها ثلاثة أبناء وبتاً، وقد أشار هذا الزواج غير أن أستاذ آخر من أساتذة "الحلاج"، هو "عمرو بن عثمان المكي"، الذي مات بعدد سنة

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدهلي - تحقيق علي محمد البعالي - القسم الأول - دار إحياء الكتب العربية - تيسر انطلي - الضعة الأولى - ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م - ص ٥٤٨ - رقم الفرجمة ٢٠٥٩  
(٢) الرسالة القشيرية - تحقيق الإمام المرحوم عبد الحلِيم محمود، د/ محمود بن الشريف - دار أنك - الحبيثة - القاهرة - سنة ١٩٦٢م ص ١٠٤.

## كنه التصوف:

التصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي؛ كردّ فعل مضادة للانغماس في الترف الحضارى، مما حمل بعضهم على الزهد الذى تطوّر بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم "الصوفية". إذ كانوا يتوخّون تربية النفس، والسمو بها؛ بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد أو الاستدلال، لكنهم جنحوا فى انفسار بعد ذلك، حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة<sup>(١)</sup>.

والتصوف فى حقيقته إيثار وتضحية، تضحية باللذائذ والشهوات، وإيثار لما يبقى على ما ينقى، تضحية بالعاجل وإيثار للأجل، مجاهدة للنفس، ومغالبة لأهوائها هو نزوع فطرى إلى الكمال الإنسانى، والتسامى والمعرفة، عن طريق الكشف الروحى. أو العلم اليقينى الناشئ عن الإلهام الإلهى، والنظر العقلى، والرياسة النفسية. وبعض الدلائل الحسية<sup>(٢)</sup>.

والتصوف روح لمجموع حقائق الإسلام، من عبادة، وإيمان، ويقين، وعرفان<sup>(٣)</sup>. وهو إيثار الحق على رغبات النفس، يقول الإمام "الجنيد": "التصوف: هو أن يملك الحق عنك، ويميلك به". ويقول معروف الكرخى: "التصوف: هو الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدي الخلائق". ويقول "أبو الحسن الشاذلى": "هو تدريب النفس على العبودية، وردّها لأحكام الربوبية".

وسئل أحد الصوفية عن معنى التصوف، فقال: "التصوف معناد: أن العبد إذا تحقّق بالعبودية، واتصف بشهود حقائق الربوبية صفاً من كدر الشرية، فنزل منازل الحقيقة

(١) الرسالة التفسيرية - تحقيق: الإمام المرحوم عبد الحلیم محمود. د/ محمود بن الشریف ص ١٥٠.

(٢) التصوف الإسلامى - أحمد توفيق عياد - الأتجلو المصرية ١٩٧٠م.

(٣) المدخل إلى التصوف الإسلامى - تأليف: محمود أبو الفيض المنوفى ص ٩.

(٤) ذاته ص ١٠.

وأخذ بمكارم الشريعة ، فإن فعل فهو صوفى".

والصوفى - كما يقول السرى" :- "أحد ثلاثة : واحد لا يطفى نور ورعه نور معرفته ، وواحد لا يتكلم بباطن فى علم ينقده عليه ظاهر من الشرع ، وواحد لا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله"<sup>(١)</sup>.

ويقول شاعر الإسلام "محمد إقبال" : "إن الإسلام يأخذ عن الصوفية طابعاً من الجمال ، والكمال والإنسانية العالية ، والأخوة العالية لا نجده فى إسلام الفقهاء والمتكلمين"<sup>(٢)</sup>.

ويقول "الطوسى" عن الصوفية : "إنهم معدن جميع المعلومات ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة ، وهم مع الله - تعالى - فى الانتقال من حال إلى حال مستجيبين للزيادة"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام "الغزالي" عن طريق الصوفية : "إنها قطع عقبات النفس ، والتزهد عن أخلاقها المذمومة ، وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله - تعالى - وتخليته بذكر الله"<sup>(٤)</sup>.

ويقول "ابن تيمية" فى رسالته عن الصوفية : "الصوفى هو من صفا من الكدر ، وامتلاء من الفكر ، واستوى عنده الذهب والحجر".

ويقول "الجنيد" : "الصوفى كالأرض يطرح عليها قبيح ولا يخرج منها إلا كل ملبع".  
ويقول أيضاً : "إنها كالأرض يطأها البارّ والفاجر ، وكالسحاب يُظل كل شئ". ويقول أيضاً : "إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره ، فاعلم أن باطنه خراب".

ويقول "الشبلى" : "الصوفى منقطع عن الخلق ، متصل بالحق"<sup>(٥)</sup>.

(١) الرسالة القشيرية - للإمام ابى القاسم عبد الكريم القشيرى - تحقيق: الدكتور / عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشریف ص ١٢٨ وما بعدها.

(٢) الممع للطوسى - منقحة الكتاب ص ٩ - تحقيق: الدكتور / عبد الحلیم محمود، وطه ممرور.

(٣) ذاته ص ٤٠ .

(٤) النقد من الضلال للغزالي.

(٥) الرسالة القشيرية - تحقيق: الدكتور / عبد الحلیم محمود، ومحمود بن الشریف ط ٢ ص ٥٥٢ ، ٥٥٤ .

كقوله تعالى :-

﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِتَقْبِلَ﴾ (١)

وقال أيضاً: "الصوفية أطنال في حجر الحق - سئل ذو النون المصري عن أهل التصوف فقال: هم قوم آثروا الله - عز وجل - على كل شيء، فأثرهم الله - عز وجل - على كل شيء". وسئل ذو النون المصري عن الصوفى فقال: "من سمع السماع وأثر الأسباب، وهى فعل المأمورات، وترك المنهيات" (٢).

• نشأة التصوف الإسلامى وأبرز الشخصيات:

ذهب ابن الجوزى النجدادى (ت ٥٧٩هـ) إلى أن الصوفية نسبة إلى رحل يقال له "صوفة". واسمه الغوث بن مر، ظهر فى العصر الجاهلى. وذهب البيرونى قديماً و"فون هامر" حديثاً إلى أن الصوفية إنما هى اشتقاق من "سوفيد" اليونانية، التى تعنى "الحكمة"، وهذا رأى يدعم موقف القائلين بأن التصوف الإسلامى إنما هو وليد الفلسفة الأفلاطونية.

- وقيل: الصوفية من "الصوف"، لاشتهارهم بلبسه.
- وقيل: من "الصفة" صفة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم.
- وقيل: من "الصفاء".
- وقيل: من "الصف الأول".
- يقول أبو سعيد الخراز: "الصوفى: من صفّاربه قلبه نوراً. ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله"
- ويقول أبو محمد الحريرى (ت ٣١١هـ): "التصوف: هو الدخول فى كل خلق سبى. والخروج من كل خلق ذبى".
- ويقول أبو بكر الكتانى (ت ٣٢٢هـ): "التصوف: خلق، فمن زاد عليه فى الخلق

(١) سورة ضه من الآية رقم (٥١).

(٢) الرسالة القشيرية - تحقيق: الدكتور/ عبد الحلیم محمود، ومحمود بن الشريف ط ٢ ص ٥٥٥

- زاد عليك في الصفاء. ويقول كذلك : "التصوف : صفاء ومشاهدة".
- ويقول "جعفر الخالدي" (ت ٣٤٨هـ): "التصوف : طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية ، والنظر إلى الحق بالكلية".
  - ويقول "الشبلي" : "التصوف : بدؤه معرفة الله ، ونهايته توحيده". ويقول أيضاً:  
"التصوف : الجلوس مع الله بلا هم ، أى ملازمة طاعة الله"<sup>(١)</sup>.
  - ويقول "القشيري" صاحب "الرسالة القشيرية" : "الورع : ترك الشبهات".

---

(١) الرسالة القشيرية - تحقيق: الدكتور/ عبد الحلیم محمود، ومحمود بن الشریف ط٢ ص ٥٥.

## ومن شخصياتهم المشهورة :

◦ رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٣٥هـ، و ١٨٠هـ، أو ١٨٥هـ، وقد جمعت بين الزهد والحب، أو ما يسمونه بالعشق الإلهي، كما أنها ساهمت في إثراء الأدب الصوفي.

◦ ومنهم إبراهيم بن أدهم (ت ٦١٦هـ) حيث إنه ترك الملك والسلطان، وأقل على الزهد والتصوف.

◦ وكذلك "سفيان الثوري" (٩٧ - ١٦٦هـ) من العلماء الزهاد، يقول: "الزهد في الدنيا: هو قصر الأمل. وليس يأكل الخشن، ولا يلبس العباء".

◦ ومسيم "ذو النون المصري" (ت ٢٤٥هـ) من مدرسة الزهد، ينحدر من أصل قبلي أو نوبي، هو أول من مهد لظهور مذهب المعرفة في التصوف، حيث يقول: "عرفت ربي بربي. ولولا ربي ما عرفت ربي".

◦ أبو القاسم الجنيد (ت ٢٩٧هـ) أصله من "نهاوند". ولد ونشأ بالعراق، وهو تلميذ الحارث المحاسبي، يقول: "التصوف: هو أن يبتك الحق عنك، ويبيك به". وقد سُئل عن قوم من أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات، من باب البر والتقرب إلى الله - عز وجل - فقال: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عدى عظيمة. والذي يسرق ويذني أحسن من الذي يقول هذا".

◦ أبو بريد البسطامي (ت ٢٣٤هـ، أو ٢٦١هـ)، كان جده مجوسياً، وأبوه من أتباع زرادشت. روى بأنه ذهب إلى رجل مقصود مشهور بالزهد، فشاهده يرمى سباقه تحاد القملة، فانصرف عنه، ولم يسلم عليه قائلاً: "هذا غير مأمون على ذب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه".

◦ أبو مغيث الحسين بن منصور الخلاج: (ت ٢٤٤ - ٣٠٩هـ)، ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي، ونشأ في "واسط" بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين. رمى بالكفر. وقتل مصلوباً لتهم أربع وجهت إليه:

١ - لاتصاله بالقرامطة

٢ - لقوله : "أنا الحق".

٣ - لاعتقاد أتباعه بألوهيته.

٤ - قوله في الحج ، حيث يرى بأن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

في شخصيته كثير من الغموض ، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيفاً ومغالياً ، له كتاب "الطواسين" الذي أخرجه وحققه "ماسينيون".

○ أبو حامد الفزالي : الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) ، ولد ب"طوس" من إقليم "خراسان" ، رحل إلى "جرجان" و"نيسابور" ، ولازم "نظام الملك" ، درس في المدرسة النظامية ببغداد ، واعتكف في منارة مسجد "دمشق" ، ورحل إلى القدس ، ومنها إلى الحجاز ، ثم عاد إلى موطنه ، وقد ألف عدداً من الكتب ، منها : "تهافت الفلاسفة" و"المنقذ من الضلال" ، وأهمها "إحياء علوم الدين" ، ويعد الفزالي "رئيس مدرسة الكشف في المعرفة . ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية ، وكشفه لفضائح الباطنية.

○ أبو الفتح شهاب الدين السهرودي (٥٤٩ - ٥٨٧هـ) : وُلد ب"سهرود" ب"إيران" نقل كثيراً ، صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية ، التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات "الفرس" القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود ، وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفاطونية الحديثة ، ومذاهبها في الفيض أو الظهور المستمر . وقد حوكم وقتل بفتوى من علماء "حلب" ب"سوريا" ، من كتبه : "حكمة الإشراق" ، و"هياكل النور" ، و"التلويحات العرشية" ، و"المقامات".

○ "نحى الدين بن عربي" الملقب "الشيخ الكبير" (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) : رئيس مدرسة وحدة الوجود ، يعتبر نفسه خاتم الأولياء ، وُلد بالأندلس ، ورحل إلى "مصر" وحج ، وزار "بغداد" ، واستقر في دمشق ، حيث مات ودُفن ، وله فيها الآن قبر

بُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية، إذا تيسر له الاستعراق في وحدانية الله.

وله كتب كثيرة يصل بعضهم بها إلى ٤٠٠ كتاب، ورسالة ما يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية، ومكتبات تركية أخرى. وأشهر كتبه "روح القدس" و"ترجمان الأشواق"، وأبرزها "الفتوحات المكية" و"نصوص الحكم".

○ "أبو الحسن الشاذلي" (٥٩٣ - ٦٥٦هـ): وهو صاحب "الطريقة الشاذلية"، من أقواله: "إننا ننظر إلى الله ببصائر الإيمان والإتقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان".

○ الأقطاب الأربعة: "عبد القادر الجيلاني"، و"أحمد الرفاعي"، و"أحمد السدوي" و"إبراهيم الدسوقي".

○ ومنهم الفيلسوف الفرنسي "رينيه جينو" الذي أسلم وتصوف في أوروبا، وسمى نفسه "عبد الواحد يحيى". وقد دافع عن الروحانية الإسلامية، مياً سمو التصوف الإسلامي - على حسب رأيه - من كتبه "أزمة العالم الحديث". و"رمزية الصليب"، و"الشرق والغرب".

وحركة الزهد والرهنة والتبتل إلى الله - عز وجل - في كثرة كاتبة من الأدباء السماوية القديمة، كما كانت موجودة في الديانات الوثنية، ومن البلاد التي عرفت بذلك في قديم الزمان حتى يومنا هذا "الهند"، التي ما تزال على وثنتها من عبادة الأبقار.

والزهد هو المعنى العام للتصوف الإسلامي، أما التصوف بمعناه الخاص فهو إسلامي خمة وسدى.

يقول "القشيري": "أما بعد رضى الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رُسله وأنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم - وجعل قلوبهم معادن أسرارهم. واحتصهم من بين الأمة بطواع أنواره، فهم الغيث للحلق واندائرون في عموم أحوالهم مع الحق، بالحق صغاهم من كدورات البشرية، ورفعهم

إلى محالّ المشاهدات بما تجلّى لهم من حقائق الأحدية ، ووقفهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية ، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف ، وتحققوا بما منه - سبحانه - لهم من التقليل والتصرف ، ثم رجعوا إلى الله - تعالى - بصدق الافتقار ، وعتت الانكسار ، ولم يتكلموا على ما حصل من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال ، علماً منهم بأنه - جل وعلا - يفعل ما يريد ، ويختار من يشاء من العبيد ، وثوابه ابتداء فضل ، وغذابه به حكم عدل وأمره قضاء<sup>(١)</sup> .

ويقول "المراودى" : "اعلموا - رحمكم الله - أن شيوخ هذه الطائفة - ويعنى "الصوفية" - بنوا قواعدهم على أصول صحيحة فى التوحيد ، صانوا بها عقاندهم عن البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السُّنة ، من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القم ، وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم ، ولذلك قال سيد هذه الطريقة "الجنيّد" - رحمه الله - : "التوحيد هو : "إفراد القدم من الحدث" ، وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد"<sup>(٢)</sup> .

فالقرآن الكريم مشرع التصوف بآيته الباعثة على التقوى والأمره بالإخلاص واليقين والتوكّل وحسن العبودية لله وغير ذلك ، وتلك الآيات تشغل من القرآن الكريم ما يقارب نصف مجموعها ، والباقي فى تشريع العبادات والمعاملات وقصص السالفين : لتكون عبرة وذكرى للمتذكرين ، ولكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد<sup>(٣)</sup> .

ففى قوله - تعالى - : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ..... ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) الرسالة القشيرية .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى .

(٣) المدخل إلى التصوف الإسلامى للمنومى .

(٤) سورة مريم : الآية (٣٠) .

وفى قوله - تعالى :-

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١)

وفى قوله - تعالى - :

﴿.....لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .....﴾ (٢).

وفى قوله - سبحانه - :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣)

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٤) (٣)

وفى قوله - تعالى - :

﴿.....إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.....﴾ (٥)

أبى العلماء بالله. وفى قوله :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا﴾ (٦) (١٣)

وفى قوله - عز وجل - :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٧) (٢٠)

(١) سورة الكهف : الآية (٢٨)

(٢) سورة ق : الآية (٣٧)

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩٠ ، ١٩١)

(٤) سورة فاطر الآية (٢٨)

(٥) سورة الفرقان (٦٣ ، ٦٤)

(٦) سورة فصلت (٣٠)

وفى قوله :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ (١)

وفى قوله : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

وفى قوله :

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ (٢)

وفى قولته تعالى - "عبادى" ، و"يحبهم ويحبونه" ، و"رضى الله عنهم ورضوا عنه" وسائر الآيات التى تذكر المحسنين والصادقين ، والقانتين ، والمخبتين ، والصابرين والراضين ، والمتوسمين .

وسائر الآيات أيضاً التى ورد فيها قوله - تعالى :- .....

﴿.....أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[سورة المجادلة: الآية ٢٢]

وفوه تعالى :-

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (٣)

وجميع الآيات القرآنية الواردة فى كتاب الله - عز وجل - والتى نحث على النظر فى خلق السماوات والأرض ، وفى الأنفس كقوله تعالى :-

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾﴾ (٤)

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦٩) .

(٢) سورة الحديد : آية رقم (٣) .

(٣) سورة الحجرات : آية (١٣) .

(٤) سورة الذاريات : آية (٢١) .

وقوله تعالى :-

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (١)

وكذلك الآيات الواردة في الآفاق، وفي الكون جميع ذلك يدل دلالة حاسمة على

أن التصوف الإسلامي مقسوس ومستمد من كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ ويذهب المستشرق "ماسينيون" إلى أن التصوف دخيل على الإسلام، فيقول: إن علماء الإسلاميات حائزون في السُّنة، ومن ثم ذهب إلى أن التصوف دخيل على الإسلام بعيد عن روحه.

ولم يذكر المستشرق "ماسينيون" من علماء الإسلاميات الذين دار بينهم الخلاف ولو عالماً واحداً، كما أنه لم يسق دليلاً على دعواه.

أما المستشرق "ماركس" يقول: "إن التصوف الإسلامي مأخوذ من رهبانية التام خاصع للروحانية المسيحية". وذلك صطلق لم يعرف إلا من "ماركس" وأمثاله، الحاقدين على الإسلام، والدين براهم يردون دائماً أن الإسلام عقيدة جافة تنأى عن الروحانية، فلما ووجهوا بالتصوف الإسلامي وما فيه من روحانيات وزهد وورع، واتصال بالملكوت الأعلى عن طريق الكشف والمشاهدة، تعالت صيحاتهم المحمومة الحقدة أن التصوف الإسلامي مقسوس من الرهبنة المسيحية.

ويذهب المستشرق "جونس" إلى أن التصوف الإسلامي وثني، حيث إن فلسفة اليونان وثنية، وكذلك الفلسفة الفارسية.

ويذهب "نيكلسون" إلى أن الزهاد المسلمين - ويعنى بهم الصوفية - قد تشبهوا برهبان الصائري في نس الصوف، وحدثى حذوو في هذا الزعم المستشرق "ماسينيون" (٢) ويدعى "نيكلسون" أن التصوف الإسلامي قد تكون من تأثيرات خارجية غير إسلامية، وهي

(١) سورة عس ٠ آية (٢٥).  
(٢) التصوف الإسلامي عند المستشرقين - العدد ٢٧ من سلسلة الثقافة الإسلامية بالقاهرة ص ١٤ .

المسيحية، والأفلاطونية الحديثة، والبوذية، وأنه ليس في القرآن أصل للتفسير الصوفي للإسلام، وأن الراقد الأصيل لحب الله عند الصوفية منتزع من المسيحية<sup>(١)</sup>. وهنا يفرق "نيكلسون" بين حركة الزهد كحركة إسلامية خالصة، نشأت في بيئة الإسلام الأولى، وترعرعت في ظلاله، ولذلك لم يهرخن في نفس يعقوب فالتوصف بمعناه العام قديم موغل في التاريخ، كقدم الثزعة التي دعت إليه، وهي نزع تصفية القلب وإخلاص العبودية لله، ولكنه لما وجد تحت ظلال الإسلام، وأحيط بأداب القرآن، دخل في دور جديد<sup>(٢)</sup>.

ورد مصطفي عبد الرازق على "جولد زيهر" في زعمه بأنه يجب عند النظر في التصوف الإسلامي نظراً تاريخياً تقدير النصيب "الهندي" الذي أسهم في تكوين هذه الطريقة الدينية المتولدة من المذهب الأفلاطوني الجديد، مما تابع فيه زميله "نيكلسون" وأن "نيكلسون" على الأصح قد تابعه فيه<sup>(٣)</sup>.

إن منابع التصوف الإسلامي هي منابع إسلامية صرفة، وفي ذلك يقول الإمام "الجنيدي": "مذهبنا هذا - التصوف - مقيّد بأصول الكتاب والسنة". ويقول: "علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله ﷺ". ويقول: "علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة وإنما هو ثمرة العلم والتقوى، فيوفق صاحبها للخير، ويلهم الرشد، فأما أن يترك العلم ويقول: إنه يعتمد على الإلهام والخواطر، فليس هذا بشئ؛ إذ لولا العلم الثقلي ما عرفنا ما يقع في النفس، أمن الإلهام للخير، أو الوسوسة من الشيطان، واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول، كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية، فإن العقلية كالأغذية، والشرعية كالأدوية، ولا يتوب هذا عن هذا"<sup>(٤)</sup>.

(١) ذاته ص ١٧.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين - الأستاذ/ محمد فريد وحدي، وأيضا التصوف عند المستشرقين - للدكتور/ أحمد الشرباصي ص ١٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - مادة "تصوف".

(٤) ذاته ص ٣٢٢.

وقيل: "ما أخلص عبداً قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"<sup>(١)</sup>

ويقول الشَّعراني: "التصوِّف عبارة عن علم أُنقذخ في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسُّنة، فكلُّ من عمل بهما انقذح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها"<sup>(٢)</sup>.

وغن لسنا مع مذهب من يرجع المعاني التي تناولها الصوفية إلى أدب أو تصوف الفرس والهند واليونان مع القرآن والسنة والثوق، ولكننا نقول: إن توافق الأفكار بين شاعر وشاعر، وكاتب وكاتب أكثر تبادراً إلى الذهن من محاولة إثبات الأخذ ولم يصح أن صوفياً أخذ معنى حكمة قديمة وعثر عنها بأسلوبه فليس في ذلك صير: لأن الثقافات تتصل في نفس الأديب والشاعر بشعور وبلا شعور، ولأن من طبيعة اختلاف العصور والثقافات أن يأخذ المتأخر من المتقدم، وغن لا نتحدث عن العوارض المشتركة بين لأدب الصوفي وغيره. وإنما نتحدث عن المميزات الأصيلة له، والسّمات الواضحة فيه<sup>(٣)</sup> ونحن إلى هذا الرأي أميل.

بمعنى إن المسيحية هي دين الرّهمد، ولكن الرّهمد هو المعنى العام للتصوِّف، لا المعنى الخاص الذي كان عليه التصوف الإسلامي، ونجد أن المسيحية - وهي تقول طبيعة واحدة للمسيح - عندما تلتقى بالتفكير الوثني الإغريقي والروماني في جامعة الإسكندرية وغيرها تعود فتقول بالثلثية. لأن عادة التفكير الوثني تأليه البشر، والقول بالوهية بعض الناس كذلك سرى فكرة التثليث واضحة في مصر القديمة "إيزيس، أوزوريس، هورس" والأفلاطونية الجديدة ليست إلا أنثراً لأتصال الفكر الشرقي بالفكر الإغريقي في جامعة الإسكندرية القديمة. هذا الأتصال الذي نشر فكرة التثليث في المسيحية هو راهب مصري له يلبس أن أصبح البابا العشرين لكنيسة الإسكندرية (٣٢٦ - ٣٧٣م) واسمه

(١) الرسالة التشريحية - ط ١ ص ٩٦

(٢) الضمائم الكبرى للشعراني ٤/١، وأيضا الأدب الصوفي للتكتور محمود فرح ص ٦٢.

(٣) دراسات في الأدب الصوفي - دكتور / محمد عبد المنعم خفاجي ١١٠/١.

أثناسيوس<sup>(١)</sup>.

وكانت "أوديسا" مركزاً للقائلين بطبيعة واحدة للمسيح، وكان التصاري الساميون يحاربون التماثيل الوثنية، وعقدت المؤتمرات الدينية للبحث في طيعة المسيح وإدخال الصور والتماثيل، ولقد وقف المستشرقون من الإسلام نفسه موقفاً أعجب، فذهب "نيكلسون" إلى أن الإسلام بجملة وتفصيله مردود في أصوله وفروعه إلى الرهبة المسيحية.

ويذهب "جولد زيهر" إلى أن "الآرية" أعظم من "السامية"، وكذلك "رينان" الذي فصل بين العقلية "الآرية" والعقلية "السامية"، أي بين العقلية الشرقية والأوروبية، ورأى أن الغرب يُبدع والشرق يحاول فهم إبداع المدركات الأوروبية.

وعلى هذا التمثط يفكر "غوستاف لوبون" صاحب "حضارة العرب" الذي ابتدع للإسلام أصلاً من الأسطورية اليونانية والرهبة المسيحية.

وعلى هذا المنهج يفكر "كايتاني" الإيطالي صاحب "حوليات الإسلام" والأب "لامنسى" البلجيكي، و"ماينيون" الفرنسي، و"نيكلسون" الإنجليزي وسواهم.

وتترنم بعض الآداب المصرية القديمة بفكرة تمجيد الله والتبثل في محبته وطاعته، وقد عمل "إخناطون" على نشر فكرة التوحيد. ولكنه أخفق وقضى على مذهبه بعد وفاته<sup>(٢)</sup>.

ولا يصح أن نسمي ذلك تصوفاً، ونذهب إلى أنه منبع من منابع التصوف الإسلامي، وكذلك لا يصح أن نربط بين التصوف وبين بعض الأفكار الفارسية القديمة والمذاهب الهندية القديمة في الزهد كذلك.

وإذا كان الرهبان والأخبار في الأديرة والصوامع قد لجأوا إلى الزهد، وعاشوا به وعليه، فإن حركتهم هذه ليست لها صلة بالتصوف الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

والسلف من الصوفية كانوا أهل علم وعمل، يقول "ابن الجوزي":

(١) تاريخ الكنيسة المصرية - مجلة الهلال - عدد ديسمبر ١٩٢٧.  
(٢) راجع كتاب إخناطون لعبد المصم أبو بكر - سلسلة المكتبة الثقافية.  
(٣) دراسات التصوف الإسلامي ظلالة في الأدب العربي - تأليف محمد عبد المنعم خفاجي - الناشر: مكتبة القاهرة ص ٦٦.

"وقد كان أوائل الصوفية يقرّون بأن التعميل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لبقلة علمهم"<sup>(١)</sup>.

يقول "أبو يزيد": "لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود"<sup>(٢)</sup>.

وبإسناد عن أبي موسى يقول: "سمعت "أبا يزيد البسطامي" قال: "من ترك قراءة القرآن ، والتشكُّف ، ولزوم الجماعة . وحضور الجائز ، وعيادة المرضى ، وأدعى بهذا الشأن فهو مُتدع"<sup>(٣)</sup>.

وبالإسناد عن "عبد الحميد الحلبى" يقول: "سمعت سرياً يقول: من ادعى باطن علم ينقص ظاهر حكم فهو غالط"<sup>(٤)</sup>.

وعن "الحفيد" أنه قال: "مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة".  
وقال أيضاً: "علمنا منوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يفتنه لا يقتدى به"<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضاً: "ما أخذنا التصوف عن القليل والقال . لكن عن الجوع وترت الدنيا وقطع المألوفات والمستحسّنات ؛ لأنّ التصوف من صفاء المعاملة مع الله - سبحانه وتعالى - وأصله التفرّق عن الدنيا كما قال "حارثة" عزفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظلمات مهنارى"<sup>(٦)</sup>.

وعن "أبى بكر الشنّاف": "مَنْ ضَيَعَ حُدُودَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الظَّاهِرِ حُرِمَ مَشَاهِدَةَ الْقَلْبِ فِي الْبَاطِنِ". وقال "الحسين التورى" لبعض أصحابه "من رأته يدعى مع الله -

(١) تلبس اليبس - للحافظ الإمام جمال الدين أسى الفرج عبد الرحمن بن الجورى البغدادى ص ١٦٨ - مكتبة الأمم - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) ذاته

(٣) ذاته

(٤) ذاته

(٥) ذاته

(٦) ذاته ص ١٦٨ .

عز وجل - حالة تخرجه عن حدّ علم الشرع فلا تقرّبته ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدلّ عليها دليل ، ولا يشهد لها حفظ ظاهر فأتهمه على دينه .

وعن الحريري " قال : "أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد : هو أن تلزم قلبك المراقبة ، ويكون العلم على ظاهره قائماً".

وعن "أبي جعفر" قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خاطره فلا تعدّه في ديوان الرجال<sup>(١)</sup>.

وقول "أبي الجوزي" أيضاً : "وما كان المتقدمون في التصوّف إلا رؤوساً في القرآن والفقه والحديث والتفسير ، ولكن هؤلاء أحبوا البطالة"<sup>(٢)</sup>.

ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم ، لا بما ينافيه ، فإنّ الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيّلات أمور ينهى الشرع عنها ، فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب إلى ما نهى عنه ، كما لا تستباح الرّخص في سفر قد نهى عنه ، ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ، ويُعين على تصحيحها ، وأنّ الله - عز وجل - يُلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ "إنّ في الأمم محدّثين ، وإن يكن في أمتي فعمر"<sup>(٣)</sup>.

والمراد بالتحديث : إلهام الخير ، إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يحز له أن يعمل عليه ، وأما المختصر فقد قيل إنه نبيّ ولا يُنكر للأنبيا الاطلاع بالوحي على العواقب وليس الإلهام من العلم في شيء.

(١) ذاته

(٢) ذاته ص ٣٢٣

(٣) ذاته ص ٣٢٢

## ابن الفارض

هو الشاعر "شرف الدين عمر بن علي" المعروف "بابن الفارض". أشهر شعراء مصر في عصر الدولة الأيوبية، وهو شاعر صوفي أوقف شعره على التصوف، والعشق الإلهي وقد ورث الروح الصوفية عن والده، وبعد وفاة والده هاجر إلى مكة المكرمة، وأقام بها خمسة عشر عاماً، ثم عاد إلى القاهرة، وأقام بها حتى لقي الله - عز وجل - ودفن بسفح المقطم عن ستة وخمسين عاماً، وكان من أصحاب المذهب الرمزي في شعره الذي شاع فيه منحى كبار الصوفية، وأكثر فيه من صنعة البديع، مع الإجادة والرقّة، وطول النفس مع الأتكاء على مصطلحات الصوفية ورموزهم، وقد ذاع صيته واشتهر شعره بين الأدباء والشعراء والنقاد والصوفية والمستشرقين، وله ديوان شعر معروف، وقد نهض بشرحه "حسن البوريني"، وعبد الغني النابلسي وشرحه أيضاً رشيد بن غالب، وكان ابن الفارض "ورعاً زاهداً، متصوفاً، يتحلّى بالصلاح والتقوى، وكان الناس يجلبونه، وقدّرد الملوك والأمراء وكان إذا مشى في القاهرة يزدهم الناس عليه؛ يلتمسون منه البركة والدعاء. مع البية والوقار، فكان إذا خاطبه الخاصة من الناس فكأنما يخاطبون سلطاناً عظيماً. وكان شديد التأثير بالجمال في كل مظهر من مظاهره يميل إلى الخلو والتشّيف حسن العشرة، كريم الشجايا، مولع بالعشق الإلهي. حتى سُمي "سلطان العاشقين" وقد تخلّت جميع هذه السمات، وتلك الخصائص في شعره، وقد جاء ممتلاً باصطلاحات الصوفية وعشقمهم وآلامهم، وأحوالهم من وجد وسُكْر. وضخو وهوى، وشطح وتخريد وغير ذلك من قصص حُبهم الروحي الخالص، ويُعد "ابن الفارض" أشهر شعراء الصوفيين، ويغلب على شعره أسلوب عصره، وهو عصر "القاضي الفاضل"<sup>(١)</sup>، والعماد الأصبهاني، و"ابن النية"، و"البهاء زهير"، و"ابن سناء الملك"، وغيرهم فهو مولع بالصناعة البديعية من جناس، وطباق، ومقابلة، وطي، ونشر، ومُشاكلة، وتورية، ويتناز

(١) ابن الفارض والحب الإلهي - لمحمد مصطفى حلمي - التصوف الإسلامي لزرّك سارك ٢٩٠/١ وما بعدها، تاريخ أدب اللغة العربية لجورجي زيدان ١٧/٣.

أسلوبه بلطف العبارة والإشارة، وحلاوة الجرس، ودقة الوصف، والتشبيه والتمثيل، ومما ميز شعره الرمزية التي اعتمد عليها اعتماداً كبيراً في شعره، مع التعسف في الصناعة البديعية اللفظية، وأوقف جُل شعره على الحب الإلهي المملوء باصطلاحات السالكين وقد كان لعصره وبيئته وأسرتة التي ترعرع في أحضانها أثر واضح في ثقافته وشعره، ويُعد "ابن الفارض" من أكثر الشعراء الذين عنى النقاد بشعرهم دراسة وتحليلاً<sup>(١)</sup>.

وهذه قصيدة من شعره، وهي "بائية" من بحر "الرمل" وقد نظمها الشاعر وهو متيم في الحجاز، وهي قصيدة مشهورة بين الأدباء والنقاد، واستهل بها ديوانه وتبلغ نحو الخمسين والمائة بيتاً، ويروى أن الملك "الكامل الأيوبي" كان يحب أهل العلم ويحاضرهم في مجلس يختص بهم، وكان يميل إلى فن الأدب، فتذاكروا يوماً في الشعر وأصعب التوافي، فقال الكامل: من أصعبها آلياء الساكنة، فمن كن منكم يحفظ شيئاً منها فليذكره، فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات، فقال "الكامل": أنا أحفظ منها خمسين بيتاً قصيدة واحدة.. وذكرها، فاستحسن الحاضرون ذلك، فقال القاضي "شرف الدين" كاتب سر الملك: أنا أحفظ منها مائة وخمسين بيتاً قصيدة واحدة، فقال "الكامل": يا شرف الدين. جمعت في خزائني أكثر دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام، وأنا أحب هذه القافية، فلم أحد فيها أكثر مما ذكرته لكم، فأنشدني هذه الأبيات التي ذكرت، فأنشد "بائية ابن الفارض"، فقال "الكامل"، يا "شرف الدين" لمن هذه القصيدة، فلم أسمع مثلها، فقال: هذه من نظم الشيخ "شرف الدين عمر بن الفارض".. فبعث الملك إليه بهدية ثمينة مع كاتب سره، فرفضها ابن الفارض، فذهب الكامل لزيارته حيث كان يعتكف في قاعة الخطابة بالأزهر الشريف، فخرج الشيخ من الجامع، وسافر إلى الإسكندرية أياماً، ثم رجع إلى الجامع الأزهر مريضاً فأرسل إليه الكامل يستأدنه أن ينس له

(١) الديوان، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨٣/١، والخطط المقرئية، وحسن المحاضرة للسيوطي وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي في أخبار عام ٦٢٢ هـ بتصرف، وأيضاً: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي لأبيس المقتس ص ٣٦٩.

خلوة بقبة الإمام الشافعي ، فلم يأذن له بذلك (١).

وقد اخترنا من القصيدة هذه الأبيات وهي :

- سائق الأظعان يطوى البيد طي :: منعماً عرج على كئيبان طي  
وبذات الشيخ عنى ابن مرر :: ت بحى من عريب الجزع حنى  
وتلطف وأجر نكرى عندهم :: عليهم أن ينظروا عطفاً إلى  
قل تركت الصب فيهم شبحاً :: ماله ممناً يراه الشوق فى  
يا أهيل الود أنى تذكرو :: نى كهلاً بعد عرفانى فبى؟!  
نصباً أكسبنى الشوق كما :: تكسب الأفعال نصب لام كى  
رجع اللاهى عليكم آيا :: من رشادى وكذلك العشق غى  
أبعينيه عمى عنكم كما :: صمم على عزله فى أنى ؟  
بل اسبئوا فى الهوى أو أحسنوا :: كل شئ حسن منكم لى  
وروح القلب يذكر المنحنى :: وأعده عندى سمعى يا أذى  
لم يرق لى منزل بعد القفا :: لا ، ولا مستحسن من بعد مى  
آه وأشواقى لضاحى وجهها :: وطمأ قلبى إلى ذاك اللمى  
فكل منه والأحاظ لى :: سكرة ، واطرباً من سكرتى  
لست أنسى بالثغايا قولها :: كل من فى الحى أسرى فى يدي  
سلهمو مستخبروا أنفسهم :: هل نجت أنفسهم من قبضتى  
ما رأت مثلك عينى حسنا :: وكمطفى بك صببا لم ترى  
نسب أقرب فى شرع الهوى :: بيتاً من نسب من أبوى

(١) شرح رشيد ابن غالب لديوان ابن الفارض ٩/١ ، ١٠٠ ، المطبعة الخيرية بالقاهرة.

- ساعدى بالطيف إن عزت منى .. قصر عن نيلها فى ساعدى  
 كاد - لولا أدمعى - أستغفر الله .. يخفى حبكم عن ملكى  
 أى صبا أى صبا هجت لنا .. سحراً من أين ذياك الشذى  
 كان لى قلب بجرعاء الحمى .. ضاع منى هل له رد على  
 أى عيش مر لى فى ظله .. أسفى إذا صار حظى منه أى  
 ذهب العمر ضياعاً وانقضى .. باطلاً إن لم أفز منك بشي

### الدراسة والتحليل:

١ - السائق: هو الذى يمشى خلف المطية يزعجها لتجد فى السير - الأظعان: جمع طعينة، وهو الهودج سواء أكانت فيه امرأة أم لا.

يطوى: يقطع - اليد: جمع يداء، وهى الفلاة - طى: مصدر مؤكد - المنعم: المتفضل. أو هو القاصد وادى نعمان - عرج: ميل أو أقم أو أجس المطية - الكتبان: مفردهما كتيب، وهو مجتمع الرمل - طى: اسم الثيلة.

المعنى: أيها الحادى للإبل فى الفلوات يطوى اليداء طياً مسرعاً لا يتوقف، قاصداً وادى نعمان تمهل قليلاً. رمل بالإبل إلى كتبان طى، حيث الأحبة والأصفياء. ويقول شارح الديوان: إن السائق كناية عن الله - تعالى - وكتبان طى: كناية عن المقامات المحمدية الكثيرة، فكانه يتضرع إليه أن يوصله لما يوصل جميع المؤمنين إليها.

٢ - ذات الشبح: اسم موضع من ديار بنى بربوع - الحى: البطن من العرب - العريب: تصغير عرب وهم سكان المدن من غير العجم - الجزع: منعطف الوادى أو وسطه، وهو قرية عن يمين الطائف - حى: فعل أمر مأخوذ من حياة نحية إذا سلم عليه.

المعنى: يقول حى نيابة عنى أجبابى وخالانى إن مررت بذات الشبح، حيث هم مستقرّون فى هذا المكان مع عرب الجزع. ويقول شارح الديوان: إنه كنى بذات الشبح عن

مقام الحيرة في الله، وبالْحَيِّ عن المشاهد العلاء، وأراد بالجزع أنه موضع حَطِّ الرُّحَال، حيث تعطف عليه جميع الآمال.

٣- تَلَطَّفَ: يعنى ارفق - أجر: اطرح - عطفاً: شفقة.

المعنى: ترفق أيها الحادى مع هؤلاء الأحياب، وانهز الفرصة المواتية لتذكرنى عندهم، وتشرح حالى وما ألقىه فى حُبهم، فلعلهم يشملونى بنظرة عطف، ويغمروننى بالحنو ومشاعر المودة والعطف على: لتخفيف ما أعابيه فى حُبهم، وشوقى إلى لقائهم ونعيمى بمودتهم.

٤- الصَّبَّ: المتيم فى العشق - الشَّيخ: الشَّخص يبدو ظلّه ولا يرى جسمه - براه: أسقمه وأضناه - الشَّوْق: العشق - (فَى) أصلها الفى، وهو ما كان شمساً ثم نسخه الظلّ، وهو الظلّ الذى فاء ورجع عن الشَّاخص.

المعنى: قل يا أيها السائق للأحياب: تركتم محبتكم سقيماً هزيباً، أغلّه الضى حتى اضمحل رسمه، وأصبح لا يرى ظلّه.

٥- أهَيْل: تصغير أهل - أتى: بمعنى كيف، والاستفهام هنا بمعنى التعجب - كهلاً: يعنى شيخاً - فتى: تصغير فتى وهو الشَّاب.

المعنى: يا أهل المحبة، عجباً لإنكاركم إياى كهلاً بعد معرفتكم لى وأنا شاب فتى.

٦- التَّصَبُّ: التَّعب. والتَّصَبُّ يسكون الصَّاد: الفتح وبينهما جناس - الشَّوْق: شدة الحب.

المعنى: إنَّ الشَّوْق إلى الأحبَّة أكسبنى السقام والضنى، مثل ما أكسبت "لام كى" التَّصَبُّ للأفعال المضارعة.

٧- اللاهى: اللائم - والأيس: اسم فاعل من آيس "إذا قنط ولم يبق له طمع فى شئ الرُّشاد: الاهتداء - الغى: خلاف الرُّشاد.

المعنى: رجع اللائم لى على حُبكم فانطأ من هُداى، قاطعاً أمله منه فإنَّ العشق يدفع صاحبه إلى التعمادى فى الحب وتترك نصيح الناصحين.

٨ - أبينه عمى؟ الاستفهام هنا للتعجب - العمى: عدم البصر - الصم: عدم السمع - العذل: الملامة - والعاذل: اللائم.

المعنى: هل عمى العزال لى فى حبكم عن الجمال الساحر الذى تبغى حتى أشبه عمى عينيه. صمم أذنى عن لومه وعذله فلا أطيع له لوماً، ولا أسمع له عذلاً.

المعنى: يقول للعذال: أسبئوا أو أحسنوا فكل شئ منكم مقبول منى حسن لدى فوصالكم وهجركم وقربكم وبعدكم تقر به عينى، ولا أعدّه منكم إساءة.

٩ - روج القلب: أعطه الراحة - القلب: الفؤاد - الذكر: التذكّر - المنحنى: منعطف الوادى، أى موضع انعطافه وانحنائه، وهو اسم مكان معروف فى بلاد الحجاز - أحنى: بتشديد الباء: تصغير لكلمة أحن.

المعنى: اذكر أيتها الصديق اسم المكان الذى فيه أحنى، ففى ذكره سلوى للقلب وراحة لوجدانى، وكبر ذكره على سمعى، ففى تكراره لذّة وشفاء من العناء والشقاء.

١٠ - راق لفلان المكان: أى صفت له معيشته فيه - المنزل: مكان النزول - التقا: القطعة من الرمل - لا: تأكيد للنفى المنهوم من قوله: "لم يرق لى" - مستحسن: مأخوذ من استحسنت الشئ أى: غدّدته حسناً - مى: اسم محبوبة ذى الرمة وكنى بها هنا عن محبوبته.

المعنى: فارقت مسكنى وسكنى، فلم ألق بعدهما ما يغنى عنهما، فالوطن محبوب والحبيب لا تطيب بدونه الحياة.

١١ - آه: كلمة تقال عند الشكاية والتوجع والألم - الضاحى: المشرق - الطمأ إلى الشئ: الشوق إليه - اللمى: مصغر لى، وهو سُمرة فى الشفة، وهى أمانة جمال عند العرب.

المعنى: ما أشد سقمى وشوقى إلى وجه "مى" الجميل المشرق، وما أكثر شوقى إلى ريقها العذب.

١٢ - الأخطا: مفردتها "لخط" وهى العيون - السكر: اسم المرة من السكر -

- الطُّرب: الفرح، وهو أيضاً الحزن، فهو من أسماء الأضداد.
- المعنى: لى سكرتان: واحدة من الحبيبة وعذب ريقها، والأخرى من سحر لحاظها فواشدة شوقى من هاتين السكرتين. وقريب من هذا المعنى قول ابن الفارض فى تائيته:
- وبالحدق استغنيت عن قدحى ومن شمائله لا من شمولى نشوتى
- ١٣ - الثنايا: جمع ثنية، وهى العقبة أو الجبل أو الطريق فيهما. الحى: القوم المجتمعون النازلون فى مكان - أسرى: جمع أسير.
- المعنى: لقد سحرتنى حبيبتى بقولها لى فى هذا المكان: "إن كل من فى هذا الحى أسرى حى وجمالى".
- ١٤ - أنفس: اسم تفضيل، من الثفاة، وهى الشئ الثمين، والمراد أحسنهم أنفس جمع نفس. وبينهما جناس، وكنى بالقبضتين عن تمام السلطان والقدرة، والبيت كله من كلام المحبوبة
- المعنى: أسأل - أيها الحبيب - الحى، واستخبرهم من أشرافهم وأبرارهم، هل نجوا ونجت قلوبهم من سحرى وسلطانى.
- ١٥ - العس: المتيم حياً، والمعنى: لم تر عيني إسانة مثلك حسناً وجمالاً، ولن ترى مثلى نخبك صنّاً مستهماً.
- ١٦ - المعنى: إن الحب بيننا نُسب، وباله من نسب! فهو أقرب وأشد صلة من نسب الأبوين، وروى أن الرسول ﷺ قال لابن الفارض "مناماً: يا عمر"، أنت منام أنت منام، فأشار إلى ذلك فى هذا البيت.
- ١٧ - ساعدى: أسعفى، من المساعدة وهى الرعاية أو المعاونة - الطيف: حيال الأحاب فى النوم - المنى: جمع منية، وهو ما يتمناه الإنسان - القصر: ضد الطول - نيلها: إدراكها - ساعدى: منى ساعد.
- المعنى: إن عز تحقيق آمالى فى لقائك وقربك ومشاهدتك وزيارتك، فزورنى طيفاً فى المنام لأشفى لواعج أحزانى وآلامى فإن يدي تقصران عن نيل ما أتمنى، وإدراك ما أريد.

١٨ - كاد : قُرِبَ - أدْمَع : جمع دمع - أستغفر الله : جملة اعتراضية.  
المعنى : لولا الدَّموع التي تتساقط من عيني ، لكاد أن يخفى حُبِّي لكم عن المَلَكيِّين  
الموكليين بكتابة أعمالِي ، وأستغفر الله مما أقول.

١٩ - الصَّبَا : رِيح الشَّمال ، وأى : لنداء القريب - والصَّبَا الثانية : المحبَّة - هجَّت :  
ثرت - الشَّدَى : تصغير شذى وهو الرائحة الطيبة.

المعنى : أيها الرِّيح الطَّيبة لقد هججت لنا أرواحاً عاشقة ، وذكريات طيِّبة ، بشذاك  
الطَّيب العطر ، الذي يحكى لنا شذى المحبوب وعطره.  
٢٠ - جرعاء الحمى : اسم موضع.

المعنى : إنَّ قلبي قد تركته عند أحبابي في هذا المكان ، وافقدته بعد ذلك فلم أجده  
فهل يعود إليّ يوماً من الأيام؟

٢١ - أى : اسم استفهام يقصد منه التَّهويل والتَّعظيم - ظلُّه : أى ظلَّ هذا المكان  
المذكور قبله - الأسف : أشدَّ الحزن.

المعنى : ما أطيب العيش ، وأحلاه قديماً وأنا مقيم في هذا المكان وما أعظم أسفى  
إذ صار حظي من هذا الماضي الجميل أن أتذكره أسفاً حزيناً

٢٢ - المعنى : يتأسف الشاعر على ما فات من عمره ضياعاً ، ويتحسّر على ما انقضى  
باطلاً ، إذ لم يقرّ من مراده بالمراد . فأما إذا فاز منه بحظ ولو كان قليلاً فإنه يكون  
قد أدرك الخير الكثير والجهد العظيم.

هذه القصيدة من "بحر الرمل" ، وهو بحر غنائى مشهور ، ومع أن قافيتها صعبة  
وهي "الباء المشددة الساكنة" . ومع ذلك فقد ذللت روح "ابن الفارض" العناية الأصلية كل  
أثر لهده الصعوبة ، لذلك جاءت القصيدة فى قمة الحسن والإحسان والرّوعة والبيان  
والموسيقى الجياشة . والوحدة الموضوعية ظاهرة فى القصيدة . حيث إنها جاءت فى موضوع  
واحد ، وهو الحبّ الإلهي ، والوحدة الفنيّة أيضاً واضحة فى القصيدة ، حيث جاءت  
الألفاظ والصّور مترابطة مع التجربة ترابطاً وثيقاً ، ولذلك عبرت أصدق تعبير عما

فى القصيدة من انفعالات وعواطف وأفكار ، والقصيدة تمثل تجربة ذاتية للشاعر ، وهى عاطفة الحب الإلهى ، كما أن فيها إيقاعات موسيقية عذبة ، وتتوكل فيها صور متلاحقة تُعدّ أجزاء مترابطة من التجربة تعبر عن حالة الشاعر الوجدانية ، كما أن القصيدة تُعدّ لوحة فنية وقد جاءت متوائمة مع الفكرة. والصورة الشعرية فى القصيدة جاءت فى أعلى درجاتها من العذوبة ، والموسيقى متفاعلة مع التجربة ، وتبدو الصور الشعرية فى أساليبه الرائعة وفى تصوير الشاعر لمعانيه ولعواطفه ، ولتجربته تصويراً دقيقاً مؤثراً موجياً ، ولابن الفارض فى هذا المضمار قدرة بارعة. وتمثل القصيدة الصناعة الفنية لدى "ابن الفارض" تمثيلاً قوياً ؛ حيث حرص الشاعر فيها على الجناس ، مثل : "طى ، طى" ، و"حى وحى" ونصباً ونصبياً ، و"أنفسهم وأنفسهم" ، و"صبا وصبا" . كما حرص على الطباق والمقابلة مثل : قوله "يطوى وعرج" ، ففيها مقابلة "ورشاد وعى" ، و"أسبوا وأحسنوا" ، أنى تنكروى كهلاً بعد عرفانى فتى" ، كما حرص على التزام مراعاة التظير فى قوله "واشوقى وطمأ نلسى" ، و"عمى وسمم" ، و"سائق الأظمان ويطى" ، "كبان طى" كما ترى لديه التشبيهات البليغة الرائعة ، كقوله "تركت الصب فيكم شبحاً ، أنى كالشبح" ، وقوله "نصباً أكسبنى الشوق كما.." وفى القصيدة كثرة كائنة من المبالغات المقبولة ، والمجازات والاستعارات ، مثل "براه الشوق" ، "كل من فى الحى أسرى فى يدي" ، والاستعارة التمثيلية فى قولها "فصر عن نيلها فى ساعدى" كما ترى الغزل الرقيق العذب فى قوله : "وتلطف واجر دكرى عندهم" كان لى قلب بجرعاء الحمى" . وهذه الرقة مبعثها الحب الذى أضناه والوحد الذى تيمه ، والغرام الذى أسكره ، ولا يوجد بين المتصوفة من يحاكي "ابن الفارض" فى هذا الميدان

ويقول الدكتور "خفاجى" : "عندما شكمت على القصيدة وفق المذهب الفقوى أو اللغوى أو البلاغى نلسم القصيدة ؛ لأننا سننظر إلى اللغة والأسلوب والتشابه والاستعارات وصور التعبير اليبانى والبديعى والمعنوى وحدها ، ولكننا إذا حكمتنا عليها وفق المذهب الفنى فسوف نلصف القصيدة إتصافاً كبيراً ، ونرفع من منزلتها إلى درجة

عالية؛ لأننا سننظر إلى تجربتها الشعرية، وإلى الوحدة في القصيدة، وإلى الفكرة، وإلى مادة التجربة من عاطفة أو انفعال، وإلى الخيال والصور الشعرية والموسيقى، وسنخرج من كل ذلك بحكم عادل على "ابن الفارض" في قصيدته هذه، وهو ما فعلناه في نقدنا لهذه القصيدة التي بدأ بها الأدباء القدامى "ديوان ابن الفارض"، وعدها المحدثون من جياذ شعره<sup>(١)</sup>.

والرمز في القصيدة هو نقلها إلى جو نعرف عنه بالذوق ولا نحده بالصفة، وحول هذا الرمز يدور "ابن الفارض" في تصوير الحب الإلهي، وفي القصيدة ظاهرة واضحة، وحتى كثرة الكلمات التي استعملها الشاعر في قصيدته مصفحة، والتصغير إذا كان عند "المتنبى" تعاطفاً وكبرياءً وخيلاً، فإنه عند "ابن الفارض" تواضع وإيناس وبشاشة، وتكثر في شعر "ابن الفارض" ألفاظ: الشوق والوجد، والحب والخمر، والأفراح والهم، والسكر والوصل<sup>(٢)</sup>. فبحق كان "ابن الفارض" إمام العاشقين وسلطانهم.

وله قصيدة أخرى في الحب الإلهي يطلب فيها رؤية الله - عز وجل - وأن يسمح له بالرؤية، ولا يقول له كما قال "لموسى" - عليه السلام: .....

﴿..... قَالَ لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَلِيلِ فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي ..﴾<sup>(٣)</sup>

ثم يعاود نفسه ويخشي ألا تتحقق له الرؤية فيحذر قلبه من اليأس والقنوط. فيقول: أنت وعدتني في حُبهم صبراً، فإياك أن تضجر وتضيق ذرعاً لعدم تحقق الرؤية واستحابة الرغبة، فإن الغرام هو الحياة، فحقك أن تموت في سبيل ذلك، ولك كل العذر، ثم يخلو مع الحبيب وبينهما سراً أرق من التسييم إذا سرى، فينتقل "ابن الفارض" يعزف على قيثارة الحب الإلهي والغرام الذي أسكره، فانطلق مغرماً شادياً عازفاً أرق الألحان وأحملها فيقول:

(١) دراسات في الألب انصوى - للدكتور/ خجاجي ٦٥/٢ . ٦٥ .

(٢) ذاته نقضه .

(٣) الأعراب : آية رقم ١٠٣ .

- زِنَى بَقَرَطِ الْخَبِّ تَحِيْرًا :: وَاِرْحَمِ حَشَى بِلْظَى هَوَاكِ تَسْعِرَا  
 وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيْقَةً :: فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى  
 يَا قَلْبِي أَنْتَ وَعَدْتَنِي فِي حَيِّهِمْ :: صَبْرًا فَحَاذِرْ أَنْ تَضِيْقَ وَتَضْجُرَا  
 إِنَّ الْفِرَامَ هُوَ الْحَيَاةُ فَمُتْ بِهِ :: صَبًّا فَحَقِّقْ أَنْ تَمُوْتَ وَتَعْذُرَا  
 وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ الْحَبِيْبِ وَبَيْنَنَا :: سِرًّا أَرْقُ مِنَ النَّسِيْمِ إِذَا سَرَى  
 وَأَبَاحَ طَرْفِي نَظْرَةَ أَمَلْتَهَا :: فَعَدُوْتَ مَعْرُوفًا وَكُنْتَ مُنْكَرَا  
 فَدَهَشْتَ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ :: وَغَدَا لِسَانَ الْحَالِ عَنِّي مَخْبِرَا  
 فَأَيِّرُ لِحَاظَكَ فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ :: تَلْقَى جَمِيْعَ الْحَسَنِ فِيهِ مَصُوْرًا  
 لَوْ أَنَّ كُلَّ الْحَسَنِ يَكْمَلُ صُوْرَةَ :: وَرَأَاهُ كَانَ مَهْلًا وَمَكْتَبْرًا<sup>(١)</sup>

(١) ديوان ابن الفارض .

## الأدب في ظلال الدولة الناشئة

### أولاً: الأدب في ظلال الحمدانيين:

نالق اسم الحمدانيين منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وهي أسرة "تغلبية" عربية استطاع مؤسسها في سنة ٢٧٧هـ أن يستولى على منطقة "ماردين" في الموصل، وأخذت أسماء أبنائه وأحفاده تلمع في أحداث الخلافة المضطربة، ومن أبنائه اللامعين "سيف الدولة" الذي استطاع أن يستولى على "حلب"، و"حمص"، و"اللاذقية"، و"أنطاكية"، وأسّس فيها جميعاً إمارة مستقلة منذ سنة ٣٣٣هـ، متخذاً "حلب" عاصمة له. ميّأ نفسه للشهوس بعبء الحرب ضد الروم البيزنطيين، وكان أوّل لقاء معهم في سنة ٣٣٦هـ، إذ أغاروا على أطراف الشام، ونهبوا وسبوا، فلهق بهم، وأذاقهم نكالاً شديداً، فكُتِب له مجد عربي عظيم ضد الروم.

وسجّله له في لوحات شعرية ناطقة "المتنبي"، الذي نزل بلاطه، ولزمه يصور ويسجل ملاحمه الحربية الساحقة للروم سحقاً ذريعاً<sup>(١)</sup>.

### سيف الدولة الحمداني ورعايته للأدب:

وقد ارتقى الأدب، وازدهر شعره ونثره في ظلال حده الدولة، وبرعاية رعيئها "سيف الدولة" حتى لتعدّ الحركة الأدبية في عهد الحمدانيين من أكبر الحركات، وأعظمها على الإطلاق؛ لما أتيح لها من عناية ورعاية، وحسن توجيه، وسطر التاريخ لهذه الدولة مواقفها العظيمة من العلم والشعر والشعراء، ولا غرو في هذا. فرجال هذه الدولة عرب يهتزون للشعر، ويفرضونه ويتذوقونه، وذاع شأن "حلب" وأصبحت كعبة العلماء ووجهة الشعراء والأدباء. خاصة أيام "سيف الدولة"، الشاعر الكبير، والقائد المعاصر الجسور.

وقد نشأ هذا الأمير الشاعر في بيئة عربية، يسمع الشعر ويطلب له، فكان لذلك

(١) عصر الدول والامارات (مصر والشام) ص ٥٠٥ وما بعدها - د/ شوقي ضيف.

أثره الكبير عليه في حياته فيما بعد، وكان هذا الأمير الشاعر وجهة الشعراء، قبل أن يتولى إمارة "حلب"، يعقد لهم المجالس، ويسمع منهم، ويجزل لهم العطاء، فامتلات "حلب" بالشعراء الذين جاءوا حُباً في سيف الدولة وطمعاً في عطائه يمدحونه، ويصورون معاركه التي خاضها، وشجاعته الباسلة التي رأوها في هذه المعارك.

ومن هؤلاء الشعراء "المتبي" و"السرى الرفاء" و"النامى"، وغيرهم من الشعراء الذين كانوا يتوافدون على ساحة سيف الدولة، ووصل الأمر "بابن نباتة السعدى" إلى الضيق والضحج من كثرة العطايا التي أعطاها إياه "سيف الدولة"، فإذا هو يقول:

قد جئت لى بالله حتى ضجرت بها .: وكذت من ضجرتى أثنى على البخل  
لم ينبق جودك لى شيئاً أوملكه .: تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

ومجالس سيف الدولة مع الشعراء كثيرة، سمع بها القاصى والدانى، حتى الأعراب فى الصحراء.

وفى ساحة "سيف الدولة" مع "أبو فراس الحمدانى" الشاعر المشهور، وكان سيف الدولة يعجب به ويعطجه فى غزواته، ويستخلفه فى أعماله، واشترك "أبو فراس" فى عدة معارك مع "سيف الدولة"، حارب فيها الروم، فأسرف فى إحدائها، وجرح فى فخذه، فحمل إلى "القسطنطينية"، وسجن فيها أربع سنوات، وكان "سيف الدولة" ذا بصيرة بالشعر، فقد نقد "المتبي" حينما أنشده قصيدته التى يقول فيها:

وقفت وما فى الموت شك لواقف .: كأنك فى جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة .: ووجهك وضاح وثغرك باسم

فقال "سيف الدولة": قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقد على "امرئ القيس"

بيتاه:

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل :- كخيل كرى كرة بعد إجمال  
ولم أسبأ الزق الذوى للذة :- ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال  
وكان الأولى أن تقول :

وقفت وما فى الموت شكّ لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم  
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال "المتنبى" : أيد الله مولانا، أخطأ "امرؤ القيس" ، وأخطأت أنا، وإنما قرن "امرؤ  
القيس" لذّة النساء بلذّة ركوب الصيّد، وقرن السّماح فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة  
فى مُنازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أوّل البيت أتبعته بذكر الردى ، وهو الموت  
لجانسه ، ولما كان وجه الجريح لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية  
قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ؛ لأجمع بين الأضداد فى المعنى ، وإن لم يستخ  
اللفظ لجميعها ، فضحك "سيف الدولة" . وأعجب بجوابه ، وأعطاه هبة عظيمة .

ولم تقتصر مجالس "سيف الدولة" على إلقاء الشّعر فقط ، بل وُجد فيها بعض  
المشاحنات التى تأججت بين الشعراء بعضهم مع بعض ، ومنها هذه المشاحنة الطّريفة التى  
جرت بين "الخلددين" "والنامى" ، و"السرى الرفاء" فكان الأخير يعتقد أن "الخالدين" يسرقان  
شعره ، وينسبانه إليهما ، فكان يشكوهما إلى "أبى البركات ناصر الدولة" قائلاً :

أشكو إليك حليفى غارة شهرا سيف الشّقاق على ديباج أفكارى  
وكان "السرى" يعتقد أيضاً أن "النامى" الشاعر الجزار يسرق شعره ، فقال :

أرى الجزار هيجن وولى وكاشقنى وأسرع فى انكشافى  
وبعد : فقد كان "سيف الدولة" لا يألوا جهداً فى الاحتفاء فى العلم والعلماء والأدباء  
فاجتمع حوله الشعراء والأدباء ، والكتّاب والفلاسفة . ونهض الأدب فى ظلال "الحمدانيّين"  
نهضة لا تُنكر .

## الأدب في فلال الفاطميين

### ازدهار الأدب في مصر الفاطمية وأشهر شعراء العصر:

ويُنسب الأدب الفاطمي إلى إسماعيل بن جعفر الصادق<sup>(١)</sup>، وقد استولوا على مصر بقيادة القائد "جوهر الصقلي" الذي نزل بالقرب من "الجامع الأزهر"<sup>(١)</sup>.

وبدأ في التخطيط لمدينة "القاهرة"، وأول خطة كانت بناء الجامع الأزهر، لتقام فيه الصلوات. ونشر الدعوة الفاطمية، وفي عهد الفاطميين ارتفع شأن الأدب، وأصبح له المكانة العظيمة في ذلك الوقت من الزمان. وقد اعتنق الفاطميون المذهب الشيعي وحبوا هدم المذهب السني الذي كان سائدا في مصر والشام آنذاك، ونبع منهم خليفتان اهتموا بالعلم وأهله. وهما: العزيز بالله، سنة خمس وستين وثلاثمائة للهجرة (٣٦٥هـ) إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦هـ)، والخليفة الثاني: هو الحاكم بأمر الله سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة (٤١١هـ).

كما أنشئت "خزانة الكتب"، التي ضمت مئات الألوف من المجلدات في العلوم على اختلاف موضوعاتها.

ومن العوامل التي أدت إلى التهضة العلمية والأدبية في عهد الفاطميين: حرصهم على رفعة الشعر. وإعلاء شأنه، حتى أصبح يحتل مكانة سامقة في هذه الدولة، ولا غرو فيه عرب يجري في دمه حب الشعر والاعتزاز به. ومن هنا هوى إلى "مصر" في عهدهم كثير من الشعراء أو الأدباء من جميع أرجاء العالم العربي، والذي يتأصل الحياة في العصر الفاطمي نجد أنها قد أتت بكثير من الشعراء الذين كان لهم شأن كبير في الحياة هناك ومن هؤلاء الشعراء من وفد من العراق، ومنهم من وفد من الشام، ومنهم من وفد من اليمن. وكان لاجتماع هؤلاء الأثر الكبير في الحركة الأدبية والشعرية في العصر الفاطمي. وخصائص هذا اهتمام الفاطميين بتدويران الإنشاء الذي كان له الأثر الكبير

(١) عصر الدول والامارات (مصر والشام) ص ٢١ وما بعدها

في ارتقاء الكتابة<sup>(١)</sup>.

كما ظهر في هذا العصر الأمير والشاعر المجيد ذو الشاعرية الفائقة، والموهبة الرائعة "تميم بن المعز"، وهو أشهر شعراء هذا العصر.

وهو "تميم بن المعز" مؤسس الدولة الفاطمية، وُلد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة الكريمة، وقد عنى أبوه بتربيته إذ كان يُعده لولاية العهد، فأحضر له المعلمين الدينيين واللغويين، وعهد إلى بعض دعاة التحلة الفاطمية بتلقينها له، وكانت للغلام موهبة فذة في الشعر، فأكب على الشعر في أزمته المتباينة بتزود منه. وسرعان ما استيقظت فيه موهبته، وقد أُتيح له أن يحيا حياة ترف ولهو في قصوره وبساتينه ورياضه<sup>(٢)</sup>.

وفي ديوانه ما يصور كؤوس اللهب والمجون التي كان يعب منها عباً<sup>(٣)</sup>.

وكان ذا حسنٍ دقيق، وشعورٍ مرهف، وشاعرية متدققة، وكان تميم بن المعز يحفل بالطبيعة، ووصفها في شعره، وله في ذلك القدرة الفائقة. وله خمريات أحاد فيها إجادته في الفخر والمدح، وشكوى الزمان<sup>(٤)</sup>

وقد صور الشعر الفاطمي البيئة المصرية في وضوح. وعبر الشعراء عن حلجات أنفسهم، وحنايا أفئدتهم في صدق وصراحة، وقوة في التصوير. ومال الشعراء إلى تصوير حمال النيل، والحدايق. وما فيها من زهور، وزروع. وما على ضفتي النيل من قصور كما صور ما عليه المجتمع من رقة وثراء ونعيم، وما في "مصر" من خيرات وفيرة جعلتها أمل المحتاجين، وكعبة السائلين<sup>(٥)</sup>.

(١) دراسات في الأدب العباسي ص ٩٩ وما بعدها

(٢) دراسات في الأدب العباسي ص ٩٣ وما بعدها.

(٣) عصر الدول والإمارات (مصر والنم) ص ٣٠٦ وما بعدها

(٤) محاضرات في الأدب العربي ما بين عهد المتوكل ونحو الفرسيين مصر ص ٨٤.

(٥) دراسات في الأدب العباسي ص ١٠١ تنصرف

يقول تميم بن المعزّ في التّيل :

- يَوْمَ لَنَا بِالنَّيْلِ مَخْتَصِرٌ      ∴      وَلِكُلِّ يَوْمٍ مَسْرَةٌ تَصْمِرُ  
وَالسَّقْنُ تَجْرِي كَالخَيْوَلِ بِنَا      ∴      صَعْدًا أَوْ جَيْشِ الْمَاءِ مَنْحَدِرُ  
وَكَأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ غَكْنٌ      ∴      وَكَأَنَّمَا دَارَاتِهِ سُرُرٌ<sup>(١)</sup>

---

(١) الف - مداحبه في الشعر العربي ص ٤٧ .

# أشهر شعراء العصر الفاطمي

## ومن أشهر شعراء العصر الفاطمي:

### ١ - "ابن وكيع التنبسي":

وهو "الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف التنبسي" وهو بغدادى، وولد "تنبس"، وهى مدينة كانت قرية من "بورسعيد" الحالية، وقد نشأ فيها الشاعر وتثقف ويبدو أنه صنّب المزيد من الثقافة، والتعرّف على أدباء القاهرة، فرحل إليها، وكانت شاعريته تفتّحت فلفت إليه الأنظار، وأعانه ثراؤه على انغماسه فى المجون، وأثر حياة المجون، والحمول على حياة العزّة حتى لو كانت الخلافة، ويبدو أنه تمثّل كلّ ما كان فى "ديوان أبى نواس" حتى الجانب الميّن منه<sup>(١)</sup>.

ويعدّ "ابن وكيع" من أشهر الشعراء فى وصف الزهور، والزروع التى تحفّ بالثيل يقول الشاعر "ابن وكيع" فى وصف الأزهار:

مِن نَسْرَجِمْ أَبْيَضَ كَالشُّغُورِ .: كَأَنْثَى مَخَانِقِ الكَافُورِ  
وَرَوْضَةٍ تَزْهَرُ مِنْ بِنْفَسِجِ .: كَأَنْثَى أَرْضِ مِنَ الفَيْرُوزِ  
وَارِمِ بَعِينِيكَ إِلَى النِّهَارِ .: فَابْنَةُ مِنْ أَحْسَنِ الأَنْوَارِ  
كَأَنْثَى مَدَاهِنِ مِنْ عَسْجِدِ .: قَدْ سُمِّرَتْ فِي قَضْبِ الزَّيْرُجِدِ

وقد تبعه الشعراء يتغنّون بهذه الأزهار وتلك الأنوار<sup>(٢)</sup>.

(١) عصر الدول والإمارات (مصر والشام) ص ٣٣١ وما بعدها .

(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٤٧١ .

## وكان من أشهر شعراء هذا العصر أيضا : ٣ - الشريف الحقبلي :

وهو الشاعر "علی بن الحسن بن حدره" ، وينتهي نسبه إلى "عقبيل بن أبی طالب" ، تاريخ مولده غير معروف ، وكذلك تاريخ وفاته <sup>(١)</sup> ، وهو من أهل "الفسطاط" ، وكان له بها متزهات ، وليس في ديوانه مديح لخليفة "الفاطمين" ، وفي ديوانه بعض الإخوانيات ، وبعض الفخر والهجاء ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه استغرقه شعر الطبيعة والخمر ، ومن شعره قوله :

الغَيْمُ مَمْدُودُ السُّرَادِقِ وَالزُّهْرُ مَقْرُوشُ النَّمَارِقِ  
وَالْقَائِشُ قَدْ نَقَشَتْ لَنَا مِنْهُ الْمَجَالِسُ وَالْمَرَاتِقُ

## ٣ - عمارة اليميني :

ومن شعراء العصر الفاطمي هذا الشاعر الفدح ، وهو "أبو حمزة عمارة بن أبی الحسن اليميني" ، وكان من أهل الجبال في "تيامة" ، وهو "قحطاني" . وُلد سنة ٥١٥ للهجرة في أسرة تهتمّ بالعلم والثقافة ، وفي سنة ٥٣١ للهجرة أرسله أبوه إلى "زيد" ، فتعلم فيها المقعد السافعي ، وله في علم "الفرائض" - يعنى الموارث - كما اتصل بآل نجاش حكام "زيد" ، ووزراتهم ، كما اتصل بآل زريع حكام "عدن" ، ومن شعره قصيدة سماها "شكاية المتكلم ونكاية المتألم" ، يصف كثرة ما كان يصله من عطايا "الفاتر" ، و"العاضد" ووزراتهما ، ومنها قوله :

مذاهبهم في الجود مذهب سئة وإن خالفوني في اعتقاد التشيع  
وقد توعد في بعض شعره مفضض الفاطميين بالنار وسوء المصير ، وتماذى في هذا العمى ، والضلال ملوحاً بيد في وجه "صلاح الدين" ، زاعماً أن الأئمة الفاطميين هم باب الشجاعة ، وأن حشيم أصل الدين ، يقول الشاعر "عمارة اليميني" في ذلك :

(١) النس ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢١ .

أئمة خلفوا نوراً قبورهم من نور خالص نور الله لم يقل  
والله لازلت عن حبى لهم أبداً ما أخر الله لى فى مدة الأجل (١)

## النثر الفاطمي

أكثر الفاطميون من اتخاذ الكتاب الذين يأتسون فيهم الكتابة والقدرة على القيام بهذه المهمة دون أن يقيموا وزناً لقصيدة الكاتب ، إنما المهمة لديهم أن يكون الكاتب كفوياً يعيد غنله ، ويحسن التصرف فى وجوه الكتابة ، ولورجعنا إلى "صبح الأعشى" ، أو كتاب "التجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة" لابن تغرى بردى "الأتابكى الأشعري" ، أو كتاب "حسن المحاضرة" للسيوطى ، لوجدنا طائفة كبيرة من الكتاب فى "ديوان الإنشاء" الفاطمى منهم المسلم ، ومنهم الذمى ، بيد أن هذه الكتب لم تنقل لنا صورة واضحة عن أصل هؤلاء الكتاب ، وظروف حياتهم . أو ثقافتهم ، أو النواحي الفنية التى تميزت بها أساليبهم ، وربما كان هذا الغموض راجعاً إلى كراهية المؤرخين للفاطميين الذين كانوا يغالون فى تشييعهم ، وناحية أخرى وهى أن الأيوبيين بزاعمة "صلاح الدين الأيوبي" أعدموا ما أمكنهم من آثار الفاطميين الثقافية ، حيث كانت مؤلفاتهم الفسحة تباع بثمن يئس (٢) .

ومن الكتاب المشهورين ، بل ومن أبلغ الكتاب المصريين والفاطميين "ابن الصوفى" فى إحدى رسائله الأدبية التى صنفها للأفضل الحمالى :

أولى ما يتقرّب به إلى الله - تعالى - الإكثار من تحميده ، والإقرار بربوبيته وتوحيده والصلاة على نبيه "محمد ﷺ" الذى عضده بتأييده ، وخصه من الشرف بما لا سبيل إلى تحديده ، وعلى آله المتوحيين من الفضل ما يعجز الواصف عن تحديده ، ثم التوسل إلى ملوك كل وقت بشكر نعمتهم ، ومواصلة خدمتهم ، وشهر خصائصهم التى امتازوا بها عن العباد ، وذكر مناقبهم التى سارت فى الأقطار ، ونقبت فى البلاد .

(١) عصر النول والإمارات (مصر والشام) ص ٣٣٥ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ما بين عهد المتوكل وندول الفرنسيين مصر ص ٨٧ .

وواضح أن الكاتب كان يحسن الكتابة إحساناً بعيداً. دون أيّ غرابة في اللمظة، بل مع السهولة واليسر. فسجّعه خفيف، وكأنّه يفيض من ينبوع غدق شراباً يمتع النفس، وكان يوشيه أحياناً بالألفاظ القرآنية مثل قوله "نقّست في اللاد"<sup>(١)</sup>.

---

(١) عصر الدول والأمارات (مصر والسام) ص ٥٥ : وما بعدها .

## الأدب في ظلال الأيوبيين

لقد ورث الأيوبيون ملك الفاطميين ودولتهم، واقتفوا آثارهم في رعاية الأدب وتشجيع الشعر، وتنافس الأدباء ليصلوا إلى أعلى المناصب، ونيل موفور العطاء، وقد كان للاتصال المصري بالشام الأثر الكبير في نهضة الأدب وازدهاره، وكان لانتفاف الأدباء والشعراء في مصر والشام حول القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي "أبلغ الأثر في النهضة الأدبية والشعرية؛ لأنه كان ذا بصيرة بالشعر والأدب، يستمع إليه، ويهتز له، ويجزل العطاء للشعراء، وكذلك كان خلفاؤه كرمًا ورعاية للأدب، واحتضاناً للشعر<sup>(١)</sup>.

وقد استمر نشاط الشعر طيلة حكم الأيوبيين، وغُنيت كتب التواريخ والتراجم بشعراء مصر زمن الأيوبيين، وفي مقدمتها هذا المصدر التاريخي الأدبي المهم "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان، وأيضاً "وفيات" لابن شاکر الكتبي، ولا يكاد يوجد شاعر زمن الأيوبيين إلا وله ديوان مطبوع، فقد طبعت دواوين "ابن سناء الملك"، و"ابن التيبه"، و"البهاء زهير" وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

ومن أشهر شعراء العصر الأيوبي "ابن سناء الملك"، الذي يقول عنه الدكتور "شوقي ضيف": "لا نبالغ إذا قلنا: إن "ابن سناء الملك" أكبر شاعر عرفته "مصر" في القرن السادس الهجري، ولد سنة خمسين وخمسمائة للهجرة، لأب متشيع كان يعمل في دواوين الفاطميين، وكان صديقاً للقاضي الفاضل"، وأحاط الأب ابنه برعاية شديدة، وأحضر له "المربين"، والمثقفين، وقد تفتحت مواهبه الشعرية فقرّبه القاضي الفاضل إليه، وعيّنه في الدواوين، ولم يكن "ابن سناء الملك" شاعراً فحسب، بل كان كاتباً، وناقداً، وهو أول من اهتم من المصريين بصنع "موشحات" على غرار الموشحات الأندلسية، وتحس في بعض شعره "المبالغة الشديدة، خاصة في فخره، مثل قوله:

(١) درست في الألب العباسي ص ١٠٣: أ د / عبد عبد الرحمن، وأيضاً: قصة الألب في مصر: للدكتور

محمد عبد المنعم خداحي - رحمه الله تعالى - بتصرف.  
(٢) عصر الدول والإمارات (مصر والشام) ص ١٧٠ بتصرف.

سِوَايَ بِخَافِ الذُّهْرِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى  
وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا  
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِبُ الدَّهْرِ طَرْفَهُ  
وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى السَّهْوَةِ فِي شَعْرِهِ مَعَ تَحْلِيَّتِهِ بِأَلْوَانِ التَّصْنَعِ ، وَلَمْ يَعْجَبْ مِنْهُ مَذْهَبُ

التصنع ؛ إذ كان يتصنع على طريقة معاصريه للمصطلحات العلمية ، مثل قوله :  
رَأَيْتُكَ بَحْرًا طَبَّقَ الْأَرْضَ مَدَّهُ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي رُخْصَةٌ فِي التَّيْمَمِ  
كما نراه بكثير من من "افتباس الآيات القرآنية الكريمة" ، وذلك مثل قوله :

وَقَالُوا لَقَدْ أَنْسَبْتَ نَارًا بِخَدِّهِ فَقُلْتَ وَإِنِّي مَا وَجَدْتُ بِهَا هُدًى  
وَلَا نَبَالَغُ إِذَا قُلْنَا : إِنْ مَوْشِحَاتِهِ أَرْوَعُ مِنْ أَشْعَارِهِ ، فَقَدْ كَانَ يُوَفِّرُنَا  
"النغم الحلو الرشيق" ، مثل قوله :

بِـ \_\_\_\_\_ دَرِ يَحْلِيهِ \_\_\_\_\_ كِ  
لِـ \_\_\_\_\_ وَلَا تَنْتَبِهُ \_\_\_\_\_ كِ  
بِـ \_\_\_\_\_ الْفَنِّ أَخِي \_\_\_\_\_ كِ  
لِلصِّدْرِ أُنْدِيهِ كِ (١)

(١) الفن ومذاهبه من الشعر العربي ص ٩٥ ؛ وما بعدها بتصريف .

## ابن النبيه

ومن الشعراء المشهورين في هذا العصر "ابن النبيه"، وهو "كمال الدين النبيه"، وقد ولد هذا الشاعر بمصر المحروسة سنة ستين وخمسائة للهجرة "٥٦٠"، للهجرة. وحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والأدباء، فنضجت ملكته الشعرية، والتحق بدواوين "صلاح الدين الأيوبي"، ووزيره الكاتب البليغ "القاضي الفاضل"، ومدح بنى أيوب في "مصر"، حتى اتصل بالملك الأشرف"، فكتب له في ديوان الإنشاء، واستمر في خدمته حتى توفي سنة "٦١٩هـ" تسع عشرة وستمائة للهجرة النبوية الكريمة.

وهو شاعر حاضر البديهة، مليح النادرة، منسجم الأسلوب، حسن الوشى، مطبوع على البديع، فهو يتوخى الحلية اللفظية، ويشتد في طلبها، بيد أنه لا يتكلفها لجمال صياغته، وأسلوبه قوى الحياة، شديد الحركة، كثر التنوع، مزدهر الألوان، يستر بقوة طبعه ما يبدو من ضعف صنعه، مثل قوله في المديح:

فحريقُ خَمْرَةٍ سَيِّفِهِ لِلْمُعْتَدِي      وزحيقُ خَمْرَةٍ سَيِّبِهِ لِلْمُعْتَقِي  
يا بذرُ تَزَعُمُ أَنْ تُقَاسَ بِوَجْهِهِ      وعلى جبينك كَلْفَةُ الْمُتَكَلِّفِ  
يا غَيْمُ تَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ كَكْفِهِ      كَلًّا وَأَنْتَ مِنَ الْجَهَامِ الْمُخْلِيفِ

ولم يكن شعره يخرج عن أغراض ثلاثة: أجادها كلها إجادة قل أن تطفر بمثلها في عصره، وهي: المديح، والغزل، والوصف. وعلى الجملة فإن "ابن النبيه" شاعر عذب الروح، كثير الافتتان، مغرق في المجاز، والنشيب، والبديع، وكان مجيداً للمطالع، محسناً للتخلص، وله ديوان مطبوع في بيروت - لبنان، وفي "مصر"<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٣٩٩، عصر الدول والامارات (مصر والشام) ص ٢٧١ وما بعدها: للدكتور / شوقي ضيف.

## البهاء زهير :

ومن مشاهير الشعر في هذا العصر "البهاء زهير"، وهو "أبو الفضل زهير بن محمد الهلبى" المولود "بوادى غلّة" على طريق "مكة"، ثم رحل إلى "مصر"، فنشأ بها وتأدب فلما بلغ أشده واستوى في العلم والحسن برع في النظم، والنثر، والخط، واتصل بالملك الصالح "ابن الملك الكامل" الأيوبي، ورافقه إلى الشام، والجزيرة، وانخذه وزيره، وموضع سره، حتى مات الملك الصالح فلزم "البهاء" داره حتى وافته منيته في السنة التي سقطت فيه "بغداد" في أيدي "التتار"، وكان "بهاء الدين" دمث الأخلاق، رقيق الطباع لين الجانب، حلو الكلام، فأثرت تلك الصفات في شعره، فجاء عذبا رقيقا، يطمع السامع أن يأنى بمثله لسهولته وقته، فإذا حاول عجز، فشعره فيض قريحته، ووحى طبيعته وصورة بيته، ولم يقلد فيه أحدا، ولم يطلب من غير شعوره مددا، فلا تجد فيه كلمة غريبة، ولا جملة معقدة.. وليس في معاني "البهاء" ابتداع ولا تخيل. إنما هي عادية كساما ألفاظا سهلة، وبث فيها من روحه الفياضة قوة التأثير، ومن شعره في الغزل قوله :

إن شكا القلب هجركم .. مهتد الخبث غذركم  
لو علمتم محلّكم .. في فؤادي لسرركم  
قصروا غمرا ذا الجفا .. طوّل الله غمركم<sup>(١)</sup>

## ابن الفارض :

ومن الشعراء الكبار في هذا العصر: سلطان العاشقين "عمر بن الفارض" : وهو "أبو حفص عمر بن علي" المعروف "بابن الفارض". أصل آتانه من "حماة"، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، وتفق في الدين، وتوسع في اللغة والأدب، حتى حار منهما قسطا وافرأ. ثم وقع في بعمد أن ينهج منهج الصوفية، فاقتفى آثارهم، وعرف أسرارهم، وذهب إلى "مكة"

(١) تاريخ الأدب العربي : احمد حسن الزيات ص ٥٠٣ . وعصر النول والإمارات (مصر والشام) - د/ شوقي ضيف.

فزار البقاع المقدسة، ومكث بها زمناً، ثم رجع إلى "مصر"، ففضى بها بقية عمره بين الإعظام والإكرام، حتى توفي بالقاهرة سنة ٦٣٢هـ.

نشأ في عصر الأيوبيين، وهذا العصر تنازع النفوس فيه عاملان مختلفان: عامل التصوف والتقوى، لدوام الحروب وتعالى الكروب: من الجماعات، والموتان، وعامل الفسوق والمجون، لانحلال الأخلاق، وتحكم الشهوات، وانتشار المخدرات، واتجه الشعر في "مصر" وفي غير "مصر" إلى هاتين الوجهتين، فهو إما أن يراد به الله، وإما أن يراد به الشيطان، وابن الفارض قد نشأ نشأة دينية، ورعى تربية صوفية، فلم يكن له بد من سلوك طريقة القوم في الشعر، وينظم إشاراتهم، ويصف مقاماتهم، ويكثر من نعت الخمر، وذكر الغزل، مريداً بذلك الذات الإلهية على اصطلاحهم، فكان بذلك موجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي، وهو أكثر الشعراء تعملاً بالكلام، وتكلفاً للبديع ولووعة بالجناس والطباق، وأمير معاصريه شعراً؛ لرقته، واشتماله على ما يرضى المتصوف الزاهد، والعاشق الماجن، ذاك بباطنه، وهذا بظاهره، ومن أشهر شعره نوبته الكبرى والصغرى، ومن شعره قوله في الخمر - وفيها كثير من رموز الصوفية :

- شربنا على ذكر الحبيب مدامةً .: سكرنا بها من قبل أن نخلق الكرم  
لها البدر كاسٌ وهي شمسٌ يديرها .: هلالٌ وكم يبدو إذا مزجت نجم  
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها .: ولولا سناها ما تصورنا الوهم  
يقولون لي صفتها فأنت بوصفها .: خبيرٌ أجلٌ عندي بأوصافها علم  
صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هواءٌ .: ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جنمٌ (١)

(١)

(١) المرجع السابق ص ٤٠١ وما بعدها.

## الأدب في ظلال الدول الأخرى

نهض الأدب في كثير من الدول التي نشأت في العصر العباسي الثاني، غير تلك الدول التي أومأنا إليها آنفاً، ومن هذه الدول "الدولة الزيدية"، التي نبغ منها "قابوس بن وشمكير"، وكان أديباً شاعراً، تولى في عهد الخليفة "الطائع"، وقد لقبه الخليفة "شمس المعالي"، وكان محباً للعلماء والأدباء، وكان يرفض أن تنشأ قصائد المديح بين يديه، ومن مؤلفاته "كمال البلاغة"، وهو مجموعة رسائل أدبية تمتاز بجمال عباراتها، والتأني في اختيارها، ويغلب على طابعها التأثير بطريقة "بديع الزمان الهمذاني".

ومن أشعار "قابوس" في الغزل قوله :

خطوات ذكرك تستثير صبابتي .: فأحسن منها في الفؤاد دبيب  
لا عضو إلا فيه صبابية .: فكان أعضائي خلقن قلوب  
وأسلوب "قابوس" في الكتابة يغلب عليه السجع، والمحسنات البديعية، والعناية بالتجنيس.

و"قابوس بن وشمكير" معدود بين الأفراد الزياديين، وفي طبقة المجودين من الكتاب وكان ينزع إلى الأدب، ويكلف بالأدباء، ويستمع الشعراء على بابه كل "سيروز" و"مهرجان"، فيرسل إليهم جوائزهم مع أحد أصحابه، ويقول له: "وزع عليهم الهدايا بحسب رتبته"، وكذلك كان حظ الأدب كثيراً في ظلال الدولة السامانية، والدولة القرونوية، فقد شجعوا الأدباء، وبالفؤاد في إكرام الشعراء، مجازاة ومناقسة للملوك المعاصرين لهم، ورغبة في أن تزدان بهم قصورهم ومجالسهم، ولكنهم كانوا دون "البويهيين" في الاحتفاء بالشعر، واجتذاب كثير من الشعراء إليهم؛ لبعدهم عن قلب المواطن الإسلامية؛ ولأن أذواقهم أعجمية، وقد حاول "نوح بن منصور الساماني" أن يتحدث "الصاحب بن عباد"، ويستأثر به دون "البويهيين"، فراسله يعرض عليه ما يغريه بالرحلة إليه، والوزارة له لولا اعتذار "الصاحب" بما يشق عليه من نقل متاعه، ومن بيده كنه التي تحتاج وحدها إلى أريعمانة حمل كما قال. ولعل بلاءهم يذكر في احتضار

الكتب ، فقد ظهر فى كتابهم بعدها من يقاربون "ابن العميد" ، و"الصاحب بن عباد" فى الدرجة البلاغية ، وإحياء الحركة الأدبية ، مثل الوزير "البلعمى" ، والوزير "الجهاني" فى دولة "السامانيين" ، ومن حولهم من آل "ميكال" الأمراء والكتاب والشعراء ، ومثل "أبى القاسم المينوى" ، و"أبى الفتح البستى" فى بلاط الغزنويين.

على الجملة فقد تعدد بتعدد الدول موارد الأدباء ، وتبارى الملوك من العرب والمتعربين وما ساهمهم من الأعاجم فى تقريبهم ، والاحتفاء بهم ، فعمد العهد بعدد وافر من الأعاجم فى تقريبهم والاحتفاء بهم ، وضمن الإنتاج الأدبى بما لم يضارعه مثله من بعد وفى كل ركن ندوة أدبية ، والأدباء يطوفون فى أرجائه تطواف البلابل فى الروض الأغن لها منه الزهر الندى والجنى الشهى ، وله منها التطريب ، والتفريد باللحن الفريد<sup>(١)</sup>.

### أبو الفرج الأصبهاني:

هو "على بن محمد بن أحمد القرشى الأصبهاني" ، ويكنى "أبو الفرج" ، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة النبوية ، وطلب العلم والأدب ، وتأدب "ببغداد" ، ويبدو أنه كان يعيش بعد ذلك حياة أديب جوال ، وقد نادم "سيف الدولة" ، وكان أكثر الناس إثارة له "الوزير المهلبى معز الدولة بن بويه" ، فانقطع إليه ومدحه ، حتى توفى "ببغداد" سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا الأديب - على الرغم من ظرفه وأدبه - سليط اللسان ، فاحش العبارة تنقيه الملوك والأمراء ؛ لأنه كان عالماً بالمعائب والمثالب ، وكان لا يغسل ثوبه ولا يبدله وكان الوزير المهلبى يحتمل منه كل شئ ؛ لعلمه وحسن حديثه ، وحلاوة منطقه ؛ حيث كان ملماً بأشتات العلوم . روياً للأنسب والأشعار ، وكان ثقة فيما يقول ، وكان كاتباً معدوداً ومؤلفاً ضالماً ، وراوي أميناً ، بيد أنه لم يكن مطبوعاً فى الشعر ، وحسبه شرفاً وفخراً كتابه "الأشاني" ، وقد أجمع الباحثون والمؤرخون على أنه لم يصنّف فى بابيه مثله ، وأن كل كاتب

(١) تاريخ الأدب العربية فى العصر العباسى الثانى : د/ خفجلى ص ٣٦ : ٣٧ .  
(٢) تاريخ الأدب العربى : لكارل بروكلمان ٦٨٧/٣ ، وأيضاً : تاريخ الأدب العربى : للزيات ص ١٣ .

فى الأدب لا غنية له عن مطالعة هذا المصدر الأدبى المهم، ولولا هذا الكتاب لضاع الكثير من أخبار الجاهلية، وصدر الإسلام، وعصر بنى أمية، وقد ألفه الأصفهاني "فى خمسين سنة، وبناء على "خمسين صوت" التى اختيرت للخليفة "هارون الرشيد"، وزيدت للخليفة "الواثق"، وعلى ما اختاره هو من عيون الأغاني. وقد حملته إلى "سيف الدولة الحمداني" فأعطاه ألف دينار، واعتذر إليه، وكان "الصاحب بن عباد" إذا سافر حمل كتبه على ثلاثين جملاً، فلماً اقتناه استغنى به عنها<sup>(١)</sup>.

ويقول "ابن النديم": "وله من الكتب "كتاب الأغاني الكبير"، وهو نحو خمسة آلاف ورقة، ثم كتب "مجرد الأغاني"، وكتاب "مقاتل آل أبى طالب"، وكتاب "تفضيل ذى الحجة"، وكتاب "الأخبار والتوادر"، وكتب "أدب السماع"<sup>(٢)</sup>.  
يقول الأصفهاني مخاطباً الوزير "المهلبى":

فداؤك نفسى هذا الشتاء .: علينا بسلطانه قد هجم  
ولم يبعد من نشى درهم .: ولا من ثياب إلا رمم  
يوثر فيها نسيم الهواء .: وتحرقها خافيات الوخم  
فأنت العماد ونحن العفاة .: وأنت الرئيس ونحن الخدم<sup>(٣)</sup>

وهذا الشعر مدون فى كتابه "الأغاني"، يقول "أبو الفرج": "ومن حكى أنه صنع فى شعره وشعر غيره "المنتصر"، فإنى ذكرت ما روى عنه أنه غنى فيه على ضعف الصنعة. لثلا يشذ عن الكتاب شئ قد روى وقد تناوله الناس، ومما ذكر عنه أنه غنى فيه:

سقيت كأساً كشفت  
عن ناظرى الخمرا  
فنشطتني ولقد  
كنت حزينا خائرا<sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان "مرجع سابق"، وتاريخ الأدب العربى للزيات ص ١٣.  
(٢) يظن: أبو الفرج الأصبهاني وكتابه "الأغنى": لمحمد عبد الجواد الأصمعي، نقلا عن فهرس دهر لسنيم ص ١١٥.  
(٣) تاريخ الأدب العربى: أحمد حسن الزيات ص ٤١٥.  
(٤) أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني ص ٣٤١ نقلا عن الأغاني ٢٠٠/٩ - ط: دار الكتب.

## النثر

### ازدهار النثر وأسبابه :

فى هذا العصر انقسمت الدولة العباسية إلى دويلات وإمارات ، وكان لهذا الانقسام أثره البالغ فى ازدهار فنون النثر ، وتنوع ألوانه ، وقد بلغ النثر قمة الرقى والازدهار فى هذا العصر ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - ازدهار الحركة العلمية والأدبية فى هذا العصر ، فقد أثمرت العلوم العربية المترجمة وآتت أكلها ، فظهر أثر ذلك فى تنمية الأذواق ، وسعة الخيال .

٢ - لم تكن "بغداد" وحدها هى العاصمة التى يقصدها الأدباء والكتاب والشعراء ، بل كانت هناك عواصم أخرى قصدها الأدباء والعلماء فى هذا العصر ، فكان حكام وأمرء "مصر" و"الشام" و"بلاد ما وراء النهر" يتنافسون فى تشجيع الأدب ، واجتذاب الأدباء .

٣ - الثراء والتعظيم والترف الذى ساد أرجاء الدولة العباسية ، وما ضمته من دويلات كان له أثره فى رقى الكتابة الفنية وازدهارها ، ومن مظاهر هذا الرقى : رقة الألفاظ والاهتمام بالزينة اللفظية ، والتأنق فى العارة .

٤ - لم تقتصر الكتابة الفنية على بعض الموضوعات ، بل تعددت موضوعاتها وأغراضها ، فشملت موضوعات كثيرة وأغراضاً عديدة ، أملت لها ظروف العصر وتطور المجتمع .

على أنه فى أواخر هذا العصر بدأ يتسلل إلى الكتابة الاغطاط والاضمحلال ، ولعل من أسباب ذلك : كثرة المحسنات البديعية التى أغرق الأدباء فيها ، فكيلوا أساليبهم بها وانتشار المعجمة فى البلاد التى تولى حكمها الأعاجم ، وطفقائها على اللغة الفصحى ، كما أن هؤلاء الحكام الأعاجم لعدم فهمهم للغة العربية ، وتدووقها لم يشجعوا الأدباء ، ولم يختفوا بالأدب ، وإن كان بعضهم قد اهتم بالأدب ، وكان له ذوق وفهم للشعر ، إلا أن هؤلاء ، قلة .

وأشواوع النثر اللى كانت قبل هذا العصر من النثر العلمى والفلسفى والأدب  
والمناظرات، والمواظع، والقصص، والأدب التهذىبى، وكانت هناك الرسائل الشخصص  
والمساسبية، كل هذه الأنواع ازدهرت فى هذا العصر، وخاصة القرنين الرابع والخامس  
ولا نبالغ إذا قلنا : إنهما كانا أزهى القرون فى العصر بالقياس إلى النثر وفتونه، وقد بلغ  
العقل العربى كل ما كان يُرجى من نضج، وظل المترجمون ينقلون إليه قبل ذلك كل ما كان  
عند الأمم القدىمة من معارف، وظل يتغذى بها وينمو، ولم يلبث أن شارك فيها، وأصبح  
للغرب علماءهم وفلاستهم، حتى بلغ القمة فى مطلع هذا العصر<sup>(١)</sup>.

وفى أخريات هذا العصر بعد أن ضعفت الخلافة، وقام بالأمر غير أهله، سرى  
الضعف إلى الكتابة، فجهل أربابها الغرض منها، فمالوا إلى زخرف القول، وتدييح اللفظ  
بأنواع البديع، وأوغلوا فى ذلك حتى سمجت مبانهم، وفسدت معانيهم، فكانت مموهة  
الظاهر، متوهة الباطن. كسيف الخشب فى غمد الذهب، وليتهم وقفوا بهذا الأسلوب  
عند الرسائل والعهود، بل خرجوا به إلى تصنيف الكتب وتدوين العلوم<sup>(٢)</sup>.

ومن أشهر أعلام النثر فى هذا العصر "ابن العميد"، و"الصاحب بن عباد"، و"الوزير  
المهلبى"، و"الخوارزمى"، و"الصائى"، و"الثعلبى"، و"القاضى الفاضل"، و"الشريف  
الرضى"، وأبو حيان التوحيدى.

(١) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٤٣٠ - تصريف .  
(٢) تاريخ الأدب العربى : احمد حسن الزيلت ص ٢٤٠ .

## أبو حيان التوحيدى :

هو فيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة "أبو حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى" ، وقد اختلف فى مسقط رأسه ، وتاريخ مولده ، وتاريخ وفاته : فقيل : ولد "بشيراز" بـ "فارس" ، وقيل : "بنيسابور" بـ "خراسان" ، وقيل : "بواسط" بـ "جنوبى العراق" وقيل : "ببغداد" ، وهو القول الراجح فى رأينا ؛ إذ لم يذكر كثير من مترجميه أن أباه كان يبيع بوعاً من التمر "ببغداد" يُعرف باسم التوحيد ، وعليه حمل شراح "المتنبى" قوله :

يترشفن من فمي رشفاتٍ      هُنَّ فيه أجلي من التوحيدِ .

وكانه هو وأبوه قد نُسبا إلى هذا التمر ، وخطأ ما ذهب إليه "ابن حجر" وغيره ممن ترجموا له من أن نسبته إلى توحيد تعنى أنه من أهل العدل والتوحيد ، أى من المعتزلة . اختلف إلى الكتاب فى طفولته : ليحفظ القرآن والشعر ، ويتعلم الخط والحساب ومن أسانذته "أبو سعيد السيرافى" ، و"على بن عيسى الرومانى" ، و"أبو بكر الشافعى" و"يحيى بن عدى" تلميذ "الفارابى" ، وغيرهم .

وكان "أبو حيان" ورّاقاً يكتب للناس بالأجر ، يقرأ ما يكتبه فيلصق بذاكرته ، فاتسعت ثقافته ، ومن الكتب التى كان معجباً بها كتب "الجاحظ" ، وبخاصة كتاب "الحيوان" ، وعندما أحس بنقدرته الأدبية قصد "ابن العميد" فى "الرى" : غلّه يجد عنده علماً ، لكنه لم يوفق فى هذه الرحلة التى استمرت ثلاث سنوات ، فعاد خالى الوفاض ، ومما يذكره أنه لجأ إلى التاليف مستفيداً مما قرآن خلال اشتغاله بالوراقة . فألّف كتاب "البصائر والذخائر" ، وهو على نمط "البيان والتبيين" "للجاحظ"<sup>(١)</sup> .

وذكر "كارل بروكلمان" أن "التوحيدى" توفى بعد سنة ٤٠٠هـ ، وقيل : توفى فى حدود سنة ٣٨٠هـ<sup>(٢)</sup> .

ومن أشهر مؤلفات "التوحيدى" : كتاب "الإمتاع والمؤانسة" ، فقد كان يتخذ له مجلساً

(١) عصر الدول والإمارات (الحزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٥٣ وما بعدها .  
(٢) تاريخ الأدب العربى ٤/ ٣٣٦ .

علمياً فلسفياً أدبياً؛ للحوار ليلاً في كل ما يتصل بالإلهيات، والطبيعات، والأخلاق وعلم الكلام، واللغة، والشعر، فقد ذكر "أبو حيان" العلماء والمفلسفة الذين كانوا يجاورونه في هذا المجلس بكتابه "الإمتاع والمؤانسة"<sup>(١)</sup>.

ويُعدّ "التوحيدى" من أعظم أدباء "العراق" في القرن الرابع الهجرى إلى القرن الثالث عشر، ويمتاز أدبه بتنوع موضوعاته؛ حيث تناول فيه كثيراً من جوانب التفلسف، والفكر العميق في الإلهيات والطبيعات، والإنسان، والأخلاق، والنفس، فأدبه ليس لفظاً، بل هو أدب يحمل زاداً كثيراً من المعانى، وقد أشار مراراً في "الإمتاع" وغيره من كتبه إلى أن واجب الكاتب أن يعنى بالمعانى كما يعنى بالألفاظ، وقد أداه ذلك إلى أن يتفصل عن مواجهة السجع التى سادت الكتابات الأدبية فى أيامه؛ إذ رأى فيها طلباً للفظ أو الألفاظ، والاستعلاء لها على المعانى.

وقد راعه أسلوب "لجاحظ" وأدبه؛ إذ رآه يوازن موازنة دقيقة بين الأداء الصوتى والمعانى، مستخدماً أسلوب الازدواج الذى عُرف به. وقد يتخلله فى الحين البعيد بعد الحين السجع. ولكن دون التزامه، ودون الإكثار منه، فاستقر هذا الأسلوب فى نفس "أبى حيان". وأصبح جزءاً لا يتجزأ من أدبه وكتابه، ويبلغ فيه ذروته من الجمال الصوتى لعلها لا تقل جمالاً وروعة عن نظيرتها عند "لجاحظ"، وهو يتسع اتساعاً واضحاً فى أسلوبه بالترادف، وما يتبعه من التقطيع الصوتى، ولتقرأ هذه الفقرة فى فاتحة الرسالة التى توصل بها إلى "أبى الفتح بن العميد":

"اللهم حين لى من أمرى رشداً، ووقفنى لمراضاتك أبداً، ولا تجعل الحرمان على رصداً. أقول - وخير القول ما انعقد بالصواب، وخير الصواب ما تضمن الصدق. وخير الصدق ما حلت النفع. وخير النفع ما تعلق المزيد، وخير المزيد ما بدا عن شكر. وخير الشكر ما بدا عن إخلاص، وخير الإخلاص ما نشأ عن اتفاق. وخير الاتفاق ما صدر عن توفيق."

(١) عصر النول والإمارات ص ٥٨.

وقد بدأ "أبو حيان" الرسالة بالسجع ، وسرعان ما انصرف عنه إلى أسلوب الازدواج ، معادلاً بين كل عبارة وتاليها ، معادلة صوتية دقيقة ، وليس ذلك فحسب ، كأنه يستغل قدرته الفكرية في تفريغ الجمل بعضها من بعض ؛ إذ بدأ بالصواب ، وجعله ينتهى بالتوفيق ، ونحس كثيراً إزاء ازدواجات "أبي حيان" وتفريعاته كأنما يريد أن يكتسح بها قرائه وكان عجباً له أن هذه الرسالة التى كتبها "لأبى الفتح" لقيت فيه إعراضاً ، وعرف أن السبب فى ذلك أنها لم تُكتب بلغة السجع التى كانت سائدة فى عصره ، إنما كتبت بأسلوب "الملاحظ"<sup>(١)</sup>.

---

(١) السابق ص ٤٦٦ .

## الكتابة الفنية

### ازدهار الكتابة وأسبابه وأشهر الكتاب :

لقد ازدهرت الكتابة الفنية في عصر "الدويلات" ، وتنوعت ما بين رسائل شخصية ورسائل ديوانية، ومؤلفات، ومواعظ، وخطب دينية، ومحاورات، ورسائل فكاهية، وقد باتت أسباب ازدهارها واضحة جلية لمن يقوم بدراسة هذا العصر. فإن اتساع نطاق الدولة وانتشار الدويلات في أرجائها كان مدعاة لازدهار الكتابة، وذلك للحاجة الملحة لإدارة شؤون الدولة عن طريق الرسائل والتوقيعات. كما أن من أسباب ازدهارها هذا الاتصال بين الثقافات العربية، والثقافات الأجنبية الوافدة، ذينكم الاتصال الذي أثمر شجره، ونضج ثمره. وآتى أكله في هذا العصر. كما كان من بين أسباب الازدهار انتشار الثقافة، وكثرة دور التعليم، وظهور المكتبات، والإقبال على العلم والتعلم، مما دفع العقول إلى التفكير وكان لانتشار "دواوين الإنشاء" وتنوعها في عصر الدويلات، وكثرتها من العوامل المهمة لازدهار الكتابة في هذا العصر، فقد كان هناك "ديوان الخليفة"، و"ديوان الزمام"، و"ديوان الضياع"، و"ديوان الجيش"، و"ديوان الأوقاف"، و"ديوان النفقات"، ولم تكن تلك الأقاليم في "فن الكتابة" تسير على وتيرة واحدة في الازدهار، ومثال ذلك: أن "تجداً" لم يكن لها نشاط يذكر في هذا الفن، أما شير "تجداً" من مدن "الحجاز"، وخاصة "مكة"، و"المدينة" فإن فن الكتابة كان فيهما مزدهراً، ولا غرو في ذلك؛ حيث إن "مكة" و"المدينة" كانت كل واحدة منهما تمثل جامعة إسلامية تبعج بالعلماء والأدباء وطلاب العلم من كل حذب وصوب، وكان أمراء "مكة" في ذلك العصر يتخذون كتاباً للإنشاء يكتبون لهم ما يريدون من رسائل في مخاطبة "سلاطين مصر"، و"حكّام اليمن" و"العراق"<sup>(١)</sup>.

وعن ازدهار الكتابة في إقليم "اليمن" في هذا العصر يقول الدكتور/ "شوقي ضيف": "ولعل قُطراً في الجزيرة العربية لم تزدهر به الكتابة كما ازدهرت

(١) محاضرات في الأدب العربي ما بين عهد المتوكل وحوال الفرنسيين مصر ص ٨١ وما بعدها .

فى اليمن" ، ونلاحظ هذا الازدهار منذ عهد الدولة الصليحية" ، و"الإسماعيلية" سنة تسع وثلاثين وأربعمئة ، اثنتان وثلاثون وخمسمئة للهجرة (٤٣٩ - ٥٣٢هـ) ؛ إذ كانت تتخذ لنفسها "ديواناً للإنشاء" ، ومن كبار الكتّاب فيه الحسين بن على القيم الشاعر النابه<sup>(١)</sup> .

ويقول عن ازدهار الكتابة فى إقليم "عُمان" : "وظلت عمان تحتفظ بنشاط كتابى طوال العصر ، وقد عنى "نور الدين السالى" بعرضه فى كتابه "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان"<sup>(٢)</sup> ، وفى إقليم "مصر" يعظم "ديوان الإنشاء" حين يستولى "الفاطميون" على مقاليد الأمور ، وذلك لاتساع دولتهم من أقاصى المغرب إلى "نهر الفرات" ، وامتداد سلطنتهم إلى "الحجاز" و"اليمن" أيضاً ، فكان طبيعياً أن يهتموا اهتماماً واسعاً بديوان الإنشاء" ، وقد بلغ من اهتمامهم به أن ألحقوا به دائماً "كبار النحاة" ، و"اللغويين" لمراجعة الرسائل قبل صدورها من الديوان ، وكان ممن اختاروه فى ذلك "ابن بركات" و"ابن برى" النحوى المشهور ، وكان لمن يلتحق بديوان الإنشاء مكانة كبيرة فى عهد الأيوبيين ، ويتولاه للقائد المظفر صلاح الدين الأيوبي "الفاضل الفاضل" مع قيامه على وزارته ، ويشرك معه "العماد الأصفهاني" فى الكتابة ، أما فى إقليم الشام فقد ظل كثير من بلدانها تابعاً لمصر" فى زمن الدولة الفاطمية" ، ولم ينشأ حينئذ فى "دمشق" أو غيرها "ديوان إنشاء" ينهض الكتّاب فيه بالكتابة انديوانية حتى إذ أُطل "دمشق" حكم دولة "الأتابكة" (٤٩٧ - ٥٢٩هـ) رأياها تعنى بهذا الديوان ، ولعل أعم كتّابهم "صلى الدولة" ، ومن أشهر الكتّاب فى الجزيرة العربية فى هذا العصر أبو إسحاق الصابئ" ، و"أبو حيان التوحيدى" ، و"الحريرى" ، و"الخوارزمى" ، و"ابن العميد" ، و"الصاحب بن عباد" ، و"بديع الزمان الهمزانى" .

(١) عصر النول والامارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٢٠٣ .  
(٢) محاضرات فى الأند العربى ما بين عهد المتوكل ودخول الفرنسيين مصر ص ٥١ وما بعدها .

## ثقافة الكتاب

تعددت ثقافة هؤلاء الأعلام في هذا العصر بتعدد العلوم والثقافات وانتشارها فتملت الثقافة الدينية، والعلوم الداخلية التي ترجمت، وشملت أيضاً الإمام سياسة الملك وتدييره، وبالنظم الاقتصادية التي تدير عليها الدولة، من جباية الخراج، وتحصيل للجزية وحساب للأموال، والمصارف والموارد، ومن ثم عب الكتاب من كل ميادين الثقافة وانصلوا بالفلاسفة والمناطق، وشاركوهم في الإمام بمسائل هذين العلمين، وفي الإحاطة بفروعهما، وكان الأدب في رأيه هو الأخذ من كل فن بطرف، ويروى عن "الصائبي" أنه كان مع معرفته بأحكام الإسلام وإحاطته بثقافة العربية وآدابها، واتسع العلم بالهندسة والهيئة، والرياضيات، وكذلك كان "ابن العميد" متفوقاً مع الثقافة الأدبية الواسعة في الفلسفة والمنطق والهندسة والطبيعة، والتصوير وغيرها.

ويورى "ابن مسكويه" عنه أنه كان أكسب أهل عصره، وأجمعهم للكتابة، وحفظاً للغة والغريب، وتوسعاً في النحو والعروض، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات، وحفظاً للدواوين من شعر وشعراء الجاهلية والإسلام، وأما تأويل القرآن الكريم، وحفظ مشكله ومتشابهه، والمعرفة بأخلاق فقهاء الأمصار فكان منه أرفع درجة، وأعلى رتبة.

وكذلك كان "الصاحب" من المحدثين المتكلمين من المعتزلين، متبحراً في علوم اللغة بصيراً بالنقد، مشاركاً في الطب... وكذلك الأمر في "الخوارزمي"، والبديع، و"أبي حيان التوحيدى" الذي كان يلقب "بالجاحظ الثاني"، وسواهم<sup>(١)</sup>.

### وذهب "ابن العميد في الكتابة وخصائصه :

التعريف به : "أبو الفضل محمد بن العميد بن أبي عبد الله الحسين" الكاتب. فارسي الأصل، من مدينة "قم"، كان أبوه مترسلاً بليغاً، فنشأ على الأدب، ودرّبه على الكتابة وغذاه بالعلم، فبرع في الإنشاء والترسل، وتوسع في الفلسفة والنجوم، وكان وزيراً لترك الدولة بن بويه الديلمي، وسمى "ابن العميد" بين الأدباء "الجاحظ الثاني". توفي سنة

(١) دراسات في الأدب العباسي ص ١٢٨ وما بعدها : د/ عيد عبد الرحمن.

## مذهبه في الكتابة وخصائصه :

كان عصر "ابن العميد" عصر تألق ورخرف، وقد استحدث أسلوباً جديداً، متناسب الفقر، أنيق الديباجة، بديع الوشى، وكان متفتناً في أسلوب الكتابة، متفتناً في ضروب الرسائل، حتى شاعت فيه الكلمة الماثورة، بدت الكتابة "بعيد الحميد"، وختمت "بابن العميد".

وهو إمام الطبقة الثالثة: التي تميل إلى إثارة الوجدان، ويلتزم أصحابها السجع القصير، والجناس، وتضمن الملح من التاريخ والعلوم، والتوسع في الخيال والتشبيه، مع إجادة المعنى وسلامته، ومن رجالها: "الصاحب بن عباد"، و"الخوارزمي"، و"الصابي" وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور / "شوقي ضيف" في مذهبه وخصائصه: "من يقرأ ما اقتبسه من كتاباته يؤمن بأنه هو الذي أعطى الكتابة في عصر الدول والإمارات سيفتها التي ظلت الأجيال المتوالية تستخدمها، وهي صيغة قامت على أساسين كبيرين: أولهما السجع وكان معروفاً من قبله في الدواوين العباسية، ولكنه أدخل عليه ضرباً من الموازنة في السجعتين المقولتين، والأساس الثاني لم يكن متبعاً قبله، وهو استخدام المحسنات البديعية مع السجع، فالسجع وحده لا يكتفى، بل لا بد أن تصاف إليه الاستعارة أو الجناس أو الطباق، وما إلى ذلك من محسنات البديع... وسنسوق مثلاً لذلك من كتاب كتبه عن ركن الدولة بن بويه "إلى ابن بلكا" عند عصيانه عليه، مفتنهما لكلامه بقوله: "كتابي إليك، وأنا متأرجح بين طمع فيك، وبأس ملك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تذل سابق حزمة، وتمت سالف خدمة، أسرها يوجب حقاً ورعاية، ويفتضى محاوطة وعناية. ثم تشفعها بخارث غلول وخيانة، وتتبعها بأنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يعبط

(١) تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان ١١٩/٢، وتاريخ الأدب العربي: احمد حس الزيات ص ٢٦١

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١ وما بعدها

أعمالك ، ويسقط كل ما يدعى لك .

وهذا مثال من كتاباته بين لنا المنهج الذي اتبعه ابن العميد في كتابه ، حيث يلتزم السجع ، ويوازن بين السجعات ، فيجعلها قصيرة تتكون من كلمتين ، وإن طالت السجعة الأولى قليلاً أطال السجعة الثانية ، وجعلها موازنة لها أدق موازنة ، مسجعة تدل بسابق حزمة توازنها في دقة السجعة التالية لها تمت بسالف خدمة .

كما أنه يكثر من الطباق ، مثل "طمع .. ويأس" كما يكثر من الجناس ، مثل : "سابق .. سالف"<sup>(١)</sup> .

### مدرسة " الصاحب بن عباد " :

"أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الصاحب" ، وسمى بذلك لأنه كان صاحب "مؤيد الدولة" ، ويكنى "أبو القاسم" ، ويلقب "بالصاحب" كافي الكفاية ، وقد ولد في "اصطخر" . وقيل : إنه ولد في "الطالقان" سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة النبوية الكريمة ، ودرس على أبيه "بالرى" ، وأخذ عنه مذهب الدين والسياسي ، وأكمل دراسته بعد ذلك "ببغداد" . فلما آت إلى وطنه بدأ حياته العلمية في ديوان الوزير أبي الفضل بن العميد . وكانت مدة وزارة الصاحب ثماني عشرة سنة وشهراً استطاع فيها أن يشجع العلم والأدب ، وكان كثير البر للأدباء والعلماء ، وكان هو أيضاً كاتباً وشاعراً . توفي "بالرى" سنة ٣٨٥هـ<sup>(٢)</sup> .

وقد سار "الصاحب بن عباد" على مذهب أستاذه "ابن العميد" ، وزاد عليه في الزينة اللفظية ، ولاسيما في السجع والجناس ، حتى قيل فيه : لو أن سجعه تَنَحَّلُ بموقعها "عروة الملك" ، ويضطرب بها حبر الدولة ، لما هان عليه أن يتخلى عنها ، وقد كان له ذوق سليم في صوغ الشعر ، ونظر صادق في نقده ، ولم تقصه تكاليف الوزارة ولا مظاهر الإمارة عن التأليف ، فصنف في اللغة كتاب "المحيط" في سبعة مجلدات ، وكتاب "الإمالة" ، والكشف

(١) عصر النول والامارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) : د/ شوقي ضيف ص ١٥٦ .  
(٢) تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ١٦٨/٢ وما بعدها .

عن مساوئ "المتنبى"، وغير ذلك، وأكثر فضله فى تشجيع الأدباء، وتنشيط العلماء وإذكاء شعلة الأدب<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور / شوقى ضيف عن أهم خصائص رسائله : "إن الصورة العامة لرسائله هى السجع، والبدیع، والتفنن فى استخدامها تفتناً يدل على مهارة واسعة، حتى غدا ذلك كأنه طبع من طباعه، وسجية من سجاياه.

### من رسائل "الصاحب" تهنئته بميلاد طفلة :

"أهلاً وسلماً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار والأولاد والأطهار والمبشرة بإخوة يتناسقون، نجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء مثل هذى ∴ لفضلت النساء على الرجال  
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ∴ ولا التذكير فخر للهِلال  
فادرع يا سيدى اغتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالديا مؤنثة، ومنها حلقت البرية، وفيه كثرت الذرية، والسماء مؤنثة. وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان، وملاك الحيوان، والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، ولها بعث المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أدليت، وأوزعتك الله شكر ما أعطيب، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد، وما بقى الأبد، وكما عمر ليد<sup>(٢)</sup>.

### أبو القاسم إسحاق الصابئ :

"إبراهيم بن هلال بن إبراهيم"، يكنى "أبى إسحاق"، أصل آبائه من "حوران"، ولد "بغداد" سنة ٢١٣هـ، وكان "عز الدولة البويهى" دعاه إلى الإسلام ليجعله وزيراً له، فأبى ويبدو أنه أحس فى نفسه مبكراً نحو الأدب، وأن يصبح من كتاب الدواوين، فأخذ يكتب على ديوان الرسائل، وحاول "عز الدولة" أن يدخله فى الدين الخفيف، فكان يعتذر، وكان

(١) تاريخ الأدب العربى : د/ أحمد حسن الزيات ص ٢٦٦ .  
(٢) لمنتخب من أدب العرب: للدكتور / طه حسين وآخرين ١٤٨/١ .

يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، وتوفى سنة ٣٨٣ هـ<sup>(١)</sup> .

وقد نشر "شكيب أرسلان" مختارات من رسائله فى مجلدين ، وهى مطبوعة بطوابع السجع ، والمحسنات البديعية ، وفيها يقتبس من القرآن الكريم ، ويضمنها أحياناً بعض الأحاديث النبوية ، وبعض الأشعار القديمة والحديثة ، وكان يطيل فى التحميدات أول الرسائل ، حتى ليظن قارئه أنه من جلة المسلمين ، كقوله فى مطلع إحدى رسائله :  
"الحمد لله العلى العظيم ، الأزلى القديم ، المتفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجبروت ، الذى لا تحده الصفات ، ولا تحوزه الجهات ، ولا تحصره قرارة مكان ولا يغيره مرور زمان ، ولا تمثله العيون بنواظرها ، ولا تتخيله القلوب بنواظرها ، فاطر السماوات وما تظلل ، وخالق الأرض وما تقبل .

وقد أشاد "ابن الأثير" برسالة "الصائغ" التى أعلن فيها عزل الخليفة "المطيع بأمر عز الدولة" ، يختار "البويهى" ، وهى نموذج أساليب النثر الفنى ، المبني على أسس المبادئ الفقهية<sup>(٢)</sup> .

### الثعالبي :

هو "عبد الملك بن محمد بن إسماعيل" ، ويكنى "أبو منصور الثعالبي" ، وهو لغوى وأديب عباسى . وقد وُلد "بنيسابور" سنة "خمسين وثلاثمائة" للهجرة ، وقد برع فى اللغة والإنشاء ، والتدوين الأدبى ، والتراجم ، وانصرف إلى التدوين فيها جميعاً ، وأشهر مؤلفاته "تيمة الدهر فى محاسن أهل العصر" ، وهو ديوان تراجم وشعر لأشهر مشاهير الشعراء وكتاب "أحسن ما سمعت" ، وغير ذلك من الكتب ، وتوفى "الثعالبي" سنة "تسع وثلاثين وأربعمائة" للهجرة الكريمة ، وقد أخذ "الثعالبي" فيما أخذ فيه من أهله من العمل ، ولكن نفسه المتوثبة ، ورغبته العارمة فى العلم والمعرفة حببت إليه أن يطلع ، ويدرس فعكف على هذا التراث الطيب بنفس مشوقة ، ولكنه ما كاد يرقى أول "الدرج" حتى وجد نفسه مطالب

(١) الأديب العربى : بروكلمان ١١٩/٢ ، وعصر الدول والإمارات : دا شوقى ص ٤٤٣ .  
(٢) قاموس الإسلامى : الدكتور / أحمد عطية الله ص ٥٢٥

بما تطالب به الحياة الناس، من جد يتطلبه الرزق، وجهد تفرضه لقمة العيش، فاشتغل معلماً للصبية، حتى استطاع أن يلحق بركب الملوك، وأن يخدمهم بكتبه، فقد ضمه "بلاط الأمير شمس المعالي" قابوس بن وشمكير"، واتصل "بالصاحب بن عباد"، وخدمه بكتابه "لطائف المعارف"، واستطاع ذكاؤه وثقافته أن يجعل مكانة طيبة في البيت "الميكالي" وأصبح "أبو منصور" صديقاً وياً للأمر "أبي الفضل عبيد الله الميكالي"، وقد أتاحت له تلك الحياة من أسباب الثقافة ما لم يتح لغيره، كما أتاحت له أن يجالس الخاصة، فأصبح عملاقاً من أدباء عصره، ولا غرؤ أن نراه وقد تفرّد بتسجيل الأدب العربي خلال هذه الفترة ولا غرابة في أن نحس بهذا الجمال المتدفق، ونحن نطالع كتبه حيث إنك ترى فيها تراث العرب وقد عرض عرضاً جديداً يجذب النفوس نحو، ويأخذ بالقلوب إلى رحابه، وقد رزق "أبو منصور" التعالي "القبول والنجاح ما مكن له في قلوب معاصريه، ثم في قلوب من أتوا بعدهم من الأدباء والمؤرخين، وهو كما يقول "الخصري": "فريد دهره، وقرع عصره، ونسيح وحده. وهو كما يقول عنه "ابن بسام" صاحب "الذخيرة": "رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه أباط الإبل وطلعت دوارينه في المشارق والمغرب ... وقد كان يقول الشعر على طريقة المتأدبين والكتاب المترسلين، فهو يعدّه فناً له أشكاله وقوانينه أكثر منه فناً يعتمد على الإلهام وانتفاضة الشعور، ومن هنا جاء شعره أقرب إلى الصنعة، وألصق بالمحسنات اللفظية<sup>(١)</sup>.

## الخوارزمي :

هو "محمد بن عباس الخوارزمي"، ويكنى "أبو بكر"، وكان أصل آبائه من "طرستان"، وولد "بخوارزم" سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة النبوية الكريمة ثم فارقها وهو فتى السن لبتغاء العلم، والتماساً للرزق، وتقلب في خدمة كثير من الملوك والأمراء. ولقى "سيف الدولة" وخدمه بالشام، واستوطن في "نيسابور"، واقتنى بها ضياعاً وعقاراً، وعاش قرير العين، ناعم البال بين مجالس الدرس، ومجالس الأُنس، وفي آخر عمره نافسه "بديع

(١) مقدمة كتاب التمثيل والمحاصرة لأبي منصور التعالي: للأستاذ / عبد الفتاح محمد الحلو .

الزّمان الهمزاني" ، وكان هذا أحدث منه سنأ، فزعزع مكائته ، وغض من جاهه ، وتوفى -  
رحمه الله تعالى - سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة<sup>(١)</sup> .

وكان "الخوارزمي" يتمتع بمكانة سامقة في الأدب والكتابة ، كما كان يتمتع بسرعة  
الحافظة ، وقوة الذاكرة ، وشاع ذلك حتى قيل : "إنه قصد "الصاحب بن عباد" ، فلما وقف  
ببابه وهتأ الحاجب إلى "الصاحب" ، وقال : "إن بالباب أديباً يستأذن في الدخول" فقال  
الورير : "قل له : ألزمت نفسي ألا يدخل عليّ إلا أديب يحفظ "عشرين ألف بيت" من شعر  
العرب" . فقال "أبو بكر" للحاجب : "أرجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من  
شعر النساء؟ فلما أخبر بذلك "الصاحب بن عباد" قال : "هذا أبو بكر الخوارزمي" ، وكان  
"الخوارزمي" مع ذلك إماماً في اللغة ، عالماً بأشعار العرب وأخبارها ، واقفاً على أسرار  
اللسان ، وخواص التراكيب ، و"الخوارزمي" في النثر يُعدّ من طبقة "أبن العميد" ، وشعره بين  
الخيد والردي<sup>(٢)</sup> .

وفد روى صاحب "تيممة الدهر" نماذج من شعره . أمّا رسائله المسجوعة في كل فن  
من الفنون الأدبية . فقد وُصفت باسمه ، وخلّدت ذكره<sup>(٣)</sup> .

ومن كلامه : "الرجال حصون ، يبنها الإحسان ، ويهدمها الحرمان . وينبع بشعرها  
النر والنيسر ، ويمحقها الحفاء والكبير . وإنه لا مال إلا برحال ، ولا صلح إلا بعد قتال  
والخان مقتول بالخوف قبل أن يُقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خانه العمر ، وحاضر وإن  
غيبه القبر . ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب ، ومن هرب منها طلبته أشد الطلب" .  
ومن شعره في الحكم :

لا تصحب الكسلان في حالاته . . . كم صالح بفساد آخر يفسد

(١) تاريخ الأدب العربي : نكارول بروكلمان ١١٠٢ ، وتاريخ الأدب العربي : لأحمد حسن الزيات ص ٢٦٨

(٢) تاريخ الأدب العربي : نكارول بروكلمان ٢٦٨/٢

(٣) -انه ١١١٢

عدوى البليد إلى الجليد سريعة :- والحمر يُوصع في الرماد فيخمد<sup>(١)</sup>  
وقد خلف الخوارزمي ديوان رسائل كبير، وفي كتاب "تيممة الدهر" للثعالبي  
طائفة كبيرة من أشعاره في النسيب، والغزل، والمديح، والرثاء، وفي فنون متباينة  
وفي مقدمتها "الهجاء"<sup>(٢)</sup>.

### القاضي الفاضل :

هو أبو علي أبو عبد الرحيم، ولد بمدينة "عسقلان" بفلسطين العربية، وأخذ  
العلم عن أبيه "قاضي عسقلان"، ثم وفد إلى "مصر" في أواخر الدولة الفاطمية؛ ليتعلم  
الكتابة في الديوان، ورحل إلى مدينة الإسكندرية، فدخل "ديوان ابن حديد"، وكان  
يومذاك قاضيها، ثم قدم "القاهرة"، وكتب في "ديوان الظافر"، وبعد قيام الدولة الأيوبية  
استوزره الملك "صلاح الدين الأيوبي"، وقد توفي سنة "خمسة وتسعين وخمسمائة"  
للهجرة، وقد كانت له منزلة سامقة، ومكانة باسقة في الكتابة، فقد خالط "القاضي  
الفاضل" الكتاب في مختلف البلدان، ووقف على المناصب الكتابية المتباينة في "الشام"  
و"العراق"، و"مصر"، فجزته المحاكاة، والمفاضلة، وقوة الشخصية إلى ابتكار طريقة  
جديدة، نماها على أصول طريقة "ابن العميد"، وكانت مُفرقة في "التورية"، و"الجناس"  
حتى أصبحت الكتابة في عهده طلاءً خداعاً من زخرف اللفظ على هيكل بالٍ  
من المعنى السقيم، وقد اقتفاها عباد الصنعة من أشباه الكتاب<sup>(٣)</sup>.

ومن كلامه الدالّ على ما أومأنا إليه آنفاً قوله وهو يصف فيضان النيل من رسالة  
قال: "وأما النيل فقد ملأ البقاع، وانتقل من الأصبع إلى الذراع، وكأنما غار على الأرض  
فغطاها، وغار عليها فاستنفقها وما تحطأها، فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه  
ولا مرغوب مرهوب إلا إياد"<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٦٩ وما بعدها .

(٢) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) : د/ شوقي صيب ص ٥٩٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : للزيات ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٤) المنتخب من أدب العرب: للكتور / طه حسين وآخرين ١٨٢/١ .

## "العماد الأصبهاني" :

هو "عماد الدين محمد بن محمد"، ولد بأصبهان سنة ٥١٩ للهجرة. وفد به والده إلى بغداد، واستقر بها، والتحق بالمدرسة النظامية، وتفقدها، وثقف علوم العربية وعاد مع أبيه إلى أصبهان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة، ثم آب إلى بغداد وتولى نظر البصرة، ثم نظر واسط، وفي سنة ستين وخمسمائة للهجرة سجن العماد الأصبهاني مع من سجن من أتباعه، وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة للهجرة نزل دمشق في المدرسة النورية، وزار مصر، ثم عاد إلى دمشق، فلزم داره يصنف ويؤلف حتى توفي - رحمه الله تعالى - في سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة<sup>(١)</sup>.

وخصائصه الفنية في الكتابه : أنه يعد من رجال الطبقة الرابعة التي تزعمها القاضي الفاضل". وقد نهج العماد الأصبهاني نهج إمام هذه الطبقة في توخي السجع والبديع، ويكثر الطباق في رسائله، وأهم محسن يديعي أكثر من استخدامه هو أحناس<sup>(٢)</sup>.

ومن كلامه في انتصار القائد صلاح الدين الأيوبي على حملة الصليب: "وأخرج من بيت المقدس يوم الجمعة أهل الأحد، وجمع من كان يقول: إن الله ثالث ثلاثة بمن يقول: هو الله أحد، وأعان الله بإتزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنوح الذي هو فتح الفتوح"<sup>(٣)</sup>.

## ميزات الكتابة في هذا العصر:

وما سبق يستبين لنا بجلاء ووضوح تامين أن الكتابة قد تميزت في هذا العصر بعدة ميزات، منها:

• أولاً : تناولت الكتابة الموضوعات المختلفة التي كان يتناولها الشعر .

(١) المنخ من ادب العرب: للدكتور / طه حسين وآخرين ١٨٢/١  
(٢) عصر النول والإمارات: د/ شوقي صيف ص ٧٨٧، وتاريخ الأدب العربي: للزيات ص ٢٥٢ .  
(٣) عصر النول والإمارات (مصر، والشلم) ص ٧٨٧ .

- ثانياً : الإكثار من عبارات التبجيل والتعظيم .
- ثالثاً : مات الكتابة إلى الدقة في الخيال ، وتمسك المعاني ، والاعتماد على الأدلة والحجج والبراهين ، وذلك للتأثر بالثقافات الأجنبية الوافدة إلى الأمة العربية .
- رابعاً: إظهار البراعة في تقصى الحوادث والإلام بأحداث التاريخ<sup>(١)</sup> .
- خامساً: يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات " في ميزان الكتابة : " فلما نزع العرب إلى الترف ، وزاد اختلاطهم بالفُرس أخذوا يتأثفون ، ويطلبون أساليب القدماء ، ثم مالوا إلى الازدواج ، والسجع ، والتضمين ، يعنى تضمين الأشعار والأمثال فلماً ضعفت الخلافة ، وقام بالأمر غير أهله سرى الضعف إلى الكتابة ، ومالوا إلى زخرف القول ، وتدييح اللفظ بأنواع البديع<sup>(٢)</sup> .

(١) عصر الدول والإمارات (مصر ، والشام) ص ٧٨٧ ، دراسات في الأدب العباسي: للدكتور عبيد عبد الرحمن قنلوى ص ١٣٧ .  
 (٢) تاريخ الأدب العربي: للأستاذ / أحمد حسن الزيات ص ٢٤٠ .

## فن المقامة في الأدب

### المقامة ومعناها الأدبي :

كانت كلمة مقامة في العصر الجاهلي تعنى مجلس القبيلة أو ناديها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل

وأحياناً كانت الكلمة تتجاوز المكان إلى من يتواجدون فيه ، فتعنى الجماعة التي

يضمها المجلس أو النادي ، كقول "ليد" :

ومقامة غاب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

ثم تطور مضمون الكلمة في العصر الإسلامي ، وأصبحت تعنى المجلس الذي يقوم

فيه شخص بين يدي الخليفة أو غيره ، كقول "كعب" :

لقد أقوم مقاماً ما لو يقوم به يرى ويسمع ما لو يسمع الفيل

وأخيراً أصبحت تعنى المحاضرة . سواء أكان من يقدمها قائماً أو قاعداً ، وعندما

تقدمت الفنون الأدبية في العصر العباسي الثاني . وتعددت ألوان الأدب شعره ونثره ، اتجه

الأدب إلى التذويق والإغراق في المحسنات البديعية اغتذت المقامة مدلولاً أدبياً.

وكان "بديع الزمان" أول من استخدم لفظ "المقامات" استخداماً يقصد به حنساً أدبياً

حديثاً يريد على الفنون الأدبية المتداولة في ذلك الحين<sup>(١)</sup>.

ويذكر "كار بروكلمان" أن المقامات تحولت في العصر العباسي إلى معنى التكية

والاستجداء بلغة منمقة ، ويرى الدكتور "زكى مبارك" أن المقامات تستعمل بمعنى

المحاضرات .

و"بديع الزمان" أول من وضع المعنى الاصطلاحي لكلمة "مقامة" ، فقد أطلقها على

مقاماته ، وجعلها في صورة أحاديث تعليمية فيها الكثير من الأساليب اللغوية ، والمعاني

(١) المجلس الأدبي - دراسة تحليلية مقترنة ص ١٨١ وما بعدها ؛ د/ حمدان عبد الرحمن - مطبعة الامامه - الصنعة الأولى سنة ١٩٨٩م.

اللفظية التي تغيد الناشئين ، ووضعتها في شكل قصصى.

وقد أصبحت المقامة في عرف الأدباء : هى الحديث المأثور الذى يخلب اللب ، ويأسر الخيال ، ويقال على لسان شخص خيالى يخكيه على هيئة قصة ، ويزينها بما يشاء من الحكم والأمثال ، والمواعظ الكثيرة ، معتمداً على السجع فى سردها وتصوير حوادثها<sup>(١)</sup> .  
ويتعبر آخر : المقامة فى مفهومها الأدبى : حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامى ويروىها شخص عن بطل يقوم بها<sup>(٢)</sup> .

### ظهور المقامات ونشأتها فى الأدب العربى :

ارتبطت نشأة المقامات فى الأدب العربى بفساد الحياتين : الاقتصادية ، والاجتماعية ففى خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى سيطر "البويهيون" على "فارس" و"العراق" ، فأدى ذلك إلى انقسام الدولة المترامية الأطراف إلى دويلات كثيرة فى "فارس" و"الشام" و"المغرب" و"الأندلس" ، وقد نتج عن هذا الانقسام وجود جماعات حاكمة فى هذه الدويلات متمتعة بكل الحقوق ، تقابلها كثرة كادحة قد كتب عليه الحرمان والشقاء ، وأصبح لزاماً على الأدباء الذين يتطلعون إلى الحياة الكريمة أن يتصلوا بهؤلاء الحكام لمدهم ؛ طمعاً فى المال والحياه ، وأصبح الأدب وسيلة للكسب ، فلا غرابة أن تظهر جماعة من فقراء المجتمع يتخذون من الأدب وسيلة للتسول أحياناً والنصب على العامة أحياناً أخرى ... وقد واكب هذا الاضطراب اضطراب آخر فى الحياة الأدبية ، ومحاول كل أديب إظهار التفوق على الآخر فى مجال الصنعة ، والإكثار من المحسنات البيعية ، وفى فن المقامات وصف لكثير من العادات والتقاليد التى كانت منتشرة بين الطبقات الوسطى والدنيا فى العالم الإسلامى ، وقد عزى "الحريرى" ابتداء هذه المقامات إلى "بديع الزمان الهمزانى" ، وقد تبع "الحريرى" فى هذا الرأى كل من تصدوا لدراسة المقامات فى القديم كما وافقه معظم الباحثين المعاصرين<sup>(٣)</sup> .

(١) دراسات فى الأدب العباسى ص ١٥٠ وما بعدها .

(٢) الأجناس الأدبية (مرجع سابق) ص ١٨١ .

(٣) الأجناس الأدبية - دراسة تحليلية ص ١٨١ وما بعدها : د/ محمد عبد الرحمن - مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م .

## بين القصة والمقامة

وتعتبر المقامة نواة للقصة في أدبنا العربي، وقارن الأستاذ/ فخري أبو السعود بين مقامات البديع، وبين أشباهها في الأدب الإنجليزي، فيقول: "بدأت تنمو بذور القصة الفنية التي تدرس المجتمع، وتحلل الشخصية، وتهتم بالتصميم الفني، والفكرة الموحدة ويبدو كل ذلك في مقامات "بديع الزمان"، فهذا الكاتب يمثل في العربية من هذه الوجهة مكان "أديسون"، و"ستيل" في الإنجليزية، وقد أبدى في ثانيا مقاماته من نفاذ النظرة وبداعة الوصف، وبراعة الفكاهة، وتنوع الموضوعات ما هو جديد بأسمى أنواع القصص واختراع شخصية "أبي الفتح الإسكندري"، وهذه الشخصية تعين من مراحل تطور القصة العربية، نفس المرحلة التي تعينها شخصية "سير روجر" من تطور القصة الإنجليزية بمقامات البديع في الأدب العربي بمثابة مقالات "أديسون" و"ستيل" في الأدب الإنجليزي تعين بدء ظهور القصة الاجتماعية التحليلية

نجد أن تطور القصة العربية وقف عندها الحد، لا يتخطاها، ولم يبلغ مرحلته التالية لأن الأسباب لذلك لم تكن مكتملة<sup>(١)</sup>.

وهي أصل المقامة ومعناها ومنزلتها من القصة يقول الدكتور/ محمد غنيمي هلال: "المقامة في الأصل معناها المجلس، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل حكاية ذات أصول فنية... وكان يمكن أن يكون هذا الجنس أخصب جس أدبي في القصة والمسرحية في الآداب العربية، لولا أنه سرعان ما انحرف عن النقد الاجتماعي في صورة جديدة إلى المحاكاة اللغوية، والألفاظ اللغوية، والأسلوب المصطنع، الراجح بالحلية اللغوية"<sup>(٢)</sup>.

(١) القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها سنة ١٩٣٠: عباس خضر ص ١٨ - النور النوبية للطباعة ١٩٦٦

(٢) الآداب المعاصر ٢٠ د/ محمد عيسى هلال ص ٢٢٣ - ٢٢٥

فنن المقامة يعد البذور الأولى للفن القصصى، وهو أشبه بالقصة القصيرة، وكان له شأن فى محاولة تطوير القصة العربية، والعبور بها إلى القصة الحديثة<sup>(١)</sup>.

## مقامات البديع وخصائصها

التعريف به : "بديع الزمان ، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمزاني" ولد سنة ٣٥٨هـ فى "همزان"، وأدبه "أبو الحسن أحمد بن فارس النمرى"، وفى سنة ٣٨٠ قدم إلى "جرجان"، وانتقل منها سنة ٣٨٤هـ إلى "نيسابور"، ولقى فيها "الخوارزمى"، وهو فى ذروة شهرته، ثم طاف "خراسان"، و"سجستان"، حيث نزل منزلة الكرامة عند الأمير "خلف بن أحمد"، وتوفى سنة ٣٩٨هـ.

## مقوماته :

البديع مبتكر فن المقامات فى الأدب العربى، ويقول "الخصرى" فى "زهر الآداب" :  
إنه عارض بمقاماته كتاب "الأربعين حديثاً" لأبى بكر محمد بن الحسن بن وريد الأزدي  
وقد عد أقوال المكذبين، وصاغ منها صوراً من حياة الأدباء السيارين، حافلة بالحركة  
التمثيلية، وتدور فيها المحاوراة بين شخصين، سعى أحدهما: "عيسى بن هشام"، والآخر:  
أبا الفتح السكندرى".

وقد كتب البديع أربعمائة مقامة فى الكدية وغيرها، ولم يعثر منها إلا على ثلاث  
وخمسين مقامة، ولحسن الديباجة، وأناقة الأسلوب فيها المقام الأول فأسلوبها طلى  
شهى، والموضوع الأساسى الذى تدور حوله جل مقاماته هو : الكدية والاستجداء، ولكى  
ينجح البطل فى خداع الناس، كان يتمق أسلوبه، ويطعمه بالأشعار والحكم، والأمثال  
ويزينها ببعض الآيات القرآنية الكريمة... وروح الفكاهة هى الطابع المشترك الذى يميز كل  
المقامات، كى يستطيع البطل أن يصل إلى قلوب ضحاياه، ويتمكن من الاحتيال عليهم  
وتعتبر مقامات البديع من هذه الناحية من عيون الفكاهة فى الأدب العربى<sup>(٢)</sup>.

(١) القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠ - عباس خضر ص ١٦ .  
(٢) الأجناس الأدبية دراسة تحليلية مقارنة : د/ حمدان عبد الرحمن ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

ويقول الدكتور / "شوقي ضيف": "فى مقاماته، يمتاز البديع فى مقاماته غفلة الروح وميل إلى الدعاية، والعبارة المسجوعة، وتدور حول "الكديبة" أو الشحاذاة الأدبية، أما المقامات الخمسة المتصلة "بخلف بن أحمد"، فإنها تخلص من "الكديبة"، وقد وضع البديع المقامات فى إطار السجع، وألوان من الأخيلة والجناس، ومراعاة النظر، ولا ريب أن سجمه فى مقاماته - كرسائله - سجع رشيق، لما يمتاز به من قصر، ومن حسن انتخاب لألفاظه من المقامة القرىضية للبديع.

حدثنا عيسى بن هشام قال: "طرحتنى النوى مطارحها، حتى إذا وطئت "جرجان" الأفسى استظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها (أعملت) يد العمارة، فأموال وقتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة أخذتها صحابة... فجعلنا يوماً نتذاكر القرىض وأهله، وللقاءنا شاب قد جلس غير بعيد، بنصت وكأنه لا يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدل فينا ذيله، قال: أصتم عذيقة ووافقتم حزيلة. فدنا وقال: "سلونى أجبكم، واسمعونى أعجبكم"، قلنا: "ما تقول فى امرئ القيس". وقال: "هو أول من وقف بالديار وعرفساتها، واغشدى والظير فى وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاساً، ولم يجد القول راشياً، ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بنانه"، قلنا: "فما تقول فى النابغة"، قال: "ينسب إذا عشق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر إذا رهب، ولا يرمى إلا صائباً"<sup>(١)</sup>.

## مقامات الحريري

التعريف به: هو أبو محمد القاسم بن على بن على بن محمد الحريري البصرى ولد سنة ٤٤٦هـ، وسكن البصرة، وأخذ يختلف إلى علماء عصره، يأخذ عنهم الحديث والفقه، والأدب، وهو أحد أعلام البلاغة، واللغة، والأدب، والإنشاء، ومقاماته التى حاكى بها البديع، أربت عليها اشتجاراً ومنفعة، وقل أديب منذ وحدث لم ينتفع أو يعجب

(١) النصوص الأدبية فى العصر العباسى: د/ مصطفى محمد يونين ص ١٣٨.

بها، توفي سنة ٥١٦هـ.

**مقاماته :** ويعتبر مقامات الحريري آية براعته، التي ليس لها لاحقة مماثلة. وكأننا أغلق الأبواب بكلتا يديده بعده، فلم يستطع أحد أن يبلغ ملفه في تلك المقامات، وقد شهد بذلك "الزمخشري"، فقال:

أقسم بالله وآياته .: ومشعر الحج وميقاته  
إن الحريري حرى أن .: تكتب بالتبر مقاماته  
ويقول "السمعاني" عنه : "لم يكن له في فنه نظير في عصره".

ويقول "العماد الأصفهاني": "طلعت ذكاء (شمس) ذكائه في المغرب والمشرق ... حريري الوضي، عراقي الوشم (النقش)، لؤلؤي النظم، كلامه بئمة البحر، وقيمة النحر. وكان الناس يزدحمون عليه لسماع مقاماته، ويقال: إنه أجاة لسبعمانه طالب أن يرووها عنه، وفي ذلك ما يدل على ما كان يحظى به هو ومقاماته في عصره من منزلة أدبية رفيعة.

والمقامات أقاصيص قصيرة، تصور مواقف متنوعة، لأدب متسول يحتال ببيان وفصاحة لسانه، فيلقون إليه بالدرهم والدنانير، وهي تزخر بحركة تمثيلية، غير أنها لا تتسع لتصوير حياة مجتمعا. فقد كانت غاية "الحريري" منها غاية بلاغية فحسب.

ونرى "الحريري" يذكر في مقاماته مقصده منها، إذ يقول: "أنشأت خمسين مقامة تختوى على جد القول وهزله، ورتيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب العربية، واللطائف الأدبية. والأحاجي النحوية. والفسادى اللغوية، والرسائل المتكدة والخط الحيرة، والمواعظ المنكية، والأصاحيك الملهبة، ومعنى ذلك أنه لم يقصد فيها إلى القصص لذاته، وإنما قصد فيها إلى أفانين من النشر. فضلاً عما التزمه من السجع، ركز ذوق التصنيع عم في الكتابة، فلم يقف الكتاب عند السجع، والمحسنات البديعية. بل أخذوا حتى يشتوا براعتهم الأدبية".

وعن التصنيع والصنعة عند "الحريري" يقول: "أحمد حسن الزيات": "وهو من ساقاة أتباع" ابن العميد"، ومن المجتهدين لتطوير الطريقة الفاضلية، بالقصد إلى السديع والمبالغة في الصنعة والإفراط في تدييح اللفظ، والتفريط في جاسب المعنى، حتى تراءت معابنة من خلال ألفاظه غليظة ضئيلة، مثل العروس المسلوطة جملوها بالأصباغ، وأثقلوها بالغلائل والحلل، ومقاماته من أجود آثاره، صرف همه إلى تحسين اللفظ وتزيينه، وفيها تكلف لا تسمح به طبيعة البدوي الذي قيلت على لسانه.

## من المقامات الفلسفية من مقامات الحريري

فاتفق حين دخلت تغليس<sup>(١)</sup>، أن صليت مع زمرة مغاليس<sup>(٢)</sup>، فلما قضينا الصلاة وأزمعنا الانفلات، برز شيخ بادي اللغوة<sup>(٣)</sup>. بالي الكسوة والقوة، فقال: عزمت على من خلق من طينة الحرية، وتفوق<sup>(٤)</sup> در العصية، إلا ما تكلف لي لبنة<sup>(٥)</sup>. واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد، ويبدد البذل والرد، فعقد له القوم الحما<sup>(٦)</sup>، ورضوا أمثال الربا، فلما أنس حسن إنصاتهم، ورزانة حصاتهم<sup>(٧)</sup>، قال: "يا أولى الأبصار الراققة، والبصائر الراققة، أما يغنى عن الخير العيان، وينبئ عن النار الدحان<sup>(٨)</sup>، شيب لائح. ووهن فادح وداء راصح، والباطن ناصح، ولقد كنت ممن ملك ومال وولي وآل، ورفد وأنال. ووصل وصال، فلم تزل الخواج تسحت<sup>(٩)</sup>، والنواجب تححت، حتى الوكر قفر. والكنف صعر والشعار صير، والعيش مر، والقسية يتضاغون<sup>(١٠)</sup> من الطوى. ويتمنون مصاصة السوى

(١) مدينة بلذربيجان

(٢) مدائيس فقراء

(٣) اللغوة صرب من اتلال .

(٤) تفوق رصع . واثر الثبير .

(٥) لبنة مكنة أي مكنت قليلا حين يسمع ما أقول، ويريد بالثفنة هنا : الكلمة

(٦) الحد جمع حيوة . وهي حصة للأعراب كان الرئيس منهم يحضر على الا يقوم احد، فيجمع منهم ركة أي بصره. وسأقيه إلى وركيه، ثم يلف على مقدم ساقيه وطهره إزارا يشمل الجميع.

(٧) المراد بالحصاة هنا : العقل والبرائة

(٨) مال . تعول واعتنى . وولي : من الولاية . وال من الآيالة وهي السباحة

(٩) بسحت - من السحت ، وهو محق البركة .

(١٠) يتضاغون يتناكون ، ويصيحون جوعا . والطوى : الجوع .

ولم أقم هذا المقام الشائن ، وأكتشف لكم الدفائن إلا بعد ما شقيت ولقيت<sup>(١)</sup> ، وشبت مما لقيت ، فليتنى لم أكن بقيت ... الخ.

## أثر المقامات في اللغة والأدب

لقد أثرت المقامات في اللغة العربية وآدابها ، لما حفلت به من مفردات غريبة وتراكيب بليغة ، وأساليب بديعة ، وصور فنية جميلة ، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي :

- ❖ تعد المقامات ديواناً حافلاً بالألفاظ اللغوية .

- ❖ شاع أسلوبها وانتشر في الأوساط العربية شرقاً وغرباً .

- ❖ أفاد الناشئون والمتأدبون من الألفاظ اللغوية ، والتراكيب الأدبية ، منذ نشأتها حتى الآن.

وفي قيمتها اللغوية والأدبية يقول الأستاذ / أحمد حسن الزيات : "وليس من المقامة جمال القصص . ولا حسن الوعظ ، ولا إفادة العلم ، وإنما هي قطعة أدبية فنية يقصد بها الفن للفن ، وتجمع شوارد اللغة ونوادير التركيب في أسلوب مسجوع أنيق الرشى يعجب أكثر مما يؤثر ، ويلد أكثر مما يفيد ، ولم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع ، فلم يعن كاتبوا المقامات بتصوير الخطابات ، وتحليل الأشخاص وإنما صرفوا عملهم إلى تمسي اللفظ وتزيينه .

## الخطابة في العصر العباسي الثاني وأهم موضوعاتها

كان للخطابة في صدر هذا العصر مكانة في النفوس ، وسلطان على القلوب لاعتماد القوم عليها في توطيد الملك ، وتعميس الجند ، واستقبال الوفود ، وكان للخلفاء الأولين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع ، والشأن البعيد ، كالمنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والمأمون ، وداود بن علي ، وخالد بن صفوان ، وشيبة بن شيبة<sup>(٢)</sup> . ولا غرو فالخطابة ضرورية لكل مجتمع ، في سلمه وحره ، فهي أداة الدعوة

(١) أصبت بالقوة .

(٢) تاريخ الأدب العربي : للزيات ص ٢٤٣ .

إلى الرأى، والتوجيه إلى الخير، ووسيلة الدعاة من الأنبياء والمرشدين، والزعماء والمصلحين، فهى ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية. ومن المعلوم أن الخطابة تنتعش بوجود الدواعى إليها، والأغراض الباعثة عليها، والموضوعات التى تكون الضرورة ملحة ماسة للقول فيها، والتصدى لها، والإعلان عنها والدعوة إليها.

وقد توافرت فى العصر العباسى الأول عوامل أدت إلى ازدهار الخطابة وتنوعها - كما رأينا - فلما استوثق الأمر لبني العباس، وقام الموالى بسياسة الدولة وقيادة الجيش وقل التضال باللسان واللسان، ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وقلت الدواعى إليها وحلت الرسائل والمستورات محلها فى دفع العظام، وسل السخاتم، وقصرت على حُطْب الجُمع والعيدين والزواج، على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس، ويؤمنونهم إلى عهد الخليفة "الراضى"، فلما غلّ "بنو بويه" أيديهم، وحصروهم فى دورهم عهدوا بالخطابة والإمامة إلى الكفاءة من العلماء، فنبغ فى آخر هذا العصر طائفة من الأدباء اشتهروا بهذا النوع من الخطابة .. كما اشتهر كثير من الوعاظ نسمع عنهم فى كل بلدة، غير أن المصادر قلما احتفظت بمجاميع من خطبهم إلا ما كان من حطب "ابن نباتة" خطيب "سيف الدولة الحمدانى"، وطبيعى أن يتشتهر بنصر غير واعظ، ويلقانا فى مفتتح هذا العصر "أبو الحسن على بن محمد البغدادى"، المتوفى سنة ٣٣٨هـ ... وكان يخطب الناس يوم الجمعة بالجامع الأزهر، ولم تحفظ كتب التاريخ بشئ من خطبه ومواعظه "بالقاهرة".

ونغضى إلى زمن "الأيوبيين"، فلقانا "إبراهيم بن منصور" المتوفى سنة ٥٩٦هـ، إمام جامع "عمرو بن العاص" وخطبه ... وطبيعى أن الخطابة فى زمن الأيوبيين وحروبهم مع الصليبيين كانت تحض بقوة على جهاد أعداء الله والإسلام<sup>(١)</sup>.

وفى "حلب" بالتام نلتقى "بأبى العلاء المعرى" ... وله كتاب يعرف "بسيف الخُطْب" فيه خطب الجُمع والعيدين، والخسوف والكسوف، والاستسقاء، وعقد الزواج.

(١) عصر الدول والإمارات (مصر، والشام) ص ٢٦٠ وما بعدها.

ويحتمد الوعظ عند نزول الصليبيين "الشام" ليث الحمية في نفوس الناس ... واشتهر كثيرون حينئذ بروعة وعظهم، منهم "بنو العديم" في "حلب" لعهد "نور الدين"، و"ابن نجما" خطيب "دمشق" ... ومن الوعاظ المشهورين حينئذ "المنهذب الدمشقي"، وفي الجزيرة العربية تلقانا في "اليمن" المواعظ في كل زمان ومكان، ومن أشهر الخطباء في عهد "الرسولين": "أبو الغيث بن جميل" الملقب "بشمس الشموس"، وكان يعاصره "أحمد بن علوان"، وكان الوعظ مزدهراً في "حضر موت"، إذ اشتهر فيها صوفيون كثيرون بمواعظهم، ومن أشهر متصوفها "أبو بكر العبدروس"، كما وجدت خطب ومواعظ كثيرة في "البحرين" و"عمان" شأنها في ذلك شأن جميع البلاد العربية في الجزيرة، ووراء الجزيرة.

### خصائص الخطابة في هذا العصر

يمكننا أن نستخلص خصائص الخطابة في هذا العصر من خلال عرضنا لخطبة من خطب أشهر الخطباء حينئذ، وهو "ابن نباتة الفارقي" الذي يقول فيه "ابن خلكان" صاحب الخطب المشهورة: "وقع الإجماع على أنه ما عمل مثلها، وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته، وكان خطيب "حلب" أيام "سيف الدولة الحمداني"، وكان كثير الفزوات ولهذا أكثر "ابن نباتة" من خطب الجهاد؛ ليحرض الناس عليه، ويحثهم على نصرة "سيف الدولة"، يقول في الخطبة الثالثة لشهر صفر، بعد حمد الله والصلاة على رسوله الكريم:

"أيها الناس، تنزهوا عن حب الدنيا، فإن متاعها قليل، وتزودوا بتقواكم، فإن السفر طويل، ولا تطعموا في هذه الدنيا فإن البقاء فيها مستحيل، كيف لا والمنادى ينادي كل يوم: يا عباد الله، الرّحيل الرّحيل، هو الموت الذي ما فيه فوت ولا تعجيل، ولا يقبل الله فيه الفداء ولا يرضاه من بديل، كم ألق غليلاً بصحيح، وصحيحاً بعليل، وكم أخذ قريباً من قريب، وحليلاً من خليل، فكيف تطعمون في الدنيا بالإقامة فيها وقابض الأرواح عزرائيل، فإلى متى هذه الغنلة والقساوة، ولم يبق من العمر إلا القليل، ثم ترجعون إلى ربكم المتعالى في كماله عن الشئبه والمثيل".

وواضحة في هذه الخطبة الخصائص الفنية لأسلوب الخطيب في هذا العصر، فلغة

"ابن نباتة" في خطابه عذبة سائغة، وقد بناها على السجع شأنه في ذلك شأن الخطباء والكتاب في العصر، فقد عمَّ السَّجْعُ حتى في الكتابات التاريخية .. ويجمعه يلد الأذان حين تصفى إليه لسهولته، وخفته وبراعته في صوغه، حتى لتتوالى الخطبة مسجوعة على روى واحد .. وبهذه اللغة الصافية الحلوة، كان ابن نباتة يعظ الناس في أيام الجمع، فيبلغ الأعماق من قلوبهم وأفئدتهم، وغمس بصلة قوية بين خطبه وخطب "علي بن أبي طالب" في نهج البلاغة، وبدون ريب كان في خطابه يستعين ببيانه الرائع<sup>(١)</sup>.

---

(١) عصر الدول والإمارات (مصر والشام) ص ٨١١، وما بعدها.

## ازدهار الشعر في هذا العصر وأسبابه:

ازدهر الشعر في هذا العصر، وتعددت اتجاهاته، ونشط نشاطاً واضحاً في كل أنحاء الجزيرة، فقد شهد هذا العصر انقسام الدولة وتفرقها إلى دويلات في الشرق والغرب استقلت عن الدولة العباسية، ووجد الشعر في هذه الدويلات عناية ورعاية من أمرائها ووزرائها، ووجد الشعراء سخاء وعطاء من أمراء هذه الدويلات من أمثال سيف الدولة الحمداني، و"معز الدولة بن بويه"، ومن هنا كان تعدد العواصم والحواسر في هذا العصر وتنافس الأمراء على أن يجمع كل واحد منهم أكبر عدد من الشعراء في دولته أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهار الشعر وانتشاره، وكثرة الشعراء فقد عمل كل أمير من أمراء هذه الدويلات على تريب الشعراء والأدباء إليه، وحرص على أن تنافس دولته "بغداد" في جذب الأدباء والشعراء إليها، كما أن من أسباب ازدهار الشعر ونهضته تلك النهضة العلمية والأدبية والفنية التي شهدتها هذا العصر، فقد جنى العلماء في هذا العصر ثمرة جهاد العلماء في العصر السابق، كما انتفعوا بثمرات الترجمة من الثقافات الأجنبية.

ومن هذه الأسباب أيضاً تنافس الشعراء والأدباء الشديد، ومحاوله كل منهم بذل الجهد في أن يرفى بفته إلى منزلة عالية تقربه من أهل الحكم.

## الشعر في الجزيرة العربية:

هذه الأسباب وغيرها دفعت بالشعر إلى الازدهار والانتشار في شتى أنحاء الدولة الكبرى، ففي الجزيرة العربية كانت "مكة" داراً كبيرة للشعر والشعراء، واليمن التي قامت فيها دويلات صغيرة تافست في جذب الشعراء ونثر الأموال والعطايا عليهم، غير أن أخبار هؤلاء الشعراء في القرن الرابع الهجري قليلة.

وقد ترجم "العماد" لشعراء "الحجاز" و"تهامة"، ويريد بها "مكة"، وأول من يترجم لهم "شكر بن أبي الفتوح"، ثم "جعفر بن إسماعيل الحسني"، ثم "أبو عبد الله بن إبراهيم الأسدي الحجازي"، كما ترجم الكثير من شعراء اليمن "كابن القم"، و"عمارة اليمن". وفي "مصر" في عهد الدولة "الإخشيدية" نشط الشعر نشاطاً كبيراً، فقد ترجم

التهالبي في كتابه "التيمة" لطائفة من شعرائها، مثل: "ابن أبي العصام"، و"ابن طباطبا الحنسي الرس"، ونزل "مصر" في عهد "كافور"، و"المتنبي"، فأحدث نزوله حركة أدبية واسعة، ومن نزلها من الشعراء أيضاً "كشاحم"، و"الناشي الأصفري".

ولما تولى الفاطميون حكم "مصر" قصدهم الشعراء، فأغدقوا عليهم الأموال والعطايا، وكان من أمرائهم ووزرائهم شعراء أيضاً كالمعز، والعزیز، والحاكم والمستنصر... ووفد على مصر في زمانهم كثير من الشعراء النابهين في البلاد العربية أمثال: "ابن الرقعمق الأنطاكي"، و"صريع الدلاء البغدادي"، و"التهامي المكي"... وغيرهم. ويظل نشاط الشعر المصري في زمن "الأيوبيين" بل يزداد نشاطاً على نحو ما بصور ذلك كتاب "بدائع البدائع" لعلی بن طافر الأزدي، ومن الأدلة على ازدهار الشعر في أوائل زمن الأيوبيين وأواخر زمن العاطميين أننا نجد العماد في خريدته يخصص "مصر" بمجلدين ترجم فيهما مائة وأربعين شاعراً... وأطلقت فتوح صلاح الدين وانتصاراته المدوية على الصليبيين السنة الشعراء في مصر وجميع البلدان العربية.

### الشعر في الشام:

أما في الشام فقد كانت حلب هي من سيف الدولة أكبر مركز علمي وفلسفي ولغوي، إذ نزلها كثير من العلماء والمنلسعة واللغويين. من أمثال الفارابي، و"أبي علي الفارسي"، و"ابن جني"، غير من كان بها من الأطباء، وعلماء الفلك، وأصبحت مركزاً للشعر والشعراء. إذ لم يبق شاعر كبير في الشام أو في العراق، أو في إيران إلا أمها وأسبغ عليه "سيف الدولة" من نواله حتى ليقول "التهالبي": إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع باب سيف الدولة من شيوخ الشعر، ونجوم النهدر، منهم "كشاحم"، و"السلامي"، و"السري الرفاء"، و"الوأواء الدمشقي"، و"النامي"، و"ابن نباتة السعدي"، و"البيغاء".

ومضت الشام في نهضتها الشعرية، وظهر فيها أمثال "عبد المحسن الصوري"  
و"أبي الرعمق"، و"الواساني"<sup>(١)</sup>.

### الشعر في فلال البويهيين والسلجوقيين :

لقد كان الشعراء كثرة كاثرة في البيئة العراقية، فقد ترجم "الثعالبي" صاحب كتاب  
"تيممة الدهر" لأكثر من سبعين شاعراً، مما يصور ازدهار الشعر آنذاك، وهذا الازدهار  
قد هيأته عدة عوامل، منها:

رعاية الخلفاء للشعراء، وكذلك كان أمراء بني أمية ووزراؤهم؛ حيث إنهم أغدقوا  
عليهم المكافآت والجوائز، وليس ذلك فحسب، فقد استقبلوهم في مجالسهم، وحولوها  
أو حركها بعضهم مثل "عضد الدولة البويهى" إلى نواحي أدبية.

وكان وزراء بني بويه يتنافسون في جذب الأدباء والشعراء إليهم، وكان أول من  
اشتهر بذلك منهم "الوزير المهلبى"، وهو وزير "معز الدولة"، وقد فات "الثعالبي" وهو يؤرخ  
ويترجم للشعراء في عهد البويهيين "الأنبارى"، كما نهض الشعر نهضة كبيرة في عهد  
"السلجوقيين"، وذلك بفضل الوزير السلجوقى "ألب أرسلان نظام الملك" الذى فتح أبوابه  
للشعراء، وأغدق عليهم العطايا والهدايا. وغمرهم بالجوائز، فجاءوا يمدحونه من كل  
أنحاء العراق، ومن أشهر شعراء هذا العصر "ابن السراج البغدادي"<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٦١٠ : ٦١١ بتصريف .

(٢) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٣٢٣ وما بعدها .

## خصائص الشعر في العصر العباسي الثاني

أولاً : ألقاظ الشعر وأصاليبه وأخيلته ومعانيه :

تعددت اتجاهات الشعر في هذا العصر بحسب تعدد الدول والأقاليم ، فاتجه الشعر في "العراق" و"فارس" بصفة عامة إلى التأثر بالترعة العلمية ، لأن البيئة كانت حنلاً خصيباً لاردهار أشعارهم المؤلفة والمترجمة ، فكان الشعراء في الغالب يضمنون أشعارهم آراء أفادوها مما طالعوه مترجماً ، وظهرت في أشعارهم الصبغة العميقة المثقنة ، والإكثار من الحكيم والأمثال ، وشاعت فيه التزعات الفلسفية والعلمية ، وكان ذلك على حساب طبيعة الشعر . وما يلائمه من روعة الخيال ، وبراعة التصوير لدقائق الشعر ، وأضافوا إلى ذلك كثيراً من المحسنات البديعية .

ومن هؤلاء الشعراء "أبو طالب المأموني" المتوفى سنة ٣٨٣هـ ، و"أبو الفتح البستي" المتوفى سنة ٤٠٠هـ ، و"الظفراني" المتوفى سنة ٥١٣هـ ، و"الأبيورى" المتوفى سنة ٥٥٧هـ وغيرهم .

وأما في ديار "الشام" فقد تجلت في الشعر دقة المعاني ، وسعة الخيال ، وبلاغة العبارات . ولعل السبب في ذلك أن هذه الديار موصلة من الناحية المكاتبية بأرض الجزيرة مهد اللغة العربية ، ومن شعراء الشام "أبو الطيب المتنبى" المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، و"أبو فراس الحمداني" المتوفى سنة ٣٤٥هـ ، و"كشاجم" المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، و"السرى الرقاء" المتوفى سنة ٣٦٣هـ ، و"الوأواء الدمشقي" المتوفى سنة ٣٩٠هـ ، و"أبو الفتح البقاء" المتوفى سنة ٣٩٨هـ ، و"الشريف الرصي" المتوفى سنة ٤٠٦هـ . و"مهيار الديلمي" المتوفى سنة ٤٢٨هـ و"أبو العلاء المعري" المتوفى سنة ٤٤٧هـ وغيرهم .

وأما الشعر العربي في "مصر" فقد تجلت فيه - غالباً - الرقة والعفوية ، ومن شعراء مصر في هذا العصر "أبن طباطبا" المتوفى سنة ٣٤٥هـ ، و"تميم بن المعز" المتوفى سنة ٣٦٨هـ و"عماردة اليمنى" المتوفى سنة ٥٦٩هـ ، و"أبن سناء الملك" المتوفى سنة ٦٠٨هـ ، و"أبن

الفاراض" المتوفى سنة ٦٢٢هـ، و"بهاء الدين زهير" المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

وإذا نظرنا إلى الشعر فى هذا العصر من ناحية المعنى ، وجدنا طائفة من معانى القدماء مطروحة بين أيدي الشعراء - فى الغالب - يأخذونها، ويجورون فيها أو يضيفون إليها ويزيدون عليها، وكان لهم بجوار هذه الطائفة معانٍ جديدة استقلوا بها واستوحوها من تلك الحضارة التى اتسعت، وتلك المدنية التى اتسحت، وتلك المشاهدات الجديدة التى ملأت عليهم دنياهم.

### ثانياً: أغراض الشعر فى العصر العباسى الثانى:

يقول ابن وهب الكاتب : "للشعراء فنون فى الشعر كثيرة، يجمعها فى الأصل أصناف أربعة: وهى المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو. ثم يتفرع عن كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المديح: المرائى، والافتخار، والشكر، واللفظ فى المسألة، وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه، ويكون من الهجاء: الذم، والعتب، والاستبطاء والتأيب، وما أشبه ذلك، ويكون من الحكمة: الأمثال، والزهد، والمواعظ، وما شاكل ذلك، وكان من نوعه، ويكون من اللهو: الغزل، والطرده، وصفة الخمر، والمجون، وما أشبه ذلك وقاربه.

وهكذا أراد ابن وهب أن يشير إلى أنه من الميسور أن نختصر ونركز، فنجعل أغراض الشعر راجعة إلى أربعة أصول، ونستطيع أن نقسم كل أصل إلى جملة فروع، ولو شئنا لأضفنا إلى ابن وهب فريداً منها، بأن نذكر النسيب والتشبيب، وأن نذكر الإخوانيات، والتهنيتى، وأن نذكر شعر القصص والملاحم ... الخ.

والقصيدة من الشعر لا تقتصر على غرض واحد، بل يتسرب إليها أكثر من غرض ولو أرادها صاحبها لغرض معين، فقصيدة الرثاء مدحاً ووصفاً وحكمة، وقد يقال مثل هذا عن قصائد تصاغ فى أغراض أخرى، ومعنى هذا أن الأغراض الشعرية تتداخل أحياناً كثيرة وتتمازج أو تتقارب.

وإذا نظرنا إلى أغراض الشعر فى العصر العباسى الثانى نجد طائفة من الأغراض التى

كانت معروفة مألوفة قبل هذا العصر، قد بقيت فيه، كالمذح، والمهجاء، والفخر، والرياء والقول في الزهد، والحكمة، والمثل، ولكن الشعراء أخذوا يقلدون مخاطبة الديار، في الوجدان ووصف النوق والصحراء، وكان هذا طبيعياً، فقد فتح العرب عيونهم في هذا العصر على ما شغلهم عن الصحراء وما اتصل بها، وتفتحت عيونهم على دور وقصور ومشاهد حضارية، كادت تسيهم حياة البادية وذكرياتهما.

### أما عن موضوع الفخر: فيقول " حنا الفاخوري ":

"الفخر من أول فنون الأدب على نظرة الإنسان، فهو صدى تطلع النفس إلى ذاتها والتعبير عن الأثرة أشد النزعات فيها، فالإنسان - ما لا يخفى - سجين ذاته منذ الولادة يديم النظر في مرآتها، مستجلباً محاسنها، صانعاً قبائحها بما يجعلها في ميزانه دون الناس أجمعين، موارباً فيها بينها وبين غيرها، هذا الإيثار للنفس إذا تجسم في عبارات سكرية كان الفخر وكان الحماسة"<sup>(١)</sup>.

والفخر هو تعداد الصفات، وتحسين السيئات، وهو رفيق الآداب كلها صد كان للشعوب آداب. وهو عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم، يعبر عن ميلهم الطمعي إلى الأنفة والعرة، كما يعبر عن انتفاخ أعصابهم تحت تأثير العوامل الجوية، والطبيعية وانطلاقها الباطن وراء الآمال والذرى.

والذات في الفخر ذات وتمددات للذات، من خلال خلقية، ومن أصل، وبسب وحر، ومداهب وأعمال، وأقوال، ومواقف، وكرامات، وبطولات، وما إلى ذلك مما لا نهاية له، والفخر من ثم أنواع: فخر ذاتي، وفخر حزبي، وفخر سياسي، وفخر ديني وفخر حربي.

أما الفخر الذاتي: فهو ما دار حول العقل والقلب واللسان والساعد، وما دار حول النبيلة والآباء والأجداد، وأما الفخر الحزبي فهو لسان الحزب ينطق بحقوقه، وطموحه

(١) مقامة الفخر والحماسة - سلسلة فنون الأدب العربي - دار المعارف سنة ١٩٨٠

وأما الفخر الدينى فقد نشأ مع ظهور الإسلام ورافقه فى الفتوح الإسلامية، وأما الفخر الحربى، فهو شعر الحماسة ووصف الجنود وتشجيعهم على القتال وخوض الحروب، وأما الشعر الحماسى فى هذا العصر: فكان يدور حول وصف المعارك والأسلحة المستخدمة فيها كالمهائم، والخيول، والأساطيل، وقد تتبع الشعراء فى هذا العهد أساليب الأقدمين ومعانيهم، وزادوا على ذلك أن فجروا الحكمة بالتصوير الفنى، واهتموا بالصياغة اهتماماً خاصاً، كما اهتموا بالتذويق والتهويل فى الوصف والتصوير.

وقد اشتهر كثيرون فى الشعر الحماسى فى هذا العهد، نذكر منهم "أبا الطيب المتنبى"، و"أبا فراس الحمدانى".

أما أبو الطيب: فهو شاعر الحماسة الحمدانية، وقد أفسحت له البيئة مجالاً واسعاً لذلك؛ لأن حروب الحمدانيين مع الروم دارت نحو ستين عاماً، وكان لها أصداء واسعة فى طولها وعرضها، وأهم المعارك التى جرت بين "سيف الدولة" و"الروم" معركة "خرشنة" ومعركة "الحدث الحمراء"، ومعركة "الدرب"، وقد سجلها المتنبى فى شعره أروع تسجيل وفرح "المتنبى" الشعر الحماسى بشعر المدح، يتضح ذلك فى قصيدته التى قالها فى موقعة "الحدث الحمراء" فقد كانت هذه المعركة بعد أن هدم "الروم" ذلك الثغر، وقوضوا أركانه وبعد أن باشر "سيف الدولة" إعادة البناء، فقد هاجمه "الروم" وهو فى زحمة العمل، وعلى رأسهم "برداس فوكاس"، ونشبت الحرب الهائلة بين الفريقين، ودامت من طلوع الشمس إلى غروبها. وأسفرت أخيراً عن فوز الجيش العربى، ولم يترك "سيف الدولة" مدينة "الحدث" حتى أتم بناء سورها، فتناول "المتنبى" هذا الحدث العظيم، ونظم فيه قصيدته المشهورة، والتى مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم .: وتأتى على قدر الكرام المكارم

يقصد "سيف الدولة الحمدانى".

كما اتسع الهجاء فى هذا العصر عند طائفة من الشعراء، أفذعوا فيه إلى حد بعيد

فتناولوا العورات والسّوءات ، وعرضوا بالآباء والأمهات ، وشاع شعر المجون ، واللهو على لسان كثير من الشعراء : "كأبي الرقعمق" أحمد بن محمد الأنطاكي و"ابن سكرة" ، و"ابن حجاج".

ونذكر بهذه المناسبة أن "الراغب" الحسين بن محمد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ أورد كثيراً من الأشعار التي تحت مفهوم "الأدب المكشوف" ، الذي يدور حول المجون في كتابه "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء".

وقد حاول بعض القائلين في المجون والهزل ، ممن كانت لهم مكانة أدبية أو دينية بين قومهم ، أن يفهمونا أن شعرهم الماجن لا يتعدى نطاق القول ، وأن لهم من دينهم وخلقهم ما يمنهم أن يصدّقوا قولهم بالعمل .. وإذا كان لكل فعل ردّ فعل ، وبضدها تتميز الأشياء فقد كان من العليمي أن تظهر أغراض في الشعر تكون كحركة المقاومة لشعر المجون والهزل والتعمرد على قيم الدين والأخلاق ، ومن هذه الأغراض : الإكثار من القول في الحكمة والفلسفة ، والتصوف والزهد ، ومن شعراء الحكمة "أبو الطيب المتبى" ، و"المعري" و"ابن الفارض" . ومن شعراء الفلسفة : "ابن سينا" ، و"الرازي" و"ابن التلميذ الطيب" ، ومن شعراء التصوف : "الخلّاج" ، و"الشبلي" ، و"الفشيري".

### ومن الأغراض التي كثير القول فيها في هذا العصر:

○ وصف المعارك الحربية ، وذلك لما تتطلبه الدولة من عميد هذه المعارك ، وتخليدها بسبب الصراع الدامي الذي وقع بين المسلمين والمعتدين عليهم خلال الحروب الصليبية.

○ وظهر أيضاً الشعر الاجتماعي الذي يتحدث عن بعض مظاهر المجتمع أو مشكلاته أو سيئاته ، كما ظهر الشعر العلمي : المتصل بالجدل الديني ، أو النقاش الفكري وكذلك ظهر نوع من الدراسة الأدبية الشعرية عن طريق الموازنة بين الشعراء فيما قالوا ، وظهرت المكاتبات الشعرية.

ولقد توسع كثير من الشعراء في هذا العصر في الإتيان بالمحسنات البديعية واللفظية

وتغلب ذلك في عصر "بنى بويه" بصفة خاصة، ومن أعلام هذا المجال "الدمشقي"، و"أبو الفتح البستي"<sup>(١)</sup>.

## الشعر الصوفي :

الشعر لغة الوجدان، وهو نتاج خيال مخلق، وشعور مرهف، وفكر رحب، والشعر من الشعور، وما سمت العرب الشعر شعراً إلا لأنها شعرت به، وفطنت إليه، والشعر الصوفي كثير، وغزير غزارة النثر الصوفي، وشعراء الصوفية كثيرون في كل عصر، ومتم شعراء قالوا فأفاضوا، واعتمدوا على الارتجال والبديهة فأحسنوا، وأتوا في شعرهم بغير المعاني، وروائع الخيال، وبدائع الصور، وجميل التشبيهات، ولطيف المجازات، ونلاحظ أن الشعر الصوفي كان من جانب آخر تحويلاً للشعر الديني الإسلامي، وتوجيهاً للغزل العذري المتصوف الهائم في مسارج الجمال الروحي، وكان قسم منه تغييراً لشعراء الحمريات في الأدب العربي، وقسم آخر منه - وهو الخاص بوصف الذات الإلهية كان ترقية لفن الوصف في أدبنا القديم، وشعر المدائح النبوية كان كذلك تموجاً لفن المدح في الشعر العربي<sup>(٢)</sup>.

## عصر الشعر الصوفي :

إذا حكمنا بأن التراث الشعري الصوفي قد ظهر في أوائل القرن الثامن الهجري على أيدي "الحسن البصري" وتلامذته من بعده، فإننا نستطيع أن نقسمه إلى مراحل زمنية متعاقبة :

٥ أولاً : المرحلة الأولى من عام (١٠٠هـ حتى عام ٢٠٠هـ)، وتشمل القرن الثاني الهجري بأكمله، والخلافة العباسية في "بغداد" ... وفيها كان الشعر الصوفي يُكوّن نفسه بنفسه، وينهض بتقاليد الفنية والفكرية؛ ليُصلها في أذهان الناس، وكان

(١) النصوص الأدبية في العصر العباسي الثاني ص ١٩ بتصرف.  
(٢) دراسات في التصوف الإسلامي - طلاله في الأدب العربي : د/ خفاجي ٤٦/٢ بتصرف، مكتبة القاهرة

هذا الشعر الصوفي لمحات دالة ، أو قليلاً من الأبيات الموجزة. ومن شعراء هذه المرحلة "رابعة العدوية" (١٨٥هـ).

٥ ثانياً: المرحلة الثانية، وتشمل قرنين من الزمان هما : (الثالث والرابع) الهجريان وقد كان الشعر الصوفي في هذه الحقبة في ذور نهضة وازدهار ومن شعرائه :  
"أبو تراب عسكر بن الحسين التخشي" (٢٤٥هـ)، وله شعر في "علامة المحبة" يقول فيه :

لا تُخدعن فللحبيب دلائل .∴ ولديه من تحف الحبيب وسائل  
منها تنقمه بمر بلائه .∴ وسروره في كل ما هو فاعل  
فالمنع منه عطية مقبولة .∴ والنقر إكرام وبر عاجل  
ومن الشعراء في هذه المرحلة: "أبو حمزة الخراساني"، وفيها ظهر من شعراء العربية "المتنبي"، و"الشريف الرضي" وسواهما.

٥ ثالثاً: المرحلة الثالثة، وتمثل القرنين: (الخامس، والسادس) (٤٠٠ - ٦٠٠هـ)، وفيها يتجه الأدب الصوفي إلى الحب الإلهي، ومدح الرسول ﷺ، والشوق إلى الأماكن المقدسة. ويدعو إلى الفضائل الإسلامية، وفي هذه المرحلة نشأ الأدب الصوفي الفارسي، ونبع من الفرس "معروف البلخي"، و"البهتي"، وفي هذه المرحلة ظهر شعراء العربية الكبار "الحصري"، و"مهيار".

## ومن الشعراء الصوفييين في هذه المرحلة

"السهروردي" (٨٥٦هـ). ومن شعره:

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم .: أتوح كما ناح الحمام المطوق  
وفوق سحاب يمطر الهم والأسى .: وتحتى بحار بالأسى تتدفق  
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها .: تفك الأسارى دونه وهو موثق  
فلا هو مقتول ففى القتل راحة .: ولا هو ممنون عليه فيطلق  
و"عبد القادر الجيلاني". ومن شعره:

يا من تحل بذكركه .: عند النوائب والشدائد  
يا من إليك المشتكى .: وإليه أمر الخلق عائد  
و"أبو عبد الله محمد بن أحمد الأندلسى القرشى"، صاحب قصيدة "المنفرة" التى  
مطلعها:

لشدى أزمة تتفرجى .: قد أذن ليلىك بالبلج  
٥ رابعاً: المرحلة الرابعة: وتشمل القرن السابع الهجرى، وفيه بلغ الشعر الصوفى قمة  
نهضته، وظهر من أعلامه "أبن الفارض" المتوفى سنة ٦٣٢هـ، و"قرن جلال الدين  
الرومى"، و"معى الدين بن عربى" المتوفى سنة ٦٣٨هـ، و"البوصيرى" المتوفى سنة  
٦٩٥هـ.

ومن شعرهم:

جزى الله عنا أحمد خير ما جزى .: فمذ جاءنا بالحق فالحق أبلج  
جمال بدا بين الحطيم وزمزم .: فظلت له الآفاق بالنور تبهج  
جرى أولاً فى وجه آدم نوره .: وكان به يوم السجود يتوج  
٥ المرحلة الخامسة: من القرن الثامن الهجرى حتى اليوم، ومن أشهر أعلام التصوف  
فيه "الشمرانى" (٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ)، و"النابلسى"، و"الحلاج" فى شعره يصطنع

ما اصطنعه سائر الصوفية من رمز ، وألغاز ، وإشارة ، يبيد أنه امتاز بالوضوح أحياناً ، وظهر ذلك جلياً فى ديوانه وموضوعاته فى الحب الإلهى ، والمعرفة والفناء والنور المحمدى ، ووحدة الوجود<sup>(١)</sup> .

وقد انتشرت كما أومأنا إلى ذلك آنفاً موجة الخلاعة والمجون منذ مطلع العصر العباسى الأول ، وكان لهذه الموجة صداها فى الشعر ، فكثرت شعراء المجون والخلاعة والزندقة ، وظلت هذه الموجة تنمو وتزدهر طوال العصر العباسى الأول ، وكانت كثرتها مفرطة للغاية فى هذا العصر ، وعلى إثر ذلك كان لا بد أن تظهر موجة مضادة لهذه الموجة ومناقضة لها ، وتلك طبيعة الأشياء .

وهذه الموجة التى نعتها موجة "الزهد والتصوف" ، فالزهد بُعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة ، والتصوف : زهد فى الدنيا لكسب رضا الله - عز وجل - والتصوف : دخول فى جمال الملأ الأعلى وروحه ورحمته ، فهو دخول فى مجال التقوى خوفاً من عذاب الله ونقمته وجبروته .

واشتدت حدة هذه الموجة فى العصر العباسى الثانى الذى نحن بصدده . ولكن انحرف الصوفية عن المنهج الصحيح كان سبباً فى أن نشأ حرب شروس منذ أوائل هذا العصر بين الفقهاء والمتصوفة ، حيث إن الفقهاء كانوا يرونهم خارجين عن الإسلام<sup>(٢)</sup> . وفى القرنين الثالث والرابع يبلغ الشعر الصوفى غايته فى النهضة والازدهار ، واتجه الشعر الصوفى فى القرنين الخامس والسادس إلى الحب الإلهى ، ومدح الرسول ﷺ والشوق إلى الأماكن المقدسة . وفى هذه الفترة نشأ الأدب الصوفى الفارسى ، ونبغ من الفرس "معروف البلخى" ، ومن شعراء العربية "الحصرى" ، و"مهيار الديلمى" ، و"شيد الرحيم البرعى" ، وغيرهم .

(١) اتجاهات الألب الصوفى بين الحلاج وابن عربى: للمؤلف د.د / على الخطيب ص ٢١ وما بعدها .  
(٢) عصر الدول والأمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٢٧٨ بتصرف ، واتجاهات الألب الصوفى بين الحلاج وابن عربى : للمؤلف أ . د / على الخطيب

وفى شعره فى الحب الإلهى ، والتغزل بالمشعر الحرام يقول فى إحدى قصائده :

تجلت لوحداية الحق أنوار .: فدلّت على أن الجحود هو العار  
وأغرقت بداعى الحق كل موحد .: لمقصد صدق حبذا الدار والجار

- أما المديح النبوى : فقد امتاز بصدق العاطفة ، وحرارة الشعور ، وشدة التعلق بالرسول ﷺ ، وآل بيته . فكان ترجمة صادقة لما يعمل فى نفس المحب من عشق وهيام ، كما كان وسيلة لنيل القرب من الله تعالى .

- وأما الحب الإلهى عند الصوفيين : فقد استغرق كثيراً من أشعارهم ، بل هو جلها فالحب هو الميل الطبيعى لدى المحب إلى المحبوب ، وحب العبد لله يقتضى طاعة أمره وكانت أشعارهم تدور حول معانى الحب ، والشوق ، والعشق ، والوجد ، والبقاء والفناء . ويقول ابن الفارض :

سائق الأظعان يطوي البيذ طي .: منعماً عرّج على كئيبان طي  
وبدأت الشّيح عنى إن مرز .: ت بحى من غريب الخزع حى  
وتلطف وأجر ذكري عندهم .: عليهم أن ينظروا عطا إلي  
قل تركت الصنب فيكم شبحا .: ما له مما براه الشوق فى (١)

(١)

### خصائص الشعر الصوفي :

قد تميز الشعر الصوفى بخصائص فنية ظهرت جلية واضحة فى أشعارهم . ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

أولاً: الغموض والإبهام . وتلك حاصية فى أشعارهم فى الحب الإلهى . حيث كثرة الإشارات ، والاستعارات . والتلميح . والكناية .

(١) ديوان ابن الفارض ص ٧ - دار صادر - بيروت .

ثانياً: إن الشعر الصوفي ينم عن شفافية أصحابه، وقوة سلتهم بالله .

ثالثاً: الشعر الصوفي أخذ عن الشعر القديم القوالب الموسيقية، وتميز شعراء الصوفية بالتعبير الرمزي، الذي يوحى بالفكرة، ولا يصرح بها، فالشعر الصوفي ليس شعراً خطابياً مثل جُلّ الشعر العربي ومعظمه، إنما هو شعر أقرب إلى "الرومانسية"، حيث الهيام، والحب، والوجد، وهو أيضاً يقترب من الرمزية الأوروبية، التي تتخذ الرمز الموضوعي الموحى بالعدوى النفسية.

رابعاً: استعار الصوفيون خصائص ألفاظ الشعراء الغزليين والخمريين، وألفاظ حبيهم وأسماء محبوباتهم للدلالة بها على معاني روحانية .

خامساً: كان لشعر الصوفيين خصائص تميزه عما سواه . من حيث تمثله في الإكثار من "حروف الجر المتتالية، والسجع، والتورية، والكناية، والطباق" بصنفة خاصة وكذلك أساليب القصر، وقد علل "السهروردي" لهذه الرمزية بأنها تخص الصوفيين وحدهم، وذلك لما لديهم من علم لدني خاص بهم<sup>(١)</sup>.

سادساً: من أهم ما يمتاز به الشعر الصوفي، وتميزه عن غيره خصوبة العاطفة، وقوة الشعور، وعمق الوجدان، وفخامة الجرس الموسيقي<sup>(٢)</sup>.

## ابن الفارض

هو "عمر بن أبي الحسن" الحموي الأصل، المصري المولد والدار، ويكنى "أبو حفص"، وقيل: هو "شرف الدين أبو القاسم عمر بن الفارض"، وأصل آبائه من "حمات" بسورية العربية، ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسائة للهجرة، وتفقه

(١) اتحافات الأديب الصوفي بين الحلاج وابن عربي: للمؤلف "مرجع أسبق" ص ١٨٦ وما بعدها - ط: دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٤ هـ.

(٢) الأديب الصوفي في مصر ص ٢٨٠ وما بعدها: للنكتور / علي صافي حسين - ط: دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧١ م.

فى الدين ، وتوسع فى اللغة والأدب ، ثم وقع فى نفسه أن ينهج منهج الصوفية ، فاقتفى آثارهم ، وعرف أسرارهم ، وذهب إلى مكة ، فزار البقاع ، ومكث بها زمناً ، ثم رجع إلى "عصر" ، ففضى بها بقية عمره بين الإعظام والإكرام . حتى توفى بالقاهرة ، ودفن بسنح المقطم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة للهجرة<sup>(١)</sup> .

وكان - رحمه الله تعالى - على تقشفه وزهده وورعه وتصوفه ، جميل الهيئة حسن البدنة ، ظريف المحضر ، محمود العشرة ، وقوراً ، كثير الورع ، وكان الناس يلتمسون منه البركات ، ويطلبون منه الدعوات ، ويقال : إنه عندما ينظم الشعر تأخذه غيبوبة قد تطول إلى عشرة أيام ، فإذا أفاق أملى شعره . وقد نشأ ابن الفارض " فى عصر الدولة الأيوبية" (٢) .

○ وفى هذا العصر تنازع الناس عاملان متباينان . وهما :

الأول : عامل التصوف والتقوى :

الثانى : عامل الفسوق والمجون : وهو الانحلال الخلقى ، وتعمكّم الشهوات ، والخرى وراء الملذات ، ولذلك اتجه الشعر إلى هاتين الوجهتين ، فإما أن يراد به الله ، أو يراد به الشيطان ، وابن الفارض نشأ نشأة دينية ، ورهبى تربية صوفية . فلم يكن بدم من سلوئذ طريقة القوم فى شعره ، ينظم إشاراتهم ، ويصف مقاماتهم . ويكثر من نعت الحمر وذكر الغزل ، مريداً بذلك "الذات الإلهية" على اصطلاحهم . فكان ذلك سبباً فى وجود "الرمزية" فى الشعر العربى ، والرمز يعنى "الإشارة والتلميح" ، يقول صاحب "الكشاف" نقول : رامز ، ورمز ، كخادم وخدم ، ورموز ورمز ، كرسول ورسول وهو إشارة بالعينين أو الحاجبين ، أو اليدين ، أو الشفتين . والقم واللمسان . وقصر بعضهم الرمز على الشفتين خاصة ، ويرى بعضهم أن الرمز أصله "الصوت الخفى" الذى لا يكاد يفهم ، وذلك ما عنده الله - سبحانه وتعالى - بقوله : "قال آيتك

(١) تاريخ الألب العربى : لأحمد حسن الريبات ص ١٠٠ ، وتاريخ الألب العربى : لكارل بروكلمان ٦٧/٥ .

(٢) تاريخ الألب العربى : للزيات .

ألا تكلم الناس ثلاثة أياماً رمزاً، وقيل: إنه هو الكلام الخفى الذى لا يكاد يفهم<sup>(١)</sup>.

وابن الفارض من أكثر الشعراء تعملاً للكلام، وتلطفاً للبديع، وولوعاً بالجناس والطباق، وكان شعره يسير مع الركبان؛ لرقته، واشتماله على ما يرضى أذواق أهل التصوف، والزهد، والعشق، وكذلك أهل "المجون"، فأهل التصوف ينشرون أشعاره فى مجالس الذكر، وأهل المجون ينشرونه فى مجالس الخمر والخلاعة، فكلُّ يغتنى على ليلاد ومن أشهر شعر ابن الفارض "الثانية الكبرى"، والثانية الصغرى، وتبلغ الثانية الكبرى نحواً من ستائة بيت، ولا يستطيع فهمها إلى من رزقه الله - عز وجل - بالصبر والجهد والتحمل على فلك رموزها، وما حوته من معان وأفكار.

يقول "ابن الفارض" فى مطلع الثانية الكبرى:

نعمْ بالصنما قلبى صبا لأحبتى :: فى حبذا ذاك الشذى حين هبت  
سرتْ فأسرتْ للفؤاد عذبة :: أحاديث جيران العذيب فسرت  
مُيمنةً بالروض لسنن رداؤها :: بها مرض من شأنه برء علتى  
تُذكرنى العنيد القديم لأنها :: حديثه عهد من أهيل موتى<sup>(٢)</sup>

أما جُل شعره فالغالب عليه الحنين والشوق إلى "الحجاز"، وأهله، والإكثار من ذكر جباله وقراه<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن الفارض فى وصف الخمر الإلهى، وفيها كثرة كائنة من الرمز الذى

(١) القاموس المحيط.

• العمدة لابن رشيح القيروانى ٣١٠/١.

• بد السنن ص ٦٩.

• انكشاف: للزمخشري فى تفسير "الإرمر" ٣٢٢/١ وما بعدها.

• سنان العرب لابن منظور - مادة "رمر".

(٢) الديوان ص ٣٣ - ط: دار صادر - بيروت - لبنان.

(٣) تاريخ الأئمة العربى - للزيات ص ٤٠٠ وما بعدها.

عُرف به شعراء الصوفية :

- شربتنا على ذكرِ الحبيبِ مُدامَة :: سكرتنا بها من قبل أن يُخلق الكرمُ  
لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يُديرُها :: هلالٌ وكم يبدو إذا مُرِجتْ نجم  
ولولا شذاها ما اهتديتْ لِحانيها :: ولولا سناها ما تصوّرها الوهمُ  
ولم يبقَ منها الذمُّ غيرَ حُشاشَة :: كأنْ خفاها في صدورِ النهى كتم  
فإنْ نُكرتْ في الحَيِّ أصبحَ أهلهُ :: نشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثم  
ومنْ بينْ أحشاءِ الذنابِ تصاعدتْ :: ولم يبقَ منها في الحقيقةِ إلا اسمُ  
وإنْ خطرتْ يوماً على حاطرِ امرئٍ :: أقامتْ به الأفراخُ وارثلِ الهَمِّ (١)

(١)

ونراه يتغنى بالجمال الربان فيقول :

- بِةِ ذلّالاً فأنتِ أهملُ لِذاكا :: وتحكّمُ فالخسَنُ قد أعطاكَا  
ولك الأمرُ فاقضِ ما أنتِ قاضِ :: فعلى الجمالِ قد ولّاكَا  
وتلافى إنْ كانَ فيه ائتلافى :: بك عَجَلُ به جُعِلتْ فِداكا  
فيك معنى خلاكَ في عينِ عقلى :: وبه ناظري مُعنى جلاكا  
فُقتِ أهملُ الجمالِ حُسناً وحسنى :: فبيهم فاقاةً إلى معناكا  
يُحسُرُ العاشقونَ تحتَ لِوائى :: وجميعُ الملاحِ تحتَ لواكا (٢)

ويقول ابن الفارض :

- أبرقُ بدا من جانبِ الغورِ لامعُ :: أم ارتفعتْ عن وجهِ ليلي البراقع  
أنارُ العضا صاعتُ وسلمى ندي العضا :: أم لبستمتْ عما حكته المدامع

(١) الديوان ص ١٤٠ وما بعدها - بيروت - بدون تاريخ .

(٢) ذاته ص ١٥٦ ، ١٥٩ .

- أُنشِرُ خُزَامِي فَاحِ أُمِ عَرَفِ حَاجِرٍ .: بَأَمِ الْقَرَى أُمِ عَطْرُ عَزَّةٍ ضَائِعٍ  
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَلَيْمِي مَقِيمَةٌ .: بُوَادِي الْحَمَى حَيْثُ الْمَتَّيْمُ وَالْع  
 وَهَلْ لَعَلَّغَ الرَّعْدُ الْهَيَّوْنَ بِلَعْلَعٍ .: وَهَلْ جَادَهَا صَوْبَ مَنْ الْمَزْنِ هَامِعٍ  
 وَهَلْ أُرْدِنُ مَاءَ الْعُدَيْبِ وَحَاجِرٍ .: جِهَاراً وَسِرّاً اللَّيْلِ بِالصَّبْحِ شَائِعٍ  
 وَهَلْ قَاعَةُ الْوَعَاءِ مَخْضَرَةُ الرَّبِيِّ .: وَهَلْ مَا مَضَى فِيهَا مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعٌ (١)

(١)

ويقول :

- نَشَرْتُ فِي مَوْكِبِ الْعَشَاقِ أَعْلَامِي .: وَكَانَ قَبْلِي بَلِي فِي الْخُبِّ أَعْلَامِي  
 وَسَرْتُ فِيهِ وَلَمْ أُبْرِخْ بِذَوْلَيْتِهِ .: حَتَّى وَحَدَّتْ مَلُوكُ الْعَنْقِ خُذَامِي (٢)

(٢)

ويقول أيضاً :

- هُوَ الْخَبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَنَّا مَا الْهَوَى سَيْلٌ .: فَمَا اخْتَارَةَ مُضْنِي بِهِ وَلَهُ عَقْلٌ  
 وَعَشْرٌ خَالِيًا فَالْخُبُّ رَاحَتُهُ عِنَاً .: وَأَوْلُهُ سُنْقَمٌ وَأَخْرَةُ قَنْقَلٌ (٣)

### الشبلي :

هو : ذلف بن جحدر ، وقيل : جعفر بن يونس ، وقيل : هو جعفر بن  
 ذلف ، وقيل غير ذلك ، ويكنى أبو بكر ، وأصل أهله من أشروسنة جنوبى طشقند  
 الحالية . فهو تركى العرق (١)

(١) - ته ص ١٦٦ .

(٢) - ته ص ٢٠٦ .

(٣) - أبيون ص ١٣٤ .

(٤) - السنى ص ٣٤٠ ، وتاريخ بغداد : ٣٨٩/١٤ ، وابن خلكان ، وشوارب المحاضرة لتنتوخى ص ١٧٢ ، وانبياح  
 العرب : دس فرحون ص ١١٦ ، وصلة الصفوة ١/٢ ، والإنساب : للسمعاني ص ٣٢٩ ، وتذكرة  
 العرب : تعضد ١٢٧/٣ ، وحلية الأولياء : لأبي نعيم الأصبهاني ٣٦٧/١٠ ، وتلخيص السنى . دس الخورى  
 ص ٣٤١ ، وسرر الذهب : في حيز من ذهب ٣٣٢/٢ ، وروضات الجنات ص ١٦٠ ، وشوارب السنى -  
 ص : سمحيع السنى العراقي - تحقيق : كامل مصطفى الشبيبي

رقى أبوه فى قصر الخلافة حتى أصبح حاجب الحجاب، وكان خاله يلى إمرة الإسكندرية بمصر، ويبدو أنه استعان به فى عمله لعدة سنوات؛ إذ يزعم بعض من تحدثوا عنه أنه كان مصرياً، وأنه ورد بغداد من مصر، وقد تركت مصر والإسكندرية فيه بعض طابعهما، إذ نراه يعتنق مذهب المالكية الذى كان يعتنقه أهل الإسكندرية، ومحافظة البحيرة القريبة منها، وعاد إلى العراق، فقربه منه الموفق، ولى عهد المعتمد وصاحب الأمر من دونه فى خلافته، واتخذ حاجباً له، ثم ولده دُنياوند بالقرب من الرى، ويحدث منه ما يجعل أمير الرى التابع له يصرفه عن عمله، وكان ذا نعمة كبرى عليه، فإنه انصرف إلى مجالس المتصوفة، وخاصة مجلس خير النشاج تلميذ السرى السفلى، وأبى حمزة البغدادي، وعلى يديه تاب وأناب، ولم يلبث أن لحق بالجنيد أستاذ الصوفية ببغداد حينئذ، ويقال: إنه عاد إلى ولايته يستسمح الناس، ويطلب منهم لعنو إن كان قد أساء إلى أحد منهم، وفرق أمواله فى الفقراء، ورجع إلى الجنيد، فأخذه برياضات ومجاهدات غنية، ويذكرون أنه قال له فى أول سلوكه الطريق: لقد حدثونى أن عندك جوهرة العلم الربانى، فإما أن تمنحنيها، وإما أن تبيعنيها فقال له الجنيد: لا أستطيع أن أبيعكها فما عندك ثمنها، وإن محتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها، ألتي بنفسك غير هباب فى غيباب هذا المحيط مثلما فعلت فعلق إن صبرت أن تظفر بها.

ومضى الشبلى يجاهد، ويضئ فى جهاده، ويشقى طوال حياة شيخه الجنيد حتى إذا توفى سنة ٢٩٧هـ صحت الحلاج، وكان يزوره فى سحنه، ولكنه لم يعتنق مذهبه الذى صورناه آنفاً، وما اتصل به من أفكار اللاهوت والناسوت، والحلول والاتحاد ورفع التكاليف الشرعية. فقد كان يصل بقوة بين الحقيقة أو الحقائق الصوفية والشريعة متعاً أستاذه الجنيد فى اتباع الكتاب والسنة، بل فى التفقه ورواية الحديث النبوى، وبذلك لم يترك الحلاج فيه أى أثر.

ويزعم بعض من تحدثوا عنه من القدماء أنه كان شيعياً، وقد عرفنا آنفاً أنه كان مالكي المذهب، وهو لذلك يسلك مع أهل السنة، ويقال: إنه لما قتل الحلاج خشى على

نفسه لتردده عليه، فتظاهر بالخجل لثلاثيُمُتَحَن، وأدخل "المارستان"، ثم خرج منه، وتفرغ للوعظ، فكان يعقد له مجلس أيام الجمع، يحضره الناس على تناوت طبقاتهم، وكان يحضره "علي بن عيسى"، وزير "المقتدر"، وذاع صيته، فكان يقصده الطلاب والمتصوفة من كل فج، وما زال يحتل "بيعداد" هذه المكانة العلية، حتى توفي سنة ٣٣٤ للهجرة عن سبعة وثمانين عاماً.

وكان "الشبلي" في تصوفه دائماً سنياً، فلم يكن يزعم لنفسه حال غيبة ولا ابتعاد عن ظاهر التريعة، ويقال: إنه سئل: "مَنْ أَسْعَدُ أَصْحَابِكَ بِصِحَّتِكَ؟" فقال: "أَعْظَمُهُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَالْهَجْهَمُ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأَقْوَمُهُمْ بِحَقِّ اللَّهِ، وَأَسْرَعُهُمْ مَبَادِرَةَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ وَأَعْرَفُهُمْ بِقَضَائِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَعْظِيماً لِمَا عَظَّمَ مِنْ حُرْمَةِ الْعِبَادَةِ".

وكان يقول: "إن الله موجود عند الناظرين في صَنَعِهِ، مفقود عند الناظرين في ذاته". وسأله سائل: "هل يتحقق العارف بما يبدو له؟" فقال: "كيف يتحقق بما لا يثبت؟! وكيف يطمئن إلى ما لا يظهر؟! وكيف يأنس بما يخفى؟! ولم يلبث أن قال:

فمن كان في طول الهوى ذاق سلوة .: فإني من ليلى لها غير ذائق  
وأكثر شيء نلته من وصلها .: أمانى لم تصدق كلمحة بارق  
فيو لم يكن يقول حتى بالشهود، فضلاً عن الحلول والاتحاد.

وكان ينكر كل ما قيل، أو بعبارة أدق: كل ما قاله "الحلاج" عن تجلى الله في عبده ومخلوقاته شئ آخر، وهو يخاطب ولكن لا يرى ولا يشاهد، يقول:

وخاطبت موجوداً بغير تكلم .: ولا حظت معلوماً بغير عيان  
وكان يقول: "تمززت به وما افترقنا، وكيف نفرق ولم يُجر علينا حال الجمع أبداً؟".

وكان يتحدث كثيراً عن الأحوال والمقامات، ويبيد ويعيد في الحديث عن حبه ومن قوله: "أَدْخَلْتُ الْمَارِسْتَانَ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً، وَأَسْتَيْتُ الدَّوَاءَ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً، فَلَمْ أَزِدْ إِلَّا جُنُونًا".

وكثيراً ما كان ينشد قوله :

جرى حبك فى قلبى .: كجرى الماء فى العود  
وقوله :

هذه دراهم وأنت محبٌ .: ما بقاء الدموع فى الأماق  
ويطيل الحديث عن عذابه فى حبه ، وما يتحمل فيه من أهوال ، وما يكسب من  
دموع غزار ، حتى فى العيد ، فالناس فيه يفرحون ، ويُعدُّون الرِّاح والرَّيحان ، وآلات  
الطرب ، أما هو فيفيض إلى حزن شديد ، وتُوح وتعيد ، حتى لكأنما يحمل تحت ثيابه قبراً  
فهو دائم البكاء ، دائم النوح ، يقول :

قُبورُ الورى تحت التراب وللهى .: رجال لهم تحت الثياب قبور  
وعندي لموع لو بكيت ببعضها .: لفاضت بحور بعدهن بحور  
وكان يؤمن بالفناء فى الذات الإلهية ، مثل أستاذه "الجنيد" ، ولكن لم يكن يفتنى فيه  
عن نفسه الواعية ، فتصوفه دائماً تصوف صُخْرٍ لا تصوف غَيْبٍ ، وإن بدا فى كلامه أحياناً  
أن فناءه إنما يكون فى حال غيبية من مثل قوله وقد سُئل : "متى يكون العارف مشيد  
الحق؟" ، فأجاب : "إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد ، وذهبت الحواس ، واضمحلت  
الإحاس".

وذكر عنه أنه كان يقول : "هذا مجنون بنى عامر ، كان إذا سُئل عن ليلى" ، يقول :  
"أنا ليلى" ، فكان يغيب بليلى عن ليلى" ، حتى يبقى بمشهد ليلى" ، ويغيبه عن كل معنى  
سوى ليلى" ، ويتشهد الأشياء كلها بليلى".

ولكن ينبغي ألا نظن من مثل هذا القول أنه كان يؤمن بانمحاء التفرقة بين الشاهد  
والمشهود ، مثل "الحلاج" إنما يريد الإحساس بالفناء فى الذات العليّة. ومن طريف ما له من  
ذلك قوله :

تَسْرَمُذٌ <sup>(١)</sup> وَقَتِي فَبِكَ فَهُوَ مُسْرَمُذٌ ∴ وَأَفْنَيْتِي عَنِي فَعَدَّتْ مَحَدًّا  
وَكَلِي بِكُلِّ الْكُلِّ وَصَلَّ مُحَقَّقٌ ∴ حَقَائِقُ حَقِّ فِي دَوَامٍ تَخَلَّدَا  
وَقَوْلُهُ :

تَغْنَى الْعَوْدُ فَاشْتَقْنَا ∴ إِلَيَّ الْأَحْبَابُ إِذْ غَنَى  
وَكُنَّا حَيْثُمَا كَانُوا ∴ وَكَانُوا حَيْثُمَا كُنَّا

وكان ينكر كل ما تورط فيه "الحلاج" من شعوزات ونيرغيات، مما رواه عنه بعض مرديه، وتتردد على لسانه كثيراً كلمة السكر، وسأله سائل: هل شاهد الله بحقيقته؟ فقال: الحقيقة بعيدة، ولكن ظنون وأمانى وحُبان.

## من أعلام الشعر في العصر العباسي الثاني المتنبي:

هو الشاعر "أحمد بن الحسين"، ويكنى "أبو الطيب" المتنبي، وكان صاحب شهرة ملأت الآفاق في الأدب العربي. وقد ولد بالكوفة. وهى إحدى محافظات "العراق" سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة. ونشأ بها، وتأدب بفصاحة أهل الدو، وأجاد الشعر وأتقنه. فذاع صيته. وعلا شأنه، وظهرت موهبته، وطبقت شهرته الآفاق، وسار حديثه مع الرُكبان وعرفه القاصى والدانى. حتى غداً علماً من أعلام الشعر في العصر العباسي الثاني <sup>(٢)</sup>.  
وقد ظهر فضل "المتنبي" فى بادية "الشام"، فحقد عليه حُسادُه، ورموه بأدعاء النبوة وإن كان لا يُعقل أن إنساناً فى رجاحة عقل المتنبي، ورجابة خياله، وقوة جنانه يدعى النبوة فى وقت رسخت فيه قواعد الإسلام، ورفرفت رايات التوحيد عليه خفاقة فى سماء الجزيرة العربية وما يجاورها من البلدان، كما سكنت واستقرت أصول الإسلام وقواعده فى قلوب الناس، فكيف يُنسب إلى "المتنبي" مثل هذا الادعاء؟!

(١) السرمذ الناعم، وتسرمد: خلد  
(٢) من النصوص الأدبية فى العصر العباسي ص ١٨١ - مصطفى محمود يونس - ط: ١٩٨٣م.

إنه في رأينا محض افتراء، واختلاق من الحساد، وتُرّهات أشاعوها، وشغبذات نشروها، للتّيل من هذا الشاعر العملاق.

ودليتنا وصدق كلامنا على ما أومأنا إليه آنفاً: أن المتنبى كان يضيق ذرعاً بكل من يلقبه بهذا اللقب. ودليل آخر على صدق ما ذهبنا إليه: أننا لا نجد في شعره - على كثرته - أثراً لما ادّعاء حُصاده عليه وأنه ادّعى النبوة، اللهم إلا ما تأوّلته عليه حُصاده وخصومه فقالوا حسب شهواتهم للتّيل منه، وهو في ذلك يرى براءة الذّنب من دم ابن يعقوب - عليه السلام - وذلك مثل قوله:

أى محــــل أرْتقى      ::      أى عظيم أنقى  
وكل ما قد خلق      ::      الله وما لم يخلق  
محتقر فى همتى      ::      كشعرة فى مفرقى  
وقوله :

أنا تربُّ الندى وزبُّ القوافي      ::      وسبامُ العدا وغيظُ الحسود  
أنافى أمة تداركها الل      ::      ذ غريب كصالح فى ثمود  
وقد كان من آثار هذه التهمة أن سجنه "لؤلؤ" والى "حمص" من قبل "الإخشيد"، ثم أطلق سراحه بعد أن مكث طويلاً، وخرج "المتنبى" واللقب الغيظ على نفسه بلاحقه فى كل مكان، وربما كان سجنه عوض خروجه على الدولة، فقد نُسب إليه أنه انتهر فرصة ضعف الدولة، ودعا إلى بيعته قوماً من مريديه من أبناء سيّته فبايعوه، وحين كاد يتم له الأمر وصل خبره إلى والى البلدة، فتبض عليه وحبسه. فالحبس على هذا لم يكن إلا لدعوة سياسية كما رواه "الثعالبي" فى "التيمة".

لم يجد المتنبى "بادرة حين خرج من السجن من أن يطوف فى البلاد ليمدح كل من لاقاه، عظيماً كان أو حقيراً.

وكان المتنبى لمكانته عند "سيف الدولة" قد اشترط عليه ألا ينشد الشعر قائماً، وأن

لا يقبل الأرض بين يديه، وظلّ المتنبّي في موضع التقدير والإكبار، حتى وشى به حُشاده عند سيف الدولة، وعلى رأسهم الشاعر أبو نواس الحمداني، وابن خالويه النحوي ومؤدب سيف الدولة، وصاحب الحظوة عنده، وكان من آثار تلك الوشاية أن زاد سيف الدولة في إيلامه بالاستماع إلى غيره من الشعراء، ومن ذلك لم يطق المتنبّي صبراً، فألقى قصيدة عصماء يعاتب فيها سيف الدولة مُرّ العتاب، ويهدّد بالرحيل إلى مصر إن لم ينصفه، ولكن الأمير لم يعبأ تهديده، وقد جاء في القصيدة التي عاتب فيها سيف الدولة:

يا من نِعِزْتُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ .: وَجِدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بِعِزَّتِكُمْ عِزْمٌ  
 مَا كَانَ لَأَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرُمَةٍ .: لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْرٌ  
 إِنْ كَانَ سِرَّتَكُمْ مَا قَالِ حَاسِبُنَا .: فَمَا لَجُرِحِ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ

ولما اشتد ما بينه وبين سيف الدولة خرج سنة ٣٤٦هـ إلى مصر، قاصداً كافوراً الإحتشدي، ولكنه لم يتل منه ما رجاه، فهجاه بعد ذلك، وهرب منه إلى بغداد سنة ٣٥٠هـ، وهنا أراد الوزير المهلبى أن يوليه عملاً في خدمته، ولكن المتنبّي أبى أن يمدح المهلبى، فألب هذا شعراءه على هجائه، وعندئذ توجه المتنبّي إلى فارس، فمدح عضد الدولة البويهى<sup>(١)</sup>، فأسيغ عليه نعمته، ووصله ثلاثة آلاف دينار، وخيول وثياب، ثم دس عليه من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال له: هذا أجزل، إلا أنه متكلف، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً، فغضب عضد الدولة من ذلك ويقال: إنه جهز عليه فاتكاً الأسدي في قوم بني ضبة، فعرض له بالصافية من سواد بغداد، واقتلا، فلما رأى الدائرة عليه همّ بالفرار، فقال له غلامه:

لا يتحدث الناس عنك بالفرار، وأنت القاتل:

الخيل والليل والبيداء تعرفنى .: والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ٨٢/٢، ٨٣.

فقاتل حتى قُتل ، وولده وغلّامه فى أواخر رمضان من سنة ٣٥٤هـ<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع : تاريخ الأندلس العربى : أحمد حسن الزيات ص ٣٣٩ .

## منزلته الأدبية :

المتنبى خاتم الثلاثة الشعراء ، آخر من بلغ شعره الغاية فى الإجادة ، وقد أجمع الأدباء على أنه حظى فى شعره بقدر ما حظى به فى ذكره ، وأنه بحق أشعر شعراء العربية ، وأنه لم يأت بعده من بلغ شأوه أو دانه فى فضله ، فهو شاعر "سيف الدولة" ، ورجل القوة الطموح ، احتك بالقرامطة ، فأخذ عنهم حب الثورة ، والميل إلى انتفاضة العتقوان ، واحتك بدوى الأمر والأمراء ، فذاق مرارة الخيبة ، وسعى وراء العظمة والمراتب العليا ، فعرف حطمة الطموح ، وحسده الناس وآلموه ، فكان صدره يركاناً ينفث حمماً ونيراناً ، وقال شعراً فكان شعره ترجمان قلبه الطموح الساخط ، وكان محملاً بالحكم والأمثال ، جمعها "الصاحب بن عباد" "تفخر الدولة البويهى" . ونشرها "زهدي يكن" بعد أن شرحها ، وحفظ ألفاظها ، وعلق عليها ، ومما جاء فيه :

"لم يكن "المتنبى" فيلسوفاً بمعنى الكلمة الصحيح ، إذ ليس له آراء شاملة فى أصل العالم أو الحياة ، أو الأخلاق يقوم عليها نظام من الفكر متصل متماسك ، وإنما له خطوات فى الحياة والأحياء منشورة هنا وهناك ، لا يجمع بينها سوى نفس الشاعر ، والجو الذى يصبح فيه ، وهو لا يتوفر على تعليل هذه الخطوات ودعمها منطقياً بتؤدة وإسهاب ، شأنه شأن الفلاسفة ، ولكنه شديد الاعتقاد بها ، شديد الإثبات لها ، وكثيراً ما يدعمها بصورة مؤثرة ، أو دليل موجز ، يقر بصحتها فى نظره بقوة جازمة ، وهو كثيراً ما يأتى بحكمه وأمثاله لإيضاح فكرة أو للبرهان عليها .

أما ما مصدر حكمته ؟ فهو قبل كل شئ نفسه ، وتجاربه ، وإلهامه ، لا دراسة الفلسفة أو التأملات فيما وراء الزمان والمكان ، وإن كان قد استقى أحياناً بعض حكمه مما وصل إليه من نظريات اليونان وآرائهم . ومما اطلعت عليه ثقافته<sup>(١)</sup> .

عاصر "المتنبى" فطاحل الشعراء : "كأبى فراس الحمدانى" ، و"كشاجم" ، و"الرفاء"

(١) من النصوص الأدبية فى العصر العباسى الثانى ص ٢٠ وما بعدها : د/ جبر .

و"النামী"، و"الوآواء الدمشقی"، و"السعدی"، ومع نبوغهم فی الشعر ومکانتهم بین أرباب الأدب، وعلو کعبهم فقد تفوق علیهم جميعاً، ولم یر شاعراً قديماً أو حديثاً عنى الناس بدراسة شعره، وتناولوه بالنقد والشرح مثل "المتنبی"، ما من كاتب ولا خطیب، ولا مدرس إلا وله من حکم "المتنبی" مدد، و"من دزس شعر المتنبی"، و"بین حسه وقبيحه" "أبو منصور الثعالبی" فی الجزء الأول من "بیعة الدهر"، فإنه بین بالتفصیل حسناته وسيئاته مع سائر أخباره فی نحو مائة صفحة.

وقد جمّع دیوان "المتنبی"، ورثه حسب الحروف الأبجدية، وشرحه كثير، منهم : ابن جنی، و"الواحدی"، و"التبریزی"، و"العکبری"، و"اليازجی" وكثير غيرهم. قال المتنبی فی كل الموضوعات : فی الوصف، والغزل، والفخر، والهجاء ووصف المعارك الحربية.

وفی شعره يقول الأستاذ / أحمد حسن الزيات : "المتنبی" شاعر من شعراء المعانى وفق فی الجمع بين الشعر والفلسفة، وجعل أكثر اهتمامه بالمعاني، وأطلق الشعر من القيود، وخزج به من أساليب العرب التقليدية. فهو إمام الطريقة الابتداعية فی الشعر العربي، وحظى شعره بالحكم والأمثال، والإبداع فی وصف القتال، وإجادة التشبيب وحسن التخلص، وصحة التقسيم، وإبداع المديح. وإجادة الهجاء. وأخص ما يبرده برونز شخصيته فی شعره. وصدق إيمانه برأيه، واشتداده بنفسه، وصحة تعبيره عن طبائع النفس، وخصائص الوجود، وأغراض الحياة.

## نموذج من شعره :

قال يتللف :

- نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا :: نَعَاثُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ  
تَبَخَّلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا :: عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ  
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ :: وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ  
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى :: حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

وقال :

- وَمَرَاذُ النُّفُوسِ أَصْفَرُ مِنْ أَنْ :: تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَّقَانِي  
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يَلَاقِي الْمَنَايَا :: كَالْحَيَاتِ وَلَا يَلَاقِي الْهَوَانَا  
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَى لِخِيٍّ :: لَعَدَدْنَا أَضْمَلْنَا الشُّجْعَانَا  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا :: فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

## ميوه شعره :

بعض شعره أحياناً يعسر فهمه، وتبعد شأبته منه، فيطيش سهمه، وقد وقع في بعض المساوئ، مثل: استكراه اللفظ، وتعقيد المعنى، واستعمال الغريب، ومخالفة القياس وكثرة التفاوت في شعره، والخروج في المبالغة إلى الإحالة، كقوله :

- ولا الضعف حتى يبلغ الصعف ضعفه :: ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقوله :

- أنسى يكون أبا البرايا آدم :: وأبوك والثقلان أنت محمد

وتقديره :

- أنسى يكون آدم أبو البرايا :: وأبوك محمد وأنت الثقلان

## أبو فراس الحمداني :

هو الشاعر الحارث بن سُعيد بن حَمْدان بن حَمْدون بن الحارث" ، ويكنى "أبو العلاء" ، ولد في "الموصل" سنة "عشرين وثلاثمائة" للهجرة ، ونشأ "أبو فراس" يتيماً حيث إن ناصر الدولة "أخاه" سيف الدولة "كان قد قتل أباه ، فكفله "سيف الدولة" وتنقلت به أمه بين "الموصل" و"أمد" ، و"ميفارقين" ، و"ماردين" ، و"الرقّة" ، ثم ألفت به عصا السيار ، واستقرت به في "منبج" قرب "حلب" ، وتلقى "أبو فراس" علوم زمانه على علماء بلاط "سيف الدولة" ، وكان من أشهر هؤلاء العلماء "ابن خالويه" ، ولما بلغ من العمر ستة عشر عاماً قلده "سيف الدولة" ولاية "منبج" ، و"حرّان" ، وعهد إليه بالدفاع عن التخوم الشمالية ، والبلاد المجاورة لها ضد الروم" ، وبقتال القبائل البدوية التي تشق عصا الطاعة على آل حمدان" ، وفي سنة "سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة" دخل "المنبج" بلاط "سيف الدولة" ، وأراد "سيف الدولة" بذلك أن يأذن لشمس "أبي فراس" بالأقول والمغيب ، وأن يكسف نورها في الشعر والحرب . وأن ينال منه ومن شاعريته وفروسيته ، فجاء "المنبج" منافساً له في البلاط الحمداني ، ثم وقع "أبو فراس" في أمر "الروم" ، وكان ذلك في شهر شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة . وبقي في أسره إلى شهر رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للهجرة . والتي توافق سنة ست وستين وتسعمائة للهجرة ، ولم يرغب "سيف الدولة" في اقتدائه من الأسر افتداءً خاصاً بعظيم من عظماء الروم ، بل تركه في أسره يعاني آلامه وأحزانه ، ويجني ثمرة فروسيته حتى فودي بالطرق المعتادة في مبادلة الأسرى وتوفي "سيف الدولة" وشيكاً من شهر صفر سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، والذي يوافق شهر يناير سنة سبع وستين وتسعمائة من الميلاد ، فخلفه ابنه "أبو المعالي" ، فاستد "أبو فراس" "بجمل" ، ثم وقعت الحرب بينهما - يعني "أبي فراس" و"أبو المعالي" - فسقط "أبو فراس" في المعركة قتيلاً في الثالث من جمادى الأولى سنة "سبع وخمسين وثلاثمائة للهجرة".

وآبو فراس شاعر مطبوع، مشبوب العاطفة، يقول الشعر إرضاء لنفسه، ولم يتخذ الشعر حرفة، وكان شعره شعراً وجدانياً خالصاً، يدور على فنين: وهما الفخر، والغزل. وهو من أتباع المذهب الشامي، يبد أن شعره يبدو عليه الضعف أحياناً أو شئ منه، وجاء غزله في المونث رقيقاً، عفيفاً، وبعض شعره صريح، وفخره على عمود الشعر متين فخم وله وسف للطبيعة والخمر، وقد نظم "آبو فراس" في أسره قصائد عرفت بالأسريات "والروميات"، وكان بعضها "إخوانيات". وكان يرسلها إلى إخوانه، مثلما ترسل الرسائل يبد أنه لم يظهر على هذه "الروميات" خصائص جديدة، سوى أنها كانت أكثر رقة، وأكثر شكوى، وقد صنع ديوانه بنفسه<sup>(١)</sup>.

### صفاته وأخلاقه:

كان آبو فراس "بطلاً سخياً معجباً بنفسه، وشعره كثير الفخر بأصله وقومه، غروفاً عن الشراب والمجون، وهو القائل:

لئن خلق الأنام لخصو كأسٍ :: ومزمارٍ وظنبورٍ وعودٍ  
 فلم يخلق بنو خمدان إلّا :: لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود<sup>(٢)</sup>

**خصائص شعره:**

شعره على مثال الشعر القديم متانة وأسلوبياً، ولكن عليه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزة الملك. وكان الصاحب بن عباد يقول: "سدئ الشعر بملك، وختم بملك" ويعنى بذلك "أمر القيس"، و"آبا فراس"، وقد نظم في أغلب فنون الشعر، فأجاد إلا أن منزلته في الفخر والاستعفاف والعتاب أعلى، أما "روميته" فهي أجل وأدل على فضله ومن أروع قصائده قصيدته الرائية التي نظمها حين قال الروم: إن "آبا فراس" وحده من بين

(١) تاريخ الأدب العربي: د/ عمر فروح ٩٥/٢: وما بعده بتصريف - ط: دار العلم للملايين - بيروت لبنان - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م. والطبعة الرابعة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.  
 (٢) تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان ٩٢/٢  
 هـ النيران ص ٩٧ - ط: دار مساند - بيروت - لبنان حنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.  
 هـ لحسو كأس - من الاحتساء وهو الشرب، احتسى الشئ: شربه

الأسرى هو الذي لم يسلب منه سلاحه ، وقد بدأها بحوار بينه وبين إحدى صواحيبه :

أراك عَصِيَّ الذمِّعِ شَيْمَتِكَ الصَّبْرُ .: أما للهوى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ  
بلى أنا مُشْتاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ .: وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يُدَاغُ لَهُ سِرُّ  
مُعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ .: إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ  
تُسَائِلُنِي مَنْ أَنْتَ وَهِيَ عَلِيمَةٌ .: وَهَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ  
فَقُلْتُ كَمَا شَاعَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى .: فَتَيْلُكَ قَالَتْ أَيُّهُمْ فَهْمٌ كَثُرُ  
فَقَالَتْ لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الذَّهْرُ بَعْدَنَا .: فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ لَا الذَّهْرُ

ومنها :

أسرتُ وما صَحْبِي بِغَزَلٍ لَدَى السَّوْغَى .: وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبِيَّةٌ غَمْرُ  
وَلَكِنْ إِذَا حَمَّ الْقَضَاءُ عَلَى إِمْرِي .: فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ  
يَمْنُونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا .: عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ جَمَائِهِمْ حُمْرُ  
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ .: وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ النَّبْرُ  
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسَّطَ عِنْدَنَا .: لَنَا الصَّنْدُرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ  
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا .: وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ  
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا .: وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ وَلَا فَخْرُ<sup>(١)</sup>

(١)

(١) الديوان ص ١٦٠ ، ١٦١ - ط: دار صادر بيروت - لبنان ، عصر الدول والإمارات (مصر والشام)  
أ.د/ شوقي ضيف ص ٧١٠ .

القمر : غير المجرب - يعنى : الذى ليست له ذرية وخبرة . المهر : الفرس الصغير - حم: قضى وقدر - لم  
نغله المهر: لم نستكثر عليها المهر - ويروى: "لم يغلها المهر" يعنى: من يخطب الحسناء لا يستكثر  
عليها شيئاً .

ويقول في استعطاف "سيف الدولة" :

- ومن أين للحزب الكريم صحاب  
ذئاباً على أجسادهن ثياب  
بمفرق أغباننا حصي وتراب  
إذا علموا أنني شهدت وغابوا  
ولا كل قوال لذي نجاب  
كما طن في لوح الهجير ذباب  
تحكم في أسادهن كلاب (١)
- ومن يتق الإنسان فيما يتوبه  
وقد صار هذا الناس إلّا أقلهم  
تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي  
ولو عرفوني حق معرفتي بهم  
وما كل فعال يجازي بفعليه  
ورب كلام مرّ فوق مسامعي  
إلى الله أشكو أننا بمنازل

ويقول أيضاً :

- أثاب بمرّ العتب حين أثاب  
وليتك تحلو والحياة مريرة  
وليت الذي بيني وبينك عامر  
إن صح منك الود فالكل هين
- أثاب بمرّ العتب حين أثاب  
وليتك ترضى والأنام غضاب  
وبيني وبين العالمين خراب  
وكل الذي فوق التراب تراب (٢)

والبيت الأخير غير موجود في ديوانه ، طبع دار صادر - بيروت - لبنان - عام

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، يُدّ أنه في طبعة: دار صعب - بيروت - لبنان ، وجدته مشبوتاً كما

يلي :

- إن صح منك الود فالمال هين  
وكل الذي فوق التراب تراب (٣)

(١) الديوان ص ٢٥ .

(٢) داته ص ٢٧ .

(١)

وقد نسبت هذه الأبيات للمتصوفة والزاهدة الشهيرة "رابعة العدوية"، وقد يكون هذا من قبيل الاقتباس، أو توارد الخواطر.

---

(١) الذبيوان - ط: دار صعب - بيروت - لبنان - ص ٢٧ .

## الشريف الرضي:

هو الشاعر محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين، ويكنى "أبو الحسن"، وهو من سلالة الإمام "جعفر الصادق" عليه السلام وُلد "الشريف الرضي" سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة في "بغداد"، ونشأ في حجر والده، ودرس العلم في طفولته، فبرز في "الفقه"، و"علم الفرائض" يعني "الموارث"، ونبغ في العلم والأدب، وتفتقت شاعريته. وظهرت نجاته في وقت باكر من الزمن، حيث إنه فرض القريض، وقال اشعر وعمره لا يزيد على عشر سنين.

وقد نهل "الشريف الرضي" من حياض العلماء، وكرع من ثيرهم السلسال، ومنح من ركائز علماء عصره، بأرشيّة قوية، وأسطان فنيّة، وكان ذلك في مدينة "بغداد" من علماء الشيعة، وغيرهم من أمثال "علي الفارسي"، و"أبن جنى"، و"المرزوقي" في اللغة والحو، و"القاضي عبد الجبار" في الاعتزال، و"الشيخ المتعمد" في الفقه. كما أقبل على كتب التفسير، ينهل من مواردها العذبة، ويرتشف أفاويق المعاني، والبلاغة، والبيان. كما أقبل على كتب "الحديث النبوي" ينهل منها، ويُفيد من معانيها وإرشاداتها، على نحو ما يتضح في كتابه "المجازات النبوية" كما أنه قام يجمع خطب الإمام "علي بن أبي طالب" رضى الله عنه - في السفر المعروف باسم "نهج البلاغة"<sup>(١)</sup>.

ولما بلغ "الشريف" التاسعة والعشرين من عمره خلف أباه في نقابة الطالبين. ثم ضمت إليه مع النقابة سائل الأعمال التي كان يليها أبوه، وهي النظر في المظالم. والحج بالناس.

وبقى في هذه الأعمال حتى تغير الخليفة "القادر" لانهامه عنده بالميل إلى العلويين الفاطميين، فصرفه عنها. فعاش عيش الضائع، حتى قبضه الله إليه سنة ٤٠٦ هـ. ودفن بداره في "الكرخ" ببغداد.

(١) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران): د/ شوقي صيف ص ٣٧٠، وأيضاً: تاريخ الأئمة العربيين للرويات

وكان من صفات "الشريف الرضى" أنه أبى النفس، عالى الهمة، وكان عفيفاً لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى بلغ من تشده فى الفقه أنه رد ما كان جارياً على أبيه من صلوات الملوك والأمراء، واجتهد "بنو بويه" أن يعملوه على قبول صلواتهم فما استطاعوا.

### مؤلفاته :

ألف فى معانى القرآن الكريم كتاباً يدل على تضلعه فى النحو واللغة وأصول الدين وكتاباً آخر فى مجازات القرآن، وله مجموعة رسائل، وديوان شعر، وكتاب "نهج البلاغة" وهو ما جمعه من كلام الإمام "على بن أبى طالب" - رضى الله عنه - والظاهر أنه جمع كل ما نُسب إلى الإمام، وفيه الصحيح، والمشوب<sup>(١)</sup>.

### شعره :

يدل شعره على أنه تأثر أشد التأثر "بالمثنى"، فقد أكبّ عليه يقرؤه، محباً له، متعاطفاً معه، متمثلاً لكل ما يقول من شكوى الزمان، وأنه لا يعطيه ما يستحقه، وكان يشعر فى أعماقه بأنه خليق أن يكون هو الخليفة دون أبناء عمه العباسيين، وتدفعه الضرورة إلى مصانعتهم بمديح بزخر - مثل مديح "المثنى" - بالفخر، والشكوى من الأيام - حتى يقول "للقادر":

عظفاً أمير المؤمنين فأبنا .: فى نوحه العلياء لا نتفرق  
ما بيننا يوم الفخار تفاوتج .: أبداً كلالنا فى المعالي معرق  
إلى الخلافة مئزتك فأبني .: أنا عاطلٌ منها وأنت مطوقٌ

وقد نهج فى شعره نهج الأقدمين، فى جرالة اللفظ، وفخامة المعنى، وشعره أشبه بشعر "البحترى" إلا أنه غلب فى الفخر والحماسة... وقال "الثعالبي" فيه: "هو أشعر الطالبين" من معنى منهم ومن غير، على كثرة شعرائهم المفلقين، لو قلت إنه أشعر قرش

(١) عصر الدول والإمارات : د/ شوقى ضيف ص ٢٧٢ .

ثم أبعده عن الصدق، ثم قال بعد ذلك: "ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه".

### نموذج من شعره :

قال ينتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت:

لغير العلى مني القلى والتجنبُ .: ولولا العلى ما كنت في الخبِ لرغبت  
إذا الله لم يعذرك فيما ترومهُ .: فما الناس إلا عاذلٌ أو مؤتنبُ  
ملكْتُ بحلمي فرصة ما استرقها .: من الدهر مفتولُ الذراعين أغلبُ  
فإن نك سني ما تطاولَ باعها .: فلي من وراء المجد قلبٌ مُدربُ  
فحسبي أني في الأعادي مُبغضُ .: وأني إلى غير المعالي مُحْتَبُ  
وللحم أوقاتٌ وللجيلٍ مثلها .: ولكن أوقاتي إلى اللحم أقربُ  
يصولُ عليّ الجاهلون وأعتلي .: ويعجمُ في القائلون وأعرَبُ  
يرون احتمالي عصّةً ويزيدهم .: لو أوح ضغن أني لست أغضبُ (١)

ويقول - رحمه الله - من قصيدة قالها وله من العمر "عشر سنين": ثم هدتها

وأسقط منها أشياء، يقول فيها:

المجد يعلم أن المجد من أربي .: ولو تماديت في غيٍ وفي لعب  
أني لمن معشرٍ إن جمعوا لعلي .: تفرقوا عن نبيٍ أو وصي نبي  
وإن عزمت فعزمي يستحيل قذِي .: تدمى مسالكه في أعين النوب (٢)

(١) ديوان الشريف الرضي - صححه وعلق عليه: الدكتور/ احسان عباس - دار صادر - بيروت

ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) الديوان ص ١١٢ وما بعدها.

وقال يفخر بال البيت - رضى الله عنهم - ويذكر قبرهم ويتشوقها :

- ألا لله بإدارة الطلاب :: وعزم لا يروغ بالعتاب  
وكل مشمر البردين يهوي :: هوي المصلتات إلى الرقاب  
أعائيه على بعد التثائي :: ويعذلني على قرب الإياب  
رأيت العجز يخضع لليالي :: ويرضى عن نوائبها الغضاب  
ولولا صولة الأيام دوني :: هجمت على العلى من كل باب  
ومن شيم الفتى العربي فينا :: وصال البيض والخيل العراب  
سقى الله المدينة من محل :: نباب الماء والنطف العذاب  
وجاذ على البقيع وساكنيه :: رخي الذيل ملأن الوطاب  
وقبرا بالطوفوف يضم شلوا :: قضى ظمأ إلى برد الشراب  
وسامرا وبغدادا وطوسا :: هطول الودق منخرق الغياب  
قبور تنطف العبرات فيها :: كما نطف الصبير على الروابي  
قلوب بخل السحاب على تراها :: لذابت فوقها قطع السراب  
صلاة الله تخفق كل يوم :: على تلك المعالم والقباب (١)

وقال يفخر :

- إنا نعيب ولأنعاب :: ونصيب منك ولا نصاب  
أل النبي ومن تقل :: لب في حجورهم الكتاب

(١) الديوان ص ١١٣ الى ص ١١٥ التلو : الحمد ، وأراد به حمد "الحسين بن علي" - رضى الله عن  
ال البيت تنطف تسيل انصب السحاب

خَلَقْتَ لَهُمْ سُمرَ القَنَا .: وَالْبَيْضُ وَالْخَيْلُ الغَرَابُ  
 فـاقنـي حـيـاؤك إـن .: نـمـا الأيـامُ غـنـمٌ أو نـهـابُ  
 مـن لـذِّ وِردِ المـوتِ لا .: يـصـفـو لـه أبدأ شـرابُ (١)

وقال في قصيدة متشعبة الأغراض والفتون :

دوامُ الهوى في ضمانِ الشبابِ .: وما الخبُّ إلا زمانُ التصابي  
 أُحِينُ فضا الشيبُ في شعره .: وكُتِّمَ أوضاخهُ بالخضابِ  
 تـروـعـين أوقـاتـه بالصنـدودِ .: وتـرمـين أياـمه بالسبابِ  
 تحطى المشيبُ إلى رأسه .: وقد كان أعلى قبابِ الشبابِ  
 كذاك الرياحُ إذا استلأمت .: تقصفُ أعلى الغصونِ الرطابِ  
 مـثـيـدٌ كـما اسـتـلَّ صـدرُ الحـسا .: م لم يرو من لبثه في القرابِ  
 نُضي فاستباح حمى الملهياتِ .: وراع الغواني بظفر ونابِ  
 وألوى بجذة أيامه .: فأصبح مقذى لعين الكعابِ (٢)

وقال أيضاً :

أغـدرا يا زمانُ ويا شـبابُ .: أصابُ بذا لَقَد عَظُمَ المُصابُ  
 وما جَزَعي لأنَّ غزبِ التصابي .: وخلقُ عن مَفارِقِي الغرابِ  
 فقبل الشيبِ أسلفتُ الغواني .: قلبي وأمالي عنها اجتنابُ  
 عفتُ عن الحسان فلم يرُ عني .: المشيبُ ولم يُنزقني الشبابِ  
 تجاذنتني بذُ الأيامِ نفسي .: ويوشكُ أن يكون لها الغلاتُ  
 وتغذُرُ بي الأقاربُ والأداني .: فلا عجبُ إذا غدر الصحابِ (٣)

(١) انبوار ص ١١٧

(٢) انبوار ص ١٢١

obeikandi.com

## "مهيار الديلمي" نشأته وخصائص شعره :

هو "أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي"، كان ديلمي الأصل، مجوسي الديانة، ثم تتلمذ للشريف الرضي، وأسلم على يديه سنة ٣٩٤هـ، ثم عاش منذ ذلك الحين "ببغداد". وتوفي يوم ٥ من جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ.

ويبدو أنه كان فيه ذكاء حاد، جعله يحسن العربية سريعاً، ويروى أنه كان يسكن في الكرخ مستقر شيعة "بغداد" الإمامية، ولعل ذلك هو الذي أعطاه الفرصة لكي يدرس عقيدتهم، حتى إذا أسلم انتظم في سلكها. وقد أعانه "الشريف الرضي" في أن يصبح كاتباً بدواوين الخلافة، ودائماً يلقبه مترجموه بلقب "الكاتب".

تولاه بالعناية، ورعاه أديباً أستاذه "الشريف الرضي"، عندما رأى فيه استعداداً حسناً، فمضى معه يتقنه، ويديره حتى خرج شاعراً بارعاً... فلا غرابة إذا وجدنا التلميذ ينسج على منوال أستاذه، وهو نسيج يلاحظ من جهتين: جهة معارضته لكثير من قصائد الرضي. يأخذ منه الوزن والتأقبة، وينظم على غرارها. وجهة ثانية لعلها أهم، وهي مثل اتهاماته الشعرية، وتقصيد اتجاهات الشكوى، فإنه يشكو كثيراً سوء نخته، وأن الزمن لا ينيله ما يتمنى. بل يقف حجر عثرة دون أمانه.

ففي بواكير حياته اتجه بفخر بقومه، فاستحال فخره شعوبياً ذمياً... ونراه مع الزمن يتخلص من هذه النزعة الشعوبية. ويملاً شعره بالحنين إلى "نجد"، وبدوياتها الفاتنات مستلهما في ذلك أستاذه "الرضي"، بمثل قوله :

- قد تذوقت الهوى من قبلها .: وأرى مُعذِبةً قد أملحها
- سل طريق العبر من وادي الغضا .: كيف أغسقت لنا رَأد الضحى
- أشياء غير ما جيراننا .: نفصوا نجداً وحلّوا الأبطحا
- يا نسيم الصبح من كاظمة .: شدّ ما هجت الجوى والبرحما

- الصَّبَا إِنْ كَانَ لِابْنِ الصَّبَا .: إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَرْوَحَا  
 يَا نِدَاهَايَ بَسْلَعٍ هَلْ أَرَى .: ذَلِكَ الْمَغْبُوقُ وَالْمَصْطَبْحَا  
 أَنْكُرُونَا نَكْرَتَنَا عَهْدَكُمْ .: رَبُّ نَكْرَى قَرَيْتَ مَنْ نَزَحَا  
 وَأَنْكُرُوا صَبَاً إِذَا غَنَى بِكُمْ .: شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدْحَا  
 رَجَعَ الْعَاذِلُ عَنِّي أَيْسَاءُ .: مِنْ فَوَادِي فِيكُمْ أَنْ يُقْلِحَا (١)

لقد كان "مهيار" أجنبياً عن اللغة، وكان لذلك تأثير واسع في صناع الشعر عنده؛ إذ كان يصل في أحوال كثيرة التعبير عن المعاني الدقيقة، فيسقط إلى ألوان من الإسفاف تضيع سر المهنة عنده؛ لذلك كان لا يحسن التعبير الجاد عما في نفسه، فقد سلمت له نشأة "فارسية" أو قل "مجوسية"، لذلك كانت قصائده تمتلئ بنوافذ يُشرف منها الإنسان على "فارس"، ولولا أنه أخذ نفسه بالأسلوب العربي، أو فخرج على يد شاعر عربي أصيل - هو "الشريف الرضي" - لكان لفارسيته وأجنبيته عن اللغة العربية أثر أوسع.

على أن هناك جانباً مهماً كان يؤثر في شعر "مهيار" تأثيراً واسعاً، هو ما يمتاز به من مزاج خاص، وهو مزاج فيه رقة، وحدة في الحسن، وقد نما ما انتهت إليه الحضارة العربية من ترف شديد، حتى لينقلب إلى ضرب غريب من الدماعة والليوننة، ما يزال ينتشر في جميع أطراف شعره.

كان يلفق قصائده على طريقة الشعراء الذين عاصروه، ولم يعتد في ذلك على الثقافة "كالمسي" مثلاً، انظر كيف تحولت الفكرة القديمة عنده في الأبيات الآتية :

- هَلْ عِنْدَ هَذَا الظَّلَلِ المَاحِلِ .: مِنْ جَلْدٍ يُجَدِي عَلَى سَائِلِ  
 أَصَمُّ بَلٍ يَسْمَعُ لِكُنْه .: مِنْ البَلَى فِي شُغْلٍ شَاغِلِ  
 وَقَفْتُ فِيهِ شَيْحاً مَائِلاً .: مَرْتَقِداً مِنْ شَيْحٍ مَائِلِ

(١) ديوان مهيار الديلمي - شرحه وصبطه: أحمد نسيم - الجزء الأول - منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص ١٧٧.

ولا ترى أعجب من ناحلٍ .: يشكو ضنا الجسم إلى ناحلٍ (١)  
 أساس الفكرة في هذه الأبيات هو أنه زئيمٌ يئكى زئماً. وهى فكرة "النسى"، بل  
 فكرة أبى تمام من قبله. وكل ما جاء به "مهيار" من جديد أنه عمّد فيها إلى التطويل  
 والتفصيل، ولكنّ ألا يشعر القارئ - على الرغم مما وفق إليه "مهيار" من إحكام الصوت  
 فى هذه القطعة - أن الأبيات لا تبلغ من التأثير ما يريد الشاعر، فقد تقاربت الأفكار  
 وأصبح الأسلوب هادئاً. ليس فيه عنف العاطفة، ولا حدة التعبير الأصيل، إنه أسلوب  
 ثرى.

وكان فى غزله يميل إلى الميوعة، فقد كان فيه إفراط فى الحسّ والشعور والرقّة  
 تنساب فيه ألوان من الذلة والطواعم، فقد خلّق رقيق القلب، هى رقة تخرج عن الحدود  
 المألوفة، كما أنه يتكلّف اللبونة، والدماثة والحسّ.

وهناك جانب آخر يلحظ فى غزله، وهو ما نراه عنده من تشبّه بالعناصر البدوية  
 وحشدها فى قصائده، بحيث لا يمر غزل فى قصيدة دون أن نحسّ بأنه لشاعر يقيم فى "تجد"  
 أو فى "الحجاز"، فدائماً صاحبه إمّا "مها"، أو "الرباب"، أو "ليا"، أو "سعدى"، وهى من  
 سكان "مى"، أو "الحيف"، أو "قبا".. ولذلك فهو يكثر من ذكر الأماكن الحجازية  
 والحدية، مثل "أحد"، "أضم"، "ززم".. ولعل هذه الحال من التبدى فى الغزل تسرّبت  
 للشعراء من تأثرهم بأساليب التشبيّة، والمنطرفة فى شعرهم الخاص.

وإذا أردت أن تتعرف على العناصر البدوية فى غزلياته فانظر إلى قوله :

سل طريق العيس من وادي الغضا .: كيف أغسقت لنا رأذ الضحى  
 الشئىء غير ما جيراننا .: نفضوا نجدا وحلّوا الأبطحا  
 يا نسيم الصبح من كاظمة .: شدّ ما هجت الجوى والبرحا

(١) الديوان ص ١٠٠ .

وتحول المديح عند "مهيار" إلى ضرب من المديح الباهت ، ولم يستطع أن يتوسع في معاني المديح ، فقد كانت تنقصه الثقافة والعمق ، وقد راح يطيل ويسرف في التطويل وييسط الأفكار والصور القديمة ، وقد أصبحت قصيدة المديح عنده قصيدة "متأسفة" ، ولم يعد لها شئ من اللذة ، والورفة الفنية ، فنحول شعر المديح إلى ما يمكن أن نسميه "شعر التهنائي" ، أو "شعر المناسبات" (١) .

### أبو العلاء المهرى وخصائص شعره :

هو الشاعر الفيلسوف "أحمد بن عبد الله بن سليمان" ، ويكنى "أبو العلاء" التوخى نسبة إلى "توخ" ، و"توخ" على ما ذكر "ابن خلكان" اسم عُرف لعَدَّة قبائل أقامت في "البحرين" ، وتحالفت على التعاون والتناصر ، وهو يكنيته أشهر .. ويبدو أنه لم يكن راضياً لا عن كنيته ولا عن اسمه ؛ لأنه لم يكن يرى في نفسه كُنُفُؤاً لهما ، وفي لزومياته إشارات عديدة إلى ذلك ، منها قوله :

دُعَيْتُ أبا العَلاءِ وَذاكَ مَينٌ . . . وَلَكنَ الصَحيحُ أبو النُّزولِ (٢)

وقال في اسمه الأول :

وَأَحمَدُ سَمَاني كَبيَري وَقَلَمًا . . . فَعلتُ سَوى ما أَسْتَحِقُّ بِهِ الذَمَّ (٣)

ويلقب "بالمهرى" نسبة إلى "المهرة" ، وهي مسقط رأسه ومندرج صباه ، وهي بلدة تقع على مسيرة يوم جنوبى "حلب" ، وقد كانت تُعرف "بمهرة حمص" ، قبل الفتح الإسلامى فعُرفت بعده "بمهرة التعمان" (٤) . و"التعمان" هذا هو الصحابي الجليل رضي الله عنه التعمان بن

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٥٧ وما بعدها بتصرف .

(٢) اللرومييات ص ١٢٨ أمين - الكتب .

(٣) داته ص ٥٤ .

(٤) رسائل أبي العلاء : لمجلدات ص ١١ .

مشير الأنصاري<sup>(١)</sup>، وقد تدبر أمر "المعرة"، فُنسبت إليه. وينتهي نسب أبيه إلى "قضاة"، ثم إلى "تنوخ"، وأما والدة أبي العلاء "فمن آل سبيكة"، وهي ابنة محمد بن سبيكة. وقد ذكر ابن النديم<sup>(٢)</sup> على وجه الاحتمال أن أباهما من أهل "حلب"<sup>(٣)</sup>، وهي أسرة ذات أدب وقُضَل. وقد اتصل أبو العلاء بخاله "علي بن محمد بن سبيكة"<sup>(٤)</sup>، ويرجل آخر كان أديباً منظوراً، وهو "أبو طاهر المشرف بن سبيكة"<sup>(٥)</sup>، وكانت أمه تعطف عليه عطفاً شديداً، وقد اشتد عليه المرض وهو في "بغداد"، وفي أثناء الطريق إلى "المعرة" بلغه "تغيها"، وكانت وفاتها سنة أربعمائة للهجرة ١٠٠٩م تسعة وألف من الميلاد. وكان وقع هذه المصيبة شديداً على نفسه، ولقد كان "تنوخ" في "المعرة" مكانة سامقة، تفرع منها عدة أسر كانت ذات علم وفضل وشرف، منهم آل حصين<sup>(٦)</sup>، وآل عمر<sup>(٧)</sup>، وآل المهذب<sup>(٨)</sup>، وآل زريق<sup>(٩)</sup> وآل جبير<sup>(١٠)</sup>، وآل سليمان<sup>(١١)</sup>، وهم أجداد شاعرنا "المعري"<sup>(١٢)</sup> وكانت ولادته ثلاثة أيام مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة، وقيل: سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة. لثلاث بقين من شهر ربيع الأول. ولم يكد أبو العلاء "يتم الرابعة من عمره حتى أصيب بمرض الجُدري، فذهب بعينه اليسرى وحجب نور اليمنى بياض، فكانت اليسرى بموجة غائرة، واليمنى بارزة"<sup>(١٣)</sup>.

وكان يقول: "أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده خيري على الصبر، وقد صعب لي. وأحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء".

وقد درس النحو واللغة في "معرة النعمان" على والده<sup>(١٤)</sup>، وبعض بني كوثر<sup>(١٥)</sup> وتلامذة "ابن خالويه" الذي اشتهر في بلاط "سيف الدولة" في "حلب"<sup>(١٦)</sup>. فقد درس القرآن

(١) انصاف والنحوي: لابن العديم ١٠١/٤ وما بعدها.  
 - وفيات الأعيان لابن خلكان - ط: بولاق سنة ١٢٧٥هـ ٨/١.  
 (٢) انصاف والنحوي: لابن العديم ١٠١/٤ وما بعدها.  
 (٣) زبد ابن العلاء - لمجلدات ص ٢٨، ٤٨، ٥٠، ٩٣.  
 (٤) محلة الهلال - عند حريزان - سنة ١٩٣٨م ص ٨٦٤ وما بعدها - لانيس الحوري المقدسي.  
 (٥) وفيات الأعيان: لابن خلكان ٥٧/١.  
 (٦) ابن العديم ١٣٨/٤. وياقوت الحموي ١٢٩/٣ وما بعدها.  
 (٧) وفيات الأعيان: لابن خلكان ٧/١.

القرآن الكريم، وقرأه بعيدة قراءات<sup>(١)</sup>، على مشاهير علماء القراءة في عصره<sup>(٢)</sup> وأخذ الحديث في مسقط رأسه عن جماعة من المحدثين، منهم جده، وجدته، وأبوه وأخوه<sup>(٣)</sup>، ويذكر الذهبي أنه أخذ في المعرفة أيضاً عن ثقات المحدثين، برواية يحيى بن مصبر التوحى عن ابن عروة الخراسي، هذا ما اكتسبه المعري الناشئ من محيطه العلمي: القرآن والحديث، واللغة، وما رافق ذلك من رواية الأسماع، وحفظ السير، ومعرفة للوقائع عند هذا الحد كانت تقف عادة ثقافة الناشئ العادي، أما شاعرنا أبو العلاء، فلم يكن ناشئاً عادياً. بل كان طالباً طموحاً، متعطشاً للتحصيل، شديد الظمأ إليه، لذلك ضاق به محيطه، وتبأ به موطنه، فرحل إلى البلاد قاصيها ودانيها طلباً للعلم وتحصيل المعرفة، فجال بين أنطاكية، وحلب، واللاذقية، وطرابلس، والعراق.. وقد كانت بغداد يومذاك منارة علم ومعرفة، ومحط رحال طلاب العلم والأدب، وعشاق الثقافة العربية، وسمى نفسه بـ"زهين الحسيني": العمى، وعكوفه في منزله، عكف على التعليم والتأليف، عازفاً عن ملذات الحياة، حيث كان نباتياً لا يأكل لحوم الحيوان، كما عزف عن النساء فلم يتزوج، وأوصى أن يكتب على قبره:

هَذَا جِنَادُ أَبِي عَلِيٍّ . . . وَمَا جَنَيْتُ عَلَيَّ أَحَدًا

ولم تزل تلك حاله حتى لحق بالرفيق الأعلى سنة تسع وأربعين وأربعمائة للهجرة النبوية الكريمة - رحمه الله تعالى .

ويقول عنه الأستاذ كامل كيلاني: "أبو العلاء" رجل سوادى المزاج، مغمس في السخط على الحياة، بالغ في سخطه وتبرمه مدى لا يشاركه فيه إلا القليل النادر من الفلاسفة المشائين. وهو مطلع واسع الاطلاع على أدب أكثر الأمم التي نقلت آدابها

(١) الذهبي ص ١٢٩

(٢) ذاته ص ١٣٥، وابن العميد ١٠٤/٢، وإيضاً أبو العلاء وأزوميته ص ٢٠ - ط: دار الجيل - بيروت -

لبنان سنة ١٤٠٨-١٩٨٨ م.

(٣) ذاته ١٠٥/٤، وإيضاً الذهبي ص ١٣٠ : ١٣٥، ورأى في أبي العلاء: للشيوخ/ أمين الخولي رحمه

الله

إلى العربية، وعالم واع أخبارها، صادق حين يقول :

ما مرّ في هذه الدنيا بتو زمن .<sup>(١)</sup> إلا وعندي من أخبارهم طرف  
و"أبو العلاء" مع هذا العلم الغزير بتاريخ الأمم المختلفة، والرواية الواسعة لأدبهم  
المتباينة، محصن فطن خبير بتمييز الأخبار، دقيق في نقد زائف القول من صحيحه، وهو  
منكّر، عميق التفكير، ملهم المعنى، ملقى الحجّة، وعالم من أكبر أساطين اللغة المشهود  
لهم بالسبق والتفوق، وهو إلى ذلك شاعر فنان، عريق في الفنّ، عارف بروائعه ومواطن  
الجلال. وهو حرّ الفكر. واسع الخيال، فياض المعاني، مشرقّ الديباجة، لا يفتأ عنه  
بلوغ غايته شأؤ، ولا يقف في سبيله حاجز.

هذه الميزات الباهرة هي أوّل ما يندلجك من شعر "أبي العلاء المعريّ" الحافل بروائع  
الفنّ والفلسفة. لذنّ تقرأ كتاب اللزوميات، فتطالعك كلّ صفحة منه بما يزيدك اقتناعاً بتلك  
المازيا العالية التي أفرّدت "أبا العلاء"، فأحلته أسنى مكان بين شعراء العربية جميعاً  
وتعاونت على تكوين شخصيته الجذابة، فمازته من بين جبايرة الفكر. وأساطين الفنّ  
المبرزين. وأىّ روضة من رياض الفكر أحفل بروائع الفلسفة والفنّ من ذلك الرّوض الفكر  
البيهيح، الذي تمتلئ به كل صفحة من صفحات "اللزوميات"، تقرّوها فتطالع فيها سبّراً من  
أسفار الحياة، حافلاً بأسمى وأروع مخلفات الفقه الإنساني، وتتمثل أمامها الخواج النفسية  
الغامضة واضحة جليلة. لا ألبس فيها ولا إبهام<sup>(٢)</sup>.

### بين العقيدة والموهبة :

كان "أبو العلاء المعريّ" رقيق القلب، وقيّاً، كريماً، سخياً، قمع شهواته، وعزف  
عن رغائبه، يئد أنه كان سيء الظنّ بالناس، شديد الحذر منهم، قويّ الذاكرة، سريع  
الحفظ. حاضر البديهة، لذا قرض القريض، وهو ابن إحدى عشرة سنة. ولم يمنعه ذهاب  
بصره من إجادة التشبيه، ومشاركة البصريين في ألعابهم، فقد كان "أبو العلاء" يجيد لعب

(١) اللزوميات : للأستاذ / امين عبد العزيز الحانجي - المعتمدة التي كتبها الأستاذ/ كامل كيلاني للروميّات  
التي حققها الخانجي في ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٢٤م بالقاهرة .

الشطرنج<sup>١</sup>، ويدخل في كل باب من أبواب الهزل والجد.

وقد ذهب الناس في عقيدته مذاهب شتى: فمنهم من اتهمه بالإلحاد، ومنهم من يقول: "إن شعره مثل كلام المتصوفة، حيث إن لشعره ظاهراً وباطناً، وبعضهم يقول: "إن هذه الأشعار الضالة مدسوسة عليه من أعدائه"، وبعضهم - بل أكثرهم - يرجح أنه كان شاكراً<sup>(١)</sup>.

وغير نذهب مذهب الذين يقولون: "إن هذه الأشعار الضالة مدسوسة عليه من أعدائه، حيث إن ثقافة المعري تنأى به عما اتهم ورؤى به من خصومه الألداء، وأعدائه وحساده؛ حيث إنه حفظ القرآن الكريم بالقراءات المتعددة، وتلقى حديث رسول الله ﷺ على أشياخ الحديث، فمن غير المعقول أن يجنى شعره فيه مسحة من ضلال، أو زيف أو شئ مما رماه به الحساد، والحاقدون، وأهل الشر من البشر، وقديماً كان في الناس الحسد:

كل العداوة قد يُرجى محبتها .: إلا عداوة من عاداك عن حسد

فأبو العلاء هو الذي يقول:

اركع لرَبِّكَ في نهارِكَ وإِسْجُد .: ومَتَى لَطَقْتَ تَهْجُدًا فَتَهْجُد<sup>(٢)</sup>

وقوله:

بِوَحْدَانِيَّةِ الْعَلَامِ دِينًا .: فَذَرْنِي أَقْطَعُ الْأَيَّامَ وَحَدِي

سَأَلْتُ عَنِ الْحَقَائِقِ كُلِّ يَوْمٍ .: فَمَا أَلْفَيْتُ إِلَّا حَرْفَ جَحْد

سِوَى أَنِّي أُرْوَلُ بِغَيْرِ شَكٍّ .: ففِي أَيِّ الْبِلَادِ يَكُونُ لَحْدِي<sup>(٣)</sup>

(٣)

## الخصائص الفنية لشعر "أبي العلاء المعري":

(١) تاريخ الأدب العربي: للزيات ص ٢٤٧ بتصرف، وتاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان ص ٣٦٠ بتصرف.

(٢) اللروميات - تحقيق: الأستاذ / أمين عبد العزيز الخاتجي ص ٢٨١ رقم "١٢٠"  
- أبو العلاء وأروميته - للدكتور / كمال البارجي - ط: دار الجبل - بيروت - لبنان سنة ١٤٠٨-١٩٨٨م.

(٣) اللروميات - تحقيق: الأستاذ / أمين عبد العزيز الخاتجي ٢٧٨/١ .

ينقسم شعر "أبي العلاء المعري" إلى قسمين :

أولاً : شعر التباب ، ويعويه ويجمعه ديوان "سقط الزند".

ثانياً : شعر الكهولة . وقد حوته "اللزوميات" ، وشعره في الشبية كان كثير "المبالغة" واضح التقليد ، بين التكلف ، وقد قلّد فيه الشاعر "المتنبى" ، واستخف بقواعد اللغة ، وجازى شعراء عصره في البديع . وقد خاض غمار أغراض الشعر ، وقد سلمت له في هذا الطّور جملة من القصائد المختارة في فنّ "الرّثاء" ، و"المديح" و"الفخر" .. وأما شعره في "الكهولة" فجاء قليل "المبالغة" و"التكلف" ، عارض فيه "أسر العلاء المتقدمين" ، مؤثراً اللفظ الجزل ، والأسلوب البدوي ، والتزام ما لا يلزم ، وأكثر من البديع ، والجناس . وأودعه فلسفته وآراءه ، وحشاه بالألفاظ الغريبة ، والثراكيب الغامضة ، وقد ابتدع . واخترع ، واخترع في شعره "مناجاة الحيوان" . مثل محاوراة "الديك للحمامة"<sup>(١)</sup>

### فثوه ومؤلفاته :

وقد جاء ثرد مثل شعره يختلف في "كهولته" عنه في "شبابه" ، فقد كان كثير المبالغة متكلفاً في سحبه ، كثير المصطلحات العلمية . ثم نراه قد حكّم فلسفته في ثرد ، فجاءت على إثر ذلك قليلة المبالغة ، وفاضت الجمل بالمعاني ، يُبد أن كتابته لم تكن خلواً من الغموص والتطويل . ومن مؤلفاته : "سقط الزند" ، و"اللزوميات" ، و"ديوان رسائله" و"رسالة الملائكة" ، و"رسالة الغفران"<sup>(٢)</sup> .

فمن قصيدة له في الرّثاء :

غَيْرَ مُجْدٍ فِي مَلْتِي وَاعْتَقَادِي      ::      نَوْحُ بِأَكْبَرِ وَلَا تَرْنَمُ شَادِ  
وشبية صوت النعي إذا قى      ::      من بصوت البشير في كل ناد

(١) تاريخ الأدب العربي . للأسناد/ أحمد حسن الزيات ص ٩٠ : ٣٠٠ .  
(٢) ذاته ص ٣٥٠

- أَبَكْتَ بَلْكُمْ الْخَمَامَةَ أَمْ عَنْ .. نَت عَلَى فَرَعِ عُصْنِهَا الْعِيَادِ  
صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّ الرُّوحَ .. بَ فَايِنِ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ  
خَفَّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أُدِيمَ ال .. أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ  
وَقَبِيحِ بِنَا وَإِنْ قَنَمَ الْعَهْ .. ذُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَخْدَادِ  
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤَيْدًا .. لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُقَاتِ الْعِيَادِ  
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا .. ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاخُمِ الْأَضْدَادِ  
وَذَقِينَ عَلَى بَقَايَا نَفْسِينَ .. فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَاءِ  
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَمَّنْ أَحْسَا .. مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ  
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ .. وَأَنَارَا لِالْمَلْجِ فِي سَوَادِ  
تَعَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَع .. جِبَ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ<sup>(١)</sup>  
ازْدِيَادِ<sup>(٢)</sup>

ويقول مفتخرًا :

- أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ .. عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ  
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ .. يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ  
أَقَلُّ صُدُودِي أَنْتِي لَكَ مُبْغِضٌ .. وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنْتِي عَنْكَ رَاحِلٌ

ويقول - رحمه الله - في "اللزوميات" :

- غَدَوْتُ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالِدِينَ فَالْقَنِي .. لِتَسْمَعِ أَنْبَاءَ الْأُمُورِ الصَّنَائِحِ  
فَلَا تَأْكُلْنَ مَا أَخْرَجَ الْمَاءُ ظَالِمًا .. وَلَا تَبِغِ قُوْتًا مِنْ غَرِيضِ الذَّبَائِحِ<sup>(١)</sup>  
الذَّبَائِحِ<sup>(٢)</sup>

(١) سقط الزند : أبو العلاء المعري - دار صادر - بيروت .  
(٢) الغريضة : الطير من اللحم وغيره .

وَأَبْيَضَ أَمَاتٍ أَرَانَتْ صَرِيحَةً .: لَأَطْفَالِهَا دُونَ الْغَوَانِي الصَّرَائِحِ  
 وَلَا تَفْجَعَنَّ الطَّيْرَ وَهِيَ غَوَاقِلٌ .: بِمَا وَضَعْتَ فَالظُّلْمُ شَرُّ الْقَبَائِحِ  
 وَذَعُ ضَرْبَ النَّحْلِ الَّذِي بَكَرَتْ لَهُ .: كَوَاسِبٍ مِنْ أَرْهَارِ نَيْبِ فَوَاحٍ (١)  
 فَمَا أَحْرَزْتَهُ كَيْ يَكُونَ لِغَيْرِهَا .: وَلَا جَمَعْتَهُ لِلنَّدَى وَالْمَنَائِحِ  
 مَسَحَتْ يَدِي مِنْ كُلِّ هَذَا قَلْبِي .: أَبَيْتُ لِسَانِي قَبْلَ شَيْبِ الْمَنَائِحِ (٢)  
 بَنِي زَمَنِي هَلْ تَعْلَمُونَ سَرَائِرًا .: عَلِمْتُ وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَائِحِ  
 سَرِيئَتِي عَلَى غِيٍّ قَهْلًا إِهْتَدَيْتُمْ .: بِمَا خَيْرْتُمْ صَاقِيَاتِ الْقَرَائِحِ  
 وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِي الضَّلَالِ فَمَا لَكُمْ .: أَحْبَبْتُمْ عَلَيَّ مَا خَيَّلَتْ كُلَّ صَائِحِ  
 مَتَى مَا كَشَفْتُمْ عَنْ حَقَائِقِ دِينِكُمْ .: تَكْشَفْتُمْ عَنْ مَخْزِيَاتِ الْفَضَائِحِ  
 فَإِنْ تَرَشَّدُوا لَا تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ .: وَلَا تَلْزَمُوا الْأَمِيَالَ سَبْرَ الْجَرَائِحِ (٣)  
 وَيَعْجِبُنِي ذَابُّ الَّذِينَ تَرَشَّبُوا .: سِوَى أَكْلِهِمْ كَذَّ النَّفُوسِ الشَّحَائِحِ  
 وَأَطْيَبُ مِنْهُمْ مَطْعَمًا فِي حَيَاتِهِ .: سَعَاةٌ خَلَالَ بَيْنِ غَادٍ وَرَائِحِ  
 فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحَ تَعَبْدًا .: وَلَكِنْ مَشَى فِي الْأَرْضِ مَشِيَةَ سَائِحِ  
 يُعِينُنِي فِي التَّرَبِّ مِنْ هُوَ كَارَةٌ .: إِذَا لَمْ يُغَيِّنِي كَرِيهَةَ السَّرَائِحِ  
 وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يُجَاوِرَ أَعْظَمًا .: كَأَعْظَمِ تِلْكَ الْهَالِكَاتِ الطَّرَائِحِ  
 وَمِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَسِ وَقَعْلِهِمْ .: خَوَارِ النَّوَاعِي وَاللِّدَامِ النَّوَائِحِ (٤)  
 وَأَصْفَحُ عَنِ ذَنْبِ الصَّنْدِيقِ وَغَيْرِهِ .: لِسُنْكَانِي بَيْتَ الْحَقِّ بَيْنَ الصَّفَائِحِ  
 وَأَرْهَدُ فِي مَدْحِ الْقَتَى عِنْدَ صِدْقِهِ .: فَكَيْفَ قَبُولِي كَانِيَاتِ الْمَدَائِحِ

(١) ضرب النحل : هو العسل الأبيض الغليظ .

(٢) أبَيْتُ : انتهيت . المنائِح : الذوائب ، أو ما بين الصندغين إلى الجبهة .

(٣) الأميال : الميل هنا هو : المرزود يُسبَرُ به الجرح لِيُعلم مقدار عمقه ، فسبَرُ الشئ : يعنى اختبره ، وتقول : سبَرْتُ غُورَ الشئ : أى خبرته .

(٤) خوارِ النواعى : صياحها . اللدَامِ النواعى : ضربون صنورهن فى النياحة .

وما زالت النفس اللجوج مطيئة .: إلى أن غدت إحدى الرذايا الطنتح (١)  
وما ينفع الإنسان أن غمائماً .: تسح عليه تحت إحدى الضرائح  
ولو كان في قرب من الماء رغبة .: لنافس ناس في قبور البطائح (٢)

وهذه القصيدة تتضمن كثرة كائنة من آرائه الفلسفية، والتي تعج بالحكمة، وتنطق بمأنور الكليم، والتي تدل أيضاً على سعة خياله، فهو شاعر فنان، عريق في الفن، عارف بروائعه، خير بأسرار الجمال، ومواطن الجلال، وهو حر الفكر، واسع الخيال، قياض المعاني، مشرق الديباجة، لا يعتاقه عن بلوغ غابته شأؤ، ولا يقف في سبيله حاجز. هذه الميزات الباهرة هي أول ما يندّك من شعر أبي العلاء، الحافل بروائع الفن والفلسفة، وتلك من مزايا شاعرنا الفيلسوف، أو الفيلسوف الشاعر والتي أجلّته ورفعت مكاناً علياً بين شعراء العربية جميعاً، كما تعاونت على تكوين شخصيته الجذابة فمآزته من بين جبايرة الفكر، وأساطين الفن المبرزين، وأى روض من رياض النكر أخلّ بروائع الفلسفة والنن من ذلك الرّوض الفكري البهيج، الذي تعج به كل صفحة من صفحات اللزوميات، تقرؤها فتطالع سفاً من أسفار الحيات الحافل بأسمى وأزوع مخلفات العقل الإنساني، وتمثل أمامها الخواج النفسية الغامضة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا إبهام.

### الطغرائي:

هو الشاعر الحسين بن عليّ المعروف بالطغرائي، ويكنى أبو إسماعيل. ولقب بالطغرائي نسبة إلى مهنته التي كان يمتنها أول حياته، فقد كان يكتب الطغراة، الطغرة في أعلى الكتب بخط خاص فيها نعوت السلطان وألقابه، وقد ولد الطغرائي في أصنهان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة للهجرة، من أسرة فارسية، ثم تقلب في ظل آل سلجوق، وكان وزيراً للسلطان مسعود السلجوقي في الموصل، وصار يُنعت

(١) طلح: يعنى أعبا وتعبد. الردايا: جمع ررية وهي الناقة المعيبة، وتقول: رذيت إذا أعبت وكذلك الطلاح.

(٢) اللزوميات - تحقيق: الخالحي ٢١٨/١ وما بعدها - رقم "١٩" - نشر: مكتبة الحلنجي بالقاهرة.

ويُوصف "بالأستاذ"، وُلِّبَ "بالمُنشئ"، فلَمَّا نشبت الحرب بين السلطان "مسعود"، وأخيه السلطان "محمود" بالقرب من "همدان"، وكانت النصر والغلبة للسلطان "محمود"، وفي هذه الحال أُسِرَ "الطغراني"، ثم أغراه وزيره "نظام الدين" بقتله، وحرَّضه على ذلك بعض حُساده من رؤوس الكُتَّاب، فرمَّوه بالإلحاد، فقتل ظُلماً من جرَّاء هذا الاتِّهام، وكان ذلك عام ٥١٣هـ، وقيل عام ٥١٥هـ<sup>(١)</sup>.

وكان شعره جيداً، متين القافية، وألفاظه مُتقاة، يغلب على شعره "الفخر" والحكمة، وكان نشره من طبقة شعره في إحكام الصنعة، ورصانة الأسلوب وله ديوان شعر كبير، أكثره في مدح السلطان "سعيد بن ملك شاه"<sup>(٢)</sup>.

وقد اشتهر "الطغراني" بمعرفته العميقة بالصنعة، أو كما نقول الآن "علم الكيمياء" وله فيها أشعار تصوِّر هذا المَشْرَب العلمي أو التعليمي، ويكثر لديه ولدى معاصريه معارضته للشاعر "الشريف الرضي"، و"مهيار الديلمي" في بعض قصائدهما، وربما كانت "لاميته" من أروع وأجود قصائده، من حيث قوة السبك، وحميل الصياغة، ومع ذلك فقد حاول "الصفدي" في شرحه لها أن يردَّ معاني أبياتها بيتاً بيتاً إلى سابقه، وكان "الطغراني" مثل شعراء عصره، بصطنع فنون البديع، وأيضاً فنون التكلُّف، والحق والحق نقول: إن "الطغراني" كان شاعراً بارعاً حتى إنه بلغ من إعجاب الذين سفود أنهم عارضوا "لاميته"، وهم كثر من شعراء زمانه.

يقول في مطلع "لاميته":

أصالة الرأي صاننتني عن الخطلِ . . . وولية الفضل زاننتني لدى العطل

وقد اشتهرت خطأ باسم "لامية العجم"، مع أن قائلها عربي الأرومة، ولا نرى في اللامية رائحة تعصب للعجم ضد العرب، ولعلها سميت بذلك لأن قائلها كان يعيش في بلاد العجم، وحملها على "روي" "لامية العرب" للسنفري، وموضوعها: شكوى

(١) تاريخ الأدب العربي: للرياح ص ٣٢٦، وتاريخ الأدب العربي لكرار بروكلمان ص ٥٥ بتصرف

(٢) تاريخ الأدب العربي: للزيات ص ٣٢٦

الزمان وأهله، وهي شكوى فيها مبالغة ومبالغة واضحة، ومع هذا فستظل له فضائله التي يفخر بها، وربما أشار بتعطله من وظيفته الديوانية حينئذ أو ربما يومئ ويشير إلى ما حدث له أحياناً من هذا العطل<sup>(١)</sup>. وقال مفتخراً بثقافته العالية الراقية، وإلمامه بشئ العلوم :

أما العلوم فقد ظفرتُ ببغيتي .: منها فما أحتاجُ أن أتعلماً  
وعرفت أسرار الخليفة كلها .: علماً أنار لي البهيم المظلماً

ونراه يُرزق مولوداً بعد أن بلغ من الكبر عتياً، فيقول:

هذا الصغير الذي وافى على كبري .: أقرَّ عيني ولكن زاد في فكري  
سبع وخمسون لو مرّت على حجر .: لبان تأثيرها في صفحة الحجر

وقال يرثى زوجه :

ولم أنسها والموت يقبضُ كفها .: وببسطها والعينُ ترنو وتطرقُ  
وقد دمغتُ أجفانها وكأنها .: جنى نرجس فيه الندى يترقرقُ  
وحلّ من المحذور ما كنتُ أنقى .: وحمّ من المقدور ما كنتُ أفرقُ  
وقيل فراق لا تلاقي بعده .: ولا زاد إلا حسرةً وتحرقُ  
ولو أن نفساً قبل محتوم يومها .: قضت حشرات كادت النفس تزهقُ  
هلال نوى من قبل أن تمّ نوره .: وغصن ذوى فينانه وهو مورقُ  
فواعجباً أنى أتيح اجتماعنا .: ويا حسرة من أين حمّ التفريقُ  
ولم يبق فيما بيننا غير حثوة .: على العين تحثى أو على القلب تطبقُ  
أحن إليها إن تراخى مزارها .: وأبكى عليها إن تدانى وأشيقُ  
وأبلس حتى ما أبين كأنما .: تدور بي الأرض الفضاء وأصنعُ

(١) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) - د/ شوقي ضيف ص ٥٨٤ .

- وأصَبُّهَا طَوْرًا بَصْدْرِي وَأَشْتَقِي .: وَأَمْسَخُهَا حِينًا بِكَفِّي فَتَعْبِقُ  
 وَمَا زُرْتَهَا إِلَّا تَوَهَّمْتُ أَنَّهَا .: بِثُوبِي مِنْ وَجْدِي بِهَا تَتَعَلَّقُ  
 وَأَحْسِنُهَا وَالْحَجْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا .: تَعِي مِنْ وَرَاءِ التُّرْبِ قَوْلِي فَتَطْطِقُ  
 وَأَشْعُرُ قَلْبِي الْيَأْسَ عَنْهَا تَصَبُّرًا .: فَيَرْجِعُ مَرْتَابًا بِهِ لَا يُصَدِّقُ<sup>(١)</sup>

(١) المتح من كلام العرب : للدكتور/ طه حسن وآخرين ١٤٣/١

## أهم المصادر والمراجع

- ❖ ابن المقفع - تأليف / سليم الجندى - ط: دمشق - سوريا.
- ❖ ابن المقفع - تأليف / عبد اللطيف حمزة - ط: دار الفكر العربى ١٩٥٢م - الثانية.
- ❖ ابن المقفع - لابن خليل مردم - مطبعة الاعتدال - دمشق - سوريا.
- ❖ ابن المقفع - لحنا الفاخورى - دار المعارف - بيروت - ١٩٥٧م.
- ❖ ابن المقفع وكتاب كليله ودمنة - د/ عمر فروخ - لبنان ١٩٤٩م.
- ❖ أبو العلاء ولزوميته - د/ كمال اليازجى - ط: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ اتجاهات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن عربى - للمؤلف / أ.د/ على الخطيب.
- ❖ أخبار أبى تمام - للصولى .
- ❖ الأخبار الأدبية - د/ حمدان عبد الرحمن - مطبعة الأمانة - ط: الأولى ١٩٨٩م.
- ❖ أخبار الحلاج - تقديم وتعليق: عبد الحفيظ محمد مدنى هاشم.
- ❖ الأدب الصغير - أحمد زكى - ط: دار المعارف - القاهرة.
- ❖ الأدب العربية فى العصر العباسى - د/ خفاجى.
- ❖ الأدب الكبير والأدب الصغير - د/ يوسف خليفة - ط: دار البيان.
- ❖ الأدب المقارن - د/ محمد غنيمى هلال.
- ❖ الأدب الوجيز - للولد الصغير - ترجمة وتحقيق: محمد شفران الزاوانى.
- ❖ الأدب فى عصره الذهبى - د/ عبد الرحمن عثمان.
- ❖ آراء فى الشعر العربى - مذاهبه وفنونه - للدكتور / عبد الرحيم محمود زلط.
- ❖ أسس النقد العربى - للأستاذ أحمد بدوى.
- ❖ الأعلام - للزركلى .

- ❖ الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - ط : دار الكتب .
- ❖ الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني .
- ❖ الأنساب - للسمعاني .
- ❖ الإخلاء وقصور المجتمع العباسي - د / أحمد أحمد منصور نفادي .
- ❖ البيان والتبيين - للجاحظ .
- ❖ البيان والتبيين للجاحظ .
- ❖ تاريخ الأدب الأموي - أحمد حسن الزيات .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - أحمد حسن الزيات .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - الأعصر العباسية - د / عمر فروخ .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - د / شوقي ضيف - ط : دار المعارف .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - د / عمر فروخ - ط : دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - لكارل بروكلمان .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - للأستاذ / أحمد حسن الزيات .
- ❖ تاريخ الأدب العربي - للدكتور / عمر فروخ .
- ❖ تاريخ الأدب العربي .
- ❖ تاريخ الأدب العربي ما بين عهد المتوكل ودخول الفرنسيين مصر - د / أحمد منصور نفادي .
- ❖ تاريخ الأدب في العصر العباسي - د / عبد المنعم خفاجي .
- ❖ تاريخ الكنيسة المصرية - مجلة الهلال - عدد ديسمبر سنة ١٩٧٧م .

- ❖ تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي .
- ❖ تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي.
- ❖ تاريخ بغداد .
- ❖ تذكرة الأولياء - للعطار.
- ❖ التصوف الإسلامي - تأليف / محمود أبو الفيض المنوفى.
- ❖ التصوف عند المستشرقين - د / أحمد الشرباصى.
- ❖ التصوف عند المستشرقين من سلسلة الثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- ❖ تليس إبليس - للحافظ الإمام / جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى  
البغدادي - مكتبة الإمام سنة - ١٩٨١م.
- ❖ التوجيه الأدبي - د / طه حسين.
- ❖ حلية الأولياء - لأبى نعيم الأصفهاني.
- ❖ خزنة الأدب .
- ❖ دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثامن.
- ❖ دائرة المعارف الإسلامية (مارجليوس).
- ❖ دائرة معارف القرن العشرين : للأستاذ / محمد فريد وجدى.
- ❖ دراسات فى الأدب الصوفى - د / محمد عبد المنعم خفاجى .
- ❖ دراسات فى الأدب العباسى - د / عيد قناوى .
- ❖ دراسات فى الأدب العباسى - د / عيد قناوى.
- ❖ دراسات فى الأدب العباسى - د / كمال لاشين .
- ❖ دراسات فى الأدب العباسى.
- ❖ الديباج المذهب - لابن فرحون .
- ❖ ديوان ابن أبى حفصة .